جامعة الكوفة / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني

أطروحة قدمها إلى

مجلس كلية الآداب في جامعة الكوفة

محمد عامر محمد

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه

في فلسفة اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ

الدكتور علي كاظم أسد

1432 هـ 2011 م

بسم اللّه الرحمن الرحيم

((أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً))

سورة النساء : 82

الإهداء

إلى الذين أمدوني بفسحة الأمل كلما ضاقت بي الدنيا ، إلى أمي وأبي .

شكر وامتنان

أحمد الله سبحانه وتعالى أن من عليّ بإتمام هذه الرسالة ويسرها لي حتى صارت على هذا النحو ، فالحمد له وحده أولا وآخرا . وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد الذي تكرم بقبوله للإشراف على هذه الأطروحة التي كان موضوعها من إرشاده . وأنه تكرم عليّ بوقته وجهده وكان حصيلة ذلك توجيهات وملاحظات ونصائح استفدت منها كثيرا حتى استوت هذه الأطروحة على هذا الوجه وأدعو الله أن يجعل عمله هذا في ميزان حسناته ويجزيه عني أفضل الجزاء وخير الثواب ، وأن ينفع به طلبة العلم والعلماء على حد سواء . وأقدم شكري إلى أساتذتي في كلية الآداب قسم اللغة العربية ، الذين لهم عليّ فضل التدريس والتوجيه ، وما أنا فيه الآن ، فلهم خالص الدعاء ، وأن يطيل الله في أعمارهم ويحسن عاقبتهم . وأقدم شكري وامتناني إلى جامعة الكوفة ، وجامعة ميسان لأتاحتهما لي فرصة إتمام الدراسة العليا .

إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الرسالة قد جرى بإشرافي بمراحلها كافة وأرشحها للمناقشة .

الإمضاء :

الأسم :

التاريخ

بناءً على ترشيح المشرف العلمي وتقرير الخبير العلمي أرشح الرسالة للمناقشة .

الإمضاء :

رئيس القسم :

التاريخ :

شهادة الخبير العلمي

لقد قومت أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ (**أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني**) علميًا وأجد أنها صالحة للمناقشة .

التوقيع :

الاسم : أ . د . محمد عبد الحسين محمد الخطيب

الدرجة العلمية : أستاذ

مكان العمل : جامعة كربلاء – كلية التربية

التاريخ : 27 / 12 / 2010

إقرار لجنة المناقشة

استنادا إلى محضر مجلس الكلية بجلسته السادسة المنعقدة بتاريخ 29 / 12 / 2010 ، ومصادقة الجامعة بكتابها المرقم أم س / 598 في 7 / 2 / 2011 ، فقد تم تشكيل لجنة مناقشة طالب الدكتوراه (**محمد عامر محمد**) قسم اللغة العربية عن أطروحته الموسومة (**أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني**) .

نشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة اطلعنا على هذه الأطروحة ، وناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها بتاريخ 24 / 3 / 2011، وهي جديرة بالقبول لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بتقدير مستوف .

الإمضاء
أ . د . حاكم حبيب الكريطي
كلية الآداب / جامعة الكوفة
رئيساً
التاريخ : / / 2011

الإمضاء
أ . د . عبد الكاظم محسن الياسري
كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة
عضواً
التاريخ : / / 2011

الإمضاء
أ . د . رحيم جبر الحسناوي
كلية التربية / جامعة بابل
عضواً
التاريخ : / / 2011

الإمضاء
أ . د . محسن حسين علي
كلية التربية / جامعة بابل
عضواً
التاريخ : / / 2011

الإمضاء
أ . م . د . علي كاطع خلف
كلية الآداب / جامعة الكوفة
التاريخ : / / 2011
عضواً

الإمضاء
أ . د . علي كاظم أسد
كلية الآداب / جامعة الكوفة
التاريخ : / / 2011
عضواً ومشرفاً

صادق مجلس كلية الآداب / جامعة الكوفة على قرار لجنة المناقشة

الإمضاء
أ. م . د . علاء حسين
الرهيمي
العميد
التاريخ : / / 2011

المحتويات

المقدمـة:		1
التمهيـد :	علم المناسبة نشأته وتطوره .	4–29
الفصل الأول:	أثر المناسبة في الآية الواحدة :	30–91
	– توجيه المعنى في العدول عن الأصل في الفاصلة.	30
	– توجيه المعنى في مشكلات الفواصل .	47
	– توجيه المعنى عند اختلاف الفواصل والمحدث عنه واحد.	60
الفصل الثاني :	أثر المناسبة بين الآيات :	92 – 162
	– توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في الألفاظ .	94
	– توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في التقديم والتأخير.	124
	– توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في الإيجاز والإطناب .	146
الفصل الثالث :	أثر المناسبة بين السور :	163 – 241
	– توجيه المعنى لبيان الترابط النصي بين السور .	165
	– توجيه المعنى لبيان الاتحاد الموضوعي بين السور.	204
الخاتمة		242
ثبت المصادر		244
الخلاصة بالانجليزي		251

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وأنزل عليه القرآن ، قرآنا عربيا غير ذي عوج ، أنزله بحسب المصالح منجما ، وجعله بالتحميد مفتتحا وبالتعويذ مختتما ، وأوحاه متشابها ومحكما ، ومزاياه ظاهرة باهرة في كل وجه وكل زمان.

أما بعد ، فقد وصف العلماء العاملون القرآن الكريم بالبضاعة الزاكية ، فإذا رُزِقَهَا إنسان يُدَّبرها في يده ، ويحسن التجارة في معانيها وألفاظها ، فإنه يستغني بها عن غيرها . وما ذلك شيئا يُرْزقه كلّ أحد . فكم في الناس من حافظ للقرآن عالم بتفسيره ، ولكنه في استعماله كالتاجر الجبان ، الذي لا يركب برا ولا بحرا ، وليس يُسْره منه على هذه الحال إلا عُسْرا . ورغبة مني في التزود من هذه البضاعة ، وحسن التجارة في معانيها وألفاظها ، وعظة وعبرة لقوله تعالى : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ))** {سورة الصف :10} ، كنت أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقني النظر في هذه البضاعة والتبضع منها ، والتدبر لها يمينا وشمالا ، وكنت حريصا على شرائها ، ولكن حال دون رغبتي قلة ذات اليد من العلم والمعرفة . وأشكر الله أن قد منّ عليّ عند أكمالي للسنة التحضيرية في مرحلة الدكتوراه أنْ اقترح علي الأستاذ الدكتور علي كاظم أسد – حفظه الله – أنْ أكتب في (علم المناسبة) فقرّت بذلك عيني واستحضرت نفسي قوله تعالى : **((فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))** {سورة القصص : 13} . ومما عزز من ثقتي بنفسي في الخوض بهذا العلم أهميته المتأتية من :

1- إن الأمة الإسلامية إزاء هجمة عنيفة على عقيدتها وفكرها ، وتمسكها بالقرآن الكريم ، ونسمع بين الحين والحين دعوات من الملحدين والمتطرفين إلى إحراق القرآن الكريم؛ ولأن علم المناسبة هو علم يعنى بالكشف عن الترابط اللفظي والمعنوي بين آي الذكر الحكيم وسوره ، ويبيّن أن القرآن الكريم وحدة نسقية ، فهو بناء فكري ولغوي كامل وشامل ومستقل ، كان هذا حافزا قويا للخوض في دراسة هذا العلم .

2- إن الفكر العربي المعاصر يشهد قراءات نقدية أو حداثوية لتطويع القرآن على وفق رؤاها ومناهجها ، وبما يخدم هذه الرؤى والمناهج ، ويأخذون من النص القرآني ما يحقق ذلك ويثبت ما يعتقدون من دون النظر إلى النص ككل . وقد تنبه المفسرون وعلماء القرآن إلى ذلك من قبل ، وعملوا على إعمال هذه الأداة التفسيرية – علم المناسبة – لاستنباط شيء من معاني القرآن . وبقي حاضرا في أذهانهم أنْ القرآن الكريم لا يمكن فهمه باجتزاء النص القرآني عن سياقه اللغوي ، وسياقه اللغوي الذي أعنيه ليس اللغة بشكل مجرد بل ما تشير إليه اللغة بتقنياتها

كافة من هدى وفكر وموعظة وبناء للإنسان الجديد . ولا بد من استحضار ما قبل النص وما بعده إذا أردنا أنْ ندرك مراد الله تعالى من الخطاب القرآني بطريقة علمية ، أي موضوعية . فالقرآن الكريم لا يمكن فهم إحدى جزئياته إلا في النظر إلى السياق .

3- وإن خطورة القضايا التي طرحها المشككون في قدسية القرآن الكريم ، أوعز ونبه العلماء إلى التأكيد على ما تعرض له علم المناسبة من الإهمال ، ولفتوا الأنظار إلى أنه يحتوي لطائف وأسرارا ، حتى إن بعضهم يئس من طلاب العلم والعلماء الذين أعرضوا جملة وتفصيلا عن هذا العلم الجليل .

وكان بعد التوكل على الله عملي في هذه الرسالة أن سلكت في دراسة علم المناسبة دراسة قائمة على جمع المادة العلمية اللازمة لمثل هذه الدراسة ، وانتقاء المنهج التحليلي والوصفي في أثناء دراسة النصوص ، ومحاولة قراءة ما بين السطور ، بقصد الوصول إلى مكامن النص وشيء من أغواره . وكانت أقسام الدراسة على النحو الآتي :

المقدمة : بيّن فيها الباحث سبب اختياره للموضوع ، وأهميته ، ثم عرض للخطة التي سار عليها في دراسة علم المناسبة .

التمهيد : بيّن فيه الباحث نشأة علم المناسبة وتطوره ، بمتابعة أوليات هذا العلم والاهتمام به ، وترتبط بداية هذا العلم ، ببداية أغلب العلوم التي كانت نتاج الدرس القرآني كبداية علم النحو مثلا التي كانت نتيجة خطأ أحد الأعراب في قراءة آية من القرآن الكريم ، وكان هذا الخطأ في الحركة الإعرابية . وكان الخطأ الذي وقع فيه الأعرابي وأنتج علم المناسبة ، هو خطأ في الوصول إلى المعنى الذي ترتبط به الآية في النص القرآني ، وعلاقة الفاصلة بالمقطع الذي ختمت به .

وتطور ذلك بعدُ إلى السؤال عن الاختلاف في السياق بين الآيات المشتركة في سياق واحد مع اختلافها في الألفاظ أو في التقديم والتأخير أو في الإطناب والإيجاز . ومن ثم محاولة وضع الكتاب الأول في هذا العلم ، وتوسعه إلى نطاق النص القرآني ككل ، وذلك بين آياته ، وسوره .

الفصل الأول : أثر المناسبة في الآية الواحدة : تناول الباحث الفاصلة في القرآن ودورها في الحفاظ على تماسك الآية القرآنية ، وبيّن علاقة هذه الفاصلة بالسياق الذي وردت فيه ، من حيث تناسب المطلع والمقطع للفاصلة . وأشار الباحث إلى ما قد يُشكل من الفواصل فهو مثار تساؤل ، فلِمَ لَمْ تختم هذه الآية بكذا ولِمَ ختمت بكذا ؟ وبيان طريقة العلماء في تدبر هذا النوع . وأشار الباحث إلى توجيه المعنى في الفاصلة والمحدث فيه واحد .

الفصل الثاني : أثر المناسبة بين الآيات : تناول الباحث التشابه والاختلاف بين السياقات القرآنية الواردة في الآيات ، وكان الجامع بينها ألفاظا فترتبط الآية موضع البحث بما سبقها ، وما لحقها من ألفاظ . وما يجري على التركيب من التقديم والتأخير وعلاقة ذلك في الآية بما سبقها وما لحقها . وما يجري على الأسلوب من الإطناب والإيجاز وعلاقة ذلك بالسياق العام للسورة فترتبط السورة بما تتضمنه السورة السابقة لها من الموضوعات ، وعلاقة ذلك بقصر السورة أو طولها .

الفصل الثالث : أثر المناسبة بين السور : تضمن الحديث في الترابط النصي بين السور من حيث علاقة السورة وارتباطها بما تقدمها ، إذ تبدأ السورة اللاحقة بما ختمت به السورة السابقة ، وما يترتب عليه من الاشتراك في المعنى ، ويكون ذلك من أوكد علاقات الربط التي تجعل النص القرآني كالكلمة الواحدة ، وما يثبت تعانق السور القرآنية واتحادها . وبيان أهمية الترتيب المضموني ، في اتحاد السور فيما بينها ، وعلاقة مقاصد السورة وأغراضها السابقة بمقاصد السورة وأغراضها اللاحقة ، وما يترتب على ذلك من تتميم المعنى ، أو التوسع فيه ، فيكون في السورة المتقدمة إجمال لموضوعات وتفصيلها في السورة اللاحقة، أو قد تشترك السورتان في الأحكام والتشريعات ، أو تشتركان في بيان القصص القرآنية وتكون اللاحقة متممة للقصص الواردة فيما سبقها ، ومكملة لمعناها .

التمهيد : علم المناسبة نشأته وتطوره

المناسبة في اللغة :يقول ابن فارس : « النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء »[1] ، وهي المقاربة والمشاكلة[2].

وفي اصطلاح المفسرين : علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن[3]. ويكون مرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص ، عقلي أو حسي أو خيالي ، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني ، كالسبب ، والعلة ، والمعلول ، والنظيرين والضدين ونحوه[4].

ظهرت بوادر العناية بالمناسبة أول ما ظهرت بشكل تنبيهات بلاغية تنبه لها بعض الأعراب ، من خلال ربطه بين سياق الآية ، وما يتناوله مقطعها ، وعلاقته بخاتمتها من حيث الدلالة .

وقد نقل أبو القاسم الزمخشري (ت 538 هـ) في تفسيره لقوله تعالى : **((فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** {سورة البقرة: 209} ، « روي أن قارئا قرأ (غفور رحيم) ، فسمعه أعرابي فأنكره ، ولم يقرأ القرآن ، وقال: إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم ، لا يذكر الغفران عند الزلل ؛ لأنه إغراء عليه »[5]. ويقصد بـ(إغراء عليه) أي إغراء على الزلل فيتغير المعنى من التحذير إلى الإغراء .

ونقل فخر الدين الرازي (ت 604 هـ) عند تفسيره لقوله تعالى : **((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** {سورة المائدة : 38}« قال الأصمعي كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي ، فقرأت هذه الآية ، فقلت : (والله غفور رحيم) سهوا ، فقال الأعرابي : كلام من هذا ؟ فقلت كلام الله . قال : أعد ، فأعدت : (والله غفور رحيم) ، ثم تنبهت فقلت : **((والله عزيز حكيم))** ، فقال : الآن أصبت ، فقلت : كيف عرفت ؟ قال : يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع ، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع»[6] . يربط الأعرابي بين الفاصلة والمعنى فالعزيز الحكيم هو القادر على إنزال العقوبة بخلاف الغفور الرحيم الذي يتجاوز عن إيقاع العقاب .

والمناسبة التي بحثها المفسرون وبعض علماء البلاغة هي تنامي لما قاله الأعرابي ، الذي ربط بين الآية وآخرها . وقد لقي هذا الضرب من فواصل الآيات القرآنية عناية خاصة في أبواب من البلاغة يشملها (باب المناسبة) ، أو باب (مراعاة النظير) .

---

[1] - مقاييس اللغة 5 / 423 – 424 مادة (نسب)
[2]- ينظر : القاموس المحيط 1 / 130 – 131 مادة (نسب)
[3] - ينظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 6
[4]- ينظر : البرهان في علوم القرآن 1 / 41
[5]- الكشاف 1 / 280
[6] - التفسير الكبير 11 / 236

ونلحظ أن ابن أبي الإصبع المصري (ت 654 هـ) تناول في كتابه (بديع القرآن) تقسيم المناسبة على ضربين : مناسبة في المعاني ، ومناسبة في الألفاظ ، « فالمعنوية : هي أن يبتدئ المتكلم بمعنى ، ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ » [1].

ففي قوله تعالى : **((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ))** {سورة الأنعام : 103} ، هناك مناسبة بين عدم إدراك الأبصار لله جل وعلا وفاصلة اللطيف ومناسبة بين إدراك الله سبحانه للأبصار وفاصلة الخبير ، « فإن معنى نفي إدراك الأبصار للشيء يناسب اللطف ، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل ؛ لأن المعهود عند المخاطب أن البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة ، كالهواء وسائر العناصر ، ولا الجواهر المفردة ، وإنما يدرك اللون من كل متلون ، والكون من كل متكون ، فجاء هذا التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد . وكذلك قوله تعالى : **((وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ))** ، فإن ذلك يناسبه وصف المدرك بالخبرة ، فإن سبحانه لما أثبت له إدراك الأبصار : أي ألباب الأبصار التي نفى عنها إدراكه تكميلا للتمدح حسب ما اقتضته البلاغة من تصحيح معنى التمدح ، واحتراسا ممن يظن أنه إذا لم يكن مدركا لم يكن موجودا .. فتضمنت على ذلك الفاصلة معنى زائدا على معنى الكلام » [2]. فيكون دور الفاصلة في الآية زيادة معنى المقطع الذي وردت فيه وتتميم معنى التمدح .

أما المناسبة اللفظية : فهي « عبارة عن الإتيان بلفظات متزنات مقفاة وغير مقفاة ، فالمقفاة مع الاتزان مناسبة تامة ، والمتزنة من غير التقفية مناسبة ناقصة » [3]. أي أن المناسبة اللفظية على ضربين وهي : المناسبة اللفظية الناقصة وقد وردت في قوله تعالى : **((ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ))** {سورة ق : 1،2} ، ناسب بين (المجيد) و(عجيب) للتقارب بين اللفظين في حرفي الدال والباء . وهذا التقارب بين الحرفين يفسح المجال للتنويع اللفظي والمعنوي .

والمناسبة اللفظية التامة وردت في قوله تعالى : **((ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ))** {سورة القلم : 1 – 3} ، فناسب بين (يسطرون) و(بمجنون) و(ممنون) في مقطع الواو والنون . وهذا التقارب التام هدفه التأثير في المتلقي .

وباب (مراعاة النظير) في البلاغة ، عرّفه يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت 626هـ) : بأنه « عبارة عن الجمع بين المتشابهات » [4]. وقال فيه شرف الدين الطيبي (ت 734 هـ): «

---

[1] - بديع القرآن 145
[2] - م . ن 146
[3] - م .ن 149
[4]- مفتاح العلوم 424

ويسمى التناسب والائتلاف : وهي أن تجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد وهي أصناف : الأول : ائتلاف اللفظ والمعنى .. والثاني: ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وهو أن يكون في الكلام معنى يصح معه معان فيختار منها ما بين لفظة وبين لفظ ذلك المعنى ائتلاف بحسب أسباب مؤدية إلى تقارنهما .. والثالث : ائتلاف المعنى مع المعنى » [1].

والمناسبة بين معنيين ، تقسم على قسمين: « أحدهما أن يشمل الكلام على معنى يصح معه معنيان أحدهما ملائم بحسب نظر دقيق ، والآخر ليس كذلك فيقرن بالملائم » [2].

جاء في قوله تعالى : **((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))** {سورة البقرة :54} ، مناسبة بين الفاصلة (التواب الرحيم) ، وصفة الله (البارئ) ، « ناسبت هذه التوبة لفظ البارئ دون غيره من الأسماء ؛ لأن البارئ هو الذي خلقهم أبرياء من التفاوت وهي نعمة جسمية ، وكان من حق الشكر أن يخصوه بالعبادة ، فلما عكسوا وقابلوها بالكفران حيث عبدوا ما لا تمييز له أصلا استرد منهم تلك النعمة بالقتل والانفكاك»[3].

ومن هذا الباب قسم سمّاه السيوطي (تشابه الأطراف) « وهو أن يختم الكلام بما يناسب ابتداءه في المعنى » [4].

ومن خفي تشابه الأطراف قوله تعالى : **((إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))** {سورة المائدة : 118} ، « فقوله : **((وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ))** يوهم أن الفاصلة (الغفور الرحيم) ، لكن المناسب أن لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، ومن يعلم الحكمة فيما يفعله ، وإن خفيت على غيره » [5].

والقسم الثاني من تشابه الأطراف ، الذي ذكره السيوطي وهو : « أن يكون للمعنى وصفان ملائمان فيختار الأحسن » [6]. أي يختار الأحسن في التأثير على المتلقي .

وقد جاء في قوله تعالى : **((إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى))** {سورة طه: 118 ، 119} ، مناسبة بين الري والشبع وبين الاستظلال واللبس ، لكن النص القرآني اختار الأحسن في المعنى ، والأكثر في التأثير على المتلقي ، وما فيه كسر لتوقعه « فإنه لم يراع فيه مناسبة الري للشبع والاستظلال للبس ، بل روعيت المناسبة بين اللبس والشبع في عدم الاستغناء عنهما وأنهما من أصول النعم ، وبين الاستظلال والري في

---

[1] - التبيان في البيان 200 – 202
[2] - م . ن 202
[3] - م . ن
[4] - التحبير في علم التفسير 289
[5]- التبيان في البيان 202
[6] - م . ن 203

كونهما تابعين لهما ومكملين لمنافعهما ، وهذا ادخل في الامتنان لما في تقديم أصول النعم وارتداف التوابع من الاستيعاب » [1].

وتناول - ما ورد في بلاغة الفاصلة في القرآن الكريم - علماء علوم القرآن في نوع خاص هو أسموه ((معرفة الفواصل ورؤوس الآي)) [2] . وقال بدر الدين محمد الزركشي (ت 794 هـ) في هذا النوع من المناسبة : « اعلم أن من المواضع التي يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره ، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله ، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أو لا؛ وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك ، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمل للبيب. وهي منحصرة في أربعة أشياء : التمكين ، والتوشيح، والإيغال ، والتصدير »[3].

والسمات البلاغية في الفاصلة القرآنية تتمثل عند الزركشي في هذه الأربعة الأشياء السابقة وعلاقتها بالمعنى ، وكلها تنصب حول تطلب السابق لفظ الآية أو مضمونها لخاتمة خاصة توافقها ، وأسوق فيما يأتي تعريفا ومثالا لكل سمة من السمات البلاغية .

أولا : التمكين : ((وهو أن تمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها ، ومستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم » [4]، ولعل ما ذكر في التعريف من تعلق معنى الفاصلة بمعنى الكلام هو السبب في تسمية هذا النوع بـ(التمكين) .

ومثال التمكين في الفاصلة ، قوله تعالى: **((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ . أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ))** {سورة الحج : 63 – 65 } ((إنما فَصَلَ الأولى بـ**(لطيف خبير)** ؛ لأن ذلك في موضع الرحمة لخلقه بإنزال الغيث وإخراج النبات من الأرض ؛ ولأنه خبير بنفعهم . وإنما فَصَلَ الثانية بـ**(غني حميد)** ؛ لأنه قال : **((لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ))** ، أي لا لحاجة ، بل هو غني عنهما ، جواد بهما ؛ لأنه ليس غني نافعا غناه إلا إذا جاد به ، وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليه ، واستحق عليه الحمد ، فذكر (الحمد) على أنه الغني النافع بغناه خلقه . وإنما فَصَلَ الثالثة بـ**(رؤوف رحيم)** ؛ لأنه لما عدد للناس ما أنعم به عليهم من تسخير ما في الأرض لهم ، وإجراء الفُلك في البحر لهم ، وتسييرهم

[1] - المصدر السابق 204
[2] - البرهان في علوم القرآن 1 / 52 وما بعدها
[3] - م . ن 1 / 69
[4] - م . ن

في ذلك الهول العظيم ، وجعله السماء فوقهم وإمساكه إياها عن الوقوع ، حسن ختامه بالرأفة والرحمة » [1].

ويقول أستاذنا الدكتور علي كاظم أسد في هذه الفواصل : ((جاءت الفاصلة الأولى نكرة **(لطيف خبير)** ، وجاءت الفاصلة الوسطى مؤكدة باللام ، وقبلها (إنّ وضمير الفصل) وتعريف الصفتين **(وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)** ، فضلا عن إيراده اسم العلم عليه سبحانه **(الله)** ، وليس الربّ علما إنّ الرب مناسب شكليا لإنزال الماء من السماء قبل هذه الآية . وجاءت الفاصلة الثالثة كذلك مؤكدة بـ**(إنّ)** ومخصصة صفة الرحمة والرأفة بالناس حصرا ، وباللام ولكن بدون تعريف . فأما الأولى (عندي) وبحسب نظري الضعيف أنَ إنزال المطر من السماء لاشك فيه ، فلا يحتاج إلى توكيد ولا تعريف . وأما الثانية فكثير ما شك الناس في ملكيته لله لما في السماوات والأرض ، وتصرفوا عكس هذا بل كفروا به ، فاحتاجت إلى هذا الكم من التوكيد ، وجاءت بصفة الإلوهية ؛ لأن الربوبية مكفور بها عند كثير من الناس . وأما الثالثة فأكدها ؛ لأن الناس لاهون لا يعلمون مدى قدرة الله في إمساك السماء ، فجاء بـ**(الناس)** حصرا ؛ لأنهم لا يظنون أبدا أن تقع السماء على الأرض ، ولكنهم على يقين من إمساك الله بها فلم يعرف الصفتين »[2]. وفي ذلك بيان لتمكن المعنى في الفاصلة ، وعلاقته بمقطع كل آية ورد فيها صفة مناسبة لذلك المقطع .

ثانيا : التصدير : ما توافق فيه صدر الآية والفاصلة في اللفظ ، ومثال التصدير قوله تعالى : **((انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً))** {سورة الإسراء:21} فقد ورد في صدر الآية قوله : **(فضلنا)** ، ومنه نتوقع أن تختم الآية بقوله : **(تفضيلا)** أي إن صدر الآية ينبئ عن خاتمتها .

ثالثا : التوشيح : « ويسمى به لكون نفس الكلام يدل على آخره ، نزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح ، اللذين يجول عليهما الوشاح ، ولهذا قيل فيه : إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها » [3] ، وهذا النوع يختلف عن التصدير . وقد ورد التوشيح في قوله تعالى : **((وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ))** {سورة يس : 37 } ، ((فإنه من كان حافظا لهذه السورة ، متيقظا إلى أن مقاطع فواصلها النون المردفة ، وسمع في صدر هذه الآية : **((وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ))** علم أن الفاصلة **((مُّظْلِمُونَ))** ، فإن من انسلخ النهار عن ليله أظلم ما دامت تلك الحال » [4]. اتضح الفرق بين التوشيح والتصدير ، فالتصدير ذكر لفظة في صدر

---

[1] - البرهان في علوم القرآن 1 / 70 ، 71
[2] - من مظاهر الدقة في الاستعمال القرآني 18 ، بحث مخطوط وغير منشور
[3] - البرهان في علوم القرآن 1 / 79
[4] - البرهان في علوم القرآن 1 / 79

الآية تختم بها الآية ، أما التوشيح فهو ذكر معنى ورد في صدر الآية ، وما ورد في الآية من انسلاخ النهار يُعلم منه الختم بالظلام .

رابعا : الإيغال : « وسمي به لأن المتكلم قد تجاوز المعنى الذي هو آخذا فيه ، وبلغ إلى زيادة على الحد)) [1]. وقد ورد الإيغال في قوله تعالى : **((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ))** {سورة النمل : 80} ، يقول الزركشي : « فإن المعنى قد تم بقوله : **((وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء))** ، ثم أراد أن يعلم تمام الكلام بالفاصلة فقال : **((وَلَّوْا مُدْبِرِينَ))** . فإن قيل : ما معنى **((مُدْبِرِينَ))** وقد أغنى عنها **((وَلَّوْا))** ؟ قلت : لا يغني عنها **((وَلَّوْا))** ، فإن التولي قد يكون بجانب دون جانب .. ولا شك أنه سبحانه لما أخبر عنهم أنهم صم لا يسمعون أراد تتميم المعنى بذكر توليهم في حال الخطاب ، لينفي عنهم الفهم الذي يحصل من الإشارة ، فإن الأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة . ثم إن التولي قد يكون بجانب ، مع لحاظه بالجانب الآخر ، فيحصل به إدراك بعض الإشارة ، فجعل الفاصلة **((مُدْبِرِينَ))** ليعلم أن التولي كان بجميع الجوانب » [2].

ونظر المتبحرون في القرآن إلى علاقات التجاور بين الآيات ، وما يؤديه من تصحيح القراءة والمناسبة بين الآية وما تقدمها ، وقد نقل البقاعي : « روى عبد الرزاق عن ابن عيينة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قال ابن مسعود (رضي الله عنه) : إذا سأل أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا ، فليسله عما قبلها . يريد – والله أعلم – أنّ ما قبلها يدله على تحرير لفظها ، بما تدعو إليه المناسبة » [3].

والمناسبة بين أول الآية وآخرها كما تقدم بلغ بها بعض المفسرين المتبحرين مبلغا تجاوز علاقة المناسبة بين الآية وخاتمتها إلى العلاقة بين الآيات ، والعلاقة بين السور فيما سمي (علم المناسبات) ، وفائدة هذا العلم « جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير حاله حال البناء المحكم ، والمتلائم الأجزاء » [4]. ويكون الجعل في الذهن؛ لأن واقع حال القرآن أنه كالبناء المحكم . وموضوع هذا العلم « علم تعرف منه علل الترتيب ، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب ، فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة ، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال»[5].

---

[1] - م . ن 1 / 80

[2] - م . ن

[3] - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور 1 / 154

[4] - البرهان في علوم القرآن 1 / 41

[5]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 5 ، 6

ويعد أبو مسلم الأصفهاني المعتزلي (ت 322 هـ)[1] في تفسيره (جامع التأويل) ، أول من أشار إلى أهمية الترابط بين الآيات للوصول إلى المعنى ، وكان الفخر الرازي معجبا بتفسيره ، وقد امتدحه بقوله : « وأبو مسلم حسن الكلام في التفسير كثير الغوص على الدقائق واللطائف » [2]. وبيّن جامع تفسير أبي مسلم الدكتور خضر محمد نبها ، منهج أبي مسلم الأصفهاني ، الذي يعتمد على (النظم) في بيان تعلق الآيات بعضها ببعض ، واهتمامه بالمناسبة بين الآيات في السورة الواحدة ، ففي سورة البقرة يربط أبو مسلم ما بين الآية في قوله تعالى : **((مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))** {سورة البقرة : 105} ، والآية في قوله تعالى : **((مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** {سورة البقرة : 106}، ويرى النظم بينهما : « إنه سبحانه لما عاب اليهود بأشياء و رد عليهم ما راموا به الطعن في أمر نبينا (صلى الله عليه وآله وسلّم) وكان مما طعنوا فيه أنه يقول بنسخ كل شريعة تقدمت شريعته فبيّن الله سبحانه جواز ذلك » [3].

وفي سورة البقرة يبيّن صلة قوله تعالى : **((لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** {سورة البقرة : 284} ، بقوله تعالى : **((وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ))** {سورة البقرة : 283} ، وفي كيفية النظم ، يقول أبو مسلم : « إنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة : **((وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ))** ، ذكر عقيبه ما يجري مجرى الدليل العقلي فقال : **((لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ))** ، ومعنى هذا الملك أن هذه الأشياء لما كانت محدثة فقد وجدت بتخليقه وتكوينه وإبداعه ، ومن كان فاعلا لهذه الأفعال المحكمة المتقنة العجيبة الغريبة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع العظيمة لا بد وأن يكون عالما بها إذ من المحال صدور الفعل المحكم المتقن عن الجاهل به ، فكان الله تعالى احتج بخلقه السموات والأرض مع ما فيها من وجوه الإحكام والإتقان على كونه تعالى عالما بها محيطا بأجزائها وجزئياتها » [4].

---

[1] - اسمه محمد بن علي بن بحر الأصفهاني ، من أصفهان ، معتزلي من كبار الكتاب ، كان عالما بالتفسير وبغيره من صنوف العلم ، له تفسير يسمى (جامع التأويل) جمع سعيد الأنصاري الهندي نصوصا منه وردت في (تفسير الفخر الرازي) وسماه (ملتقط جامع التأويل لمحكم التنزيل) ، وأعاد جمع تفسيره الدكتور خضر محمد نبها من تفسير فخر الدين الرازي ، وتفسير الطوسي ، وتفسير الطبرسي ، وما نقله ابن طاوس في كتاب سعد السعود ، وعن كتاب (تنزيه الأنبياء والأئمة) للشريف المرتضى ، ينظر : تفسير أبي مسلم الأصفهاني 6 ، ينظر : الوافي بالوفيات 2 / 244 ، وكشف الظنون 538 ، ومعجم المفسرين 2 / 498

[2] - التفسير الكبير 8 / 44

[3] - مجمع البيان 1 / 324 ، وينظر : تفسير أبي مسلم الأصفهاني : 45

[4] - التفسير الكبير 7 / 134 ، وينظر : تفسير أبي مسلم الأصفهاني 76 – 77

والجهد الذي قام به جامع التفسير جهد طيب يستحق الثناء ، فلو أنْ التفسير وصل إلينا لاتضح بشكل جلي اتصال هذا التفسير بعلم المناسبة ، ويكفي للدلالة على أولية هذا العالم في علم المناسبة ما امتدحه به فخر الدين الرازي ، الذي كتب في هذا العلم كما سنبين ذلك .

وقد نقل الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) عن الشيخ أبي الحسن الشهرباني (ت 672 هـ) ، أول من أظهر هذا العلم ، في قوله : « أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ، ولم نكن سمعناه من غيره الإمام أبو بكر النيسابوري [1] ، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب ، وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية : لِمَ جعلت هذه الآية جنب هذه ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب السورة ؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة » [2] .

وتحديد الشهرباني مدينة بغداد بالخصوص من ورائه قصد هو « أن هناك من كان يلهج به في بلاد أخرى ، ولعل علماء بغداد حين نبههم النيسابوري إلى هذا العلم وعاب عليهم عدم علمهم به، بحثوا عنه ، وعمن تكلم فيه ، واهتم به وذهب إليه ، فتناهى إليهم من يتكلم به في وقتهم في تلك البلاد ، وقبل وقتهم أيضا ، فكانت عبارة الشهرباني التي تحصر أولية إظهار هذا العلم في بغداد في جهود النيسابوري » [3]. ولعل هذا العلم كان معروفا في غير بغداد ، ولعل أبا مسلم الأصفهاني قد سبقه بذلك .

وأبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري (ت 403 هـ) له في كتابه (إعجاز القرآن) دراسة يبحث فيها عن المناسبة بين المعاني المختلفة في بعض آيات القرآن ، وقد تناول سورتي النمل وغافر ، ووقف فيهما عند مواضع التخلص من معنى إلى آخر ، وبيّن كيف يتم الانتقال من غرض إلى غرض بطريقة عجيبة يأتلف فيها المختلف ، وتندمج فيها المعاني المتنوعة ، يقول في ذلك : « تأمل السورة التي يذكر فيها النمل ، وانظر في كلمة كلمة ، وفصل فصل : بدأ بذكر السورة ، إلى أن بيّن أنْ القرآن من عنده .. ثم وصل بذلك قصة موسى (عليه السلام) ، وأنّه رأى نارا ، فقال لأهله امكثوا : **((إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ))** {سورة النمل : 7} » [4].

وبيّن الباقلاني طريقة القرآن في سرد قصة موسى في سورة طه ، في قوله تعالى : **((إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى))** {سورة طه : 10} وما ورد في سورة القصص في قوله تعالى : **((فَلَمَّا قَضَى مُوسَى**

---

[1] - هو عبد الله بن محمد بن زياد الحافظ النيسابوري ، وكان إمام عصره في الشافعية بالعراق توفي (324 هـ) ، ينظر : سير أعلام النبلاء 15 / 65 ، والوافي بالوفيات 17 / 480

[2] - البرهان في علوم القرآن 1 / 36

[3]- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية ، بحث منشور في مجلة الأحمدي ، العدد 11 ص (20 – 30)

[4] - إعجاز القرآن 287

الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)) {سورة القصص : 29} ، وقال : « قد تصرف في وجوه ، وأتى بذكر القصة على ضروب ، ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك .. ليكون أبلغ في تعجيزهم ، وأظهر للحجة عليهم . وكل كلمة من هذه الكلمات ، وإن أنبأت عن قصة فهي بليغة بنفسها تامة في معناها »[1]. ويتضح من كلام الباقلاني أنّه تنبه إلى أن هناك مناسبة بين موضوع السورة وما ورد فيها من قصة .

وأبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (ت 420 هـ) ، دون دروسا أملاها في بيان المناسبة ، ونقلها تلميذه وقال : « أملاها لما خلا فيها ، ولم يحضره غيري ممن يسوغ له حمل ما يكتب فيه ، ويكتب به ، فكتبت عن لفظه المسائل والأجوبة »[2]. وسمّى الخطيب الإسكافي هذه الدروس (درة التنزيل وغرة التأويل) ، وكان منهجه في بيان المناسبة أن يبدأ بعبارة : « للسائل أن يسأل فيقول » أو « للسائل أن يسأل عن كذا » أو نحو ذلك ، ويبدأ الإجابة غالبا بعبارة « الجواب أن يقال»[3]، « الجواب عن ذلك أن يقال»[4] ثم يأتي الجواب وفيه توجيه للمناسبة التي ورد فيها الاختلاف بين اللفظين أو التعبيرين أو السياقين .

ولا يخفى أن المسائل المذكورة في هذا الكتاب هي من متعلقات العلم المسمى بـ(علم المتشابه من القرآن) وهو علم جليل الشأن له اتصال بعلم المناسبات ، ويرى السيوطي أن المتشابه : « يتداخل مع نوع المناسبات »[5].

وأشار السيوطي إلى من أفرده بالتصنيف وهم : الكسائي ، والسخاوي ، وألف في توجيهه الكرماني كتابه (البرهان في متشابه القرآن) . وأحسن منه (درة التنزيل وغرة التأويل) لأبي عبد الله الرازي وأحسن منها كلها (ملاك التأويل في متشابه التنزيل) لأبي جعفر بن الزبير . وللقاصي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سمّاه (كشف المعاني عن متشابه المثاني) . وللسيوطي في أسرار التنزيل كتابه سمّاه (قطف الأزهار في كشف الأسرار)[6].

وعبد الله بن يوسف بن محمد الجويني النيسابوري (ت 438 هـ)[7] ، له تفسير ذكر فيه فيه المناسبات ، ونُقل عنه بيان وجه الاتصال بين قوله تعالى : **((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ))** {سورة البقرة : 114} ، وبين قوله تعالى : **((وَلِلّهِ**

---

[1] - م . ن 288
[2] - درة التنزيل وغرة التأويل 1 / 215
[3] - م . ن 1 / 201 ، 1 / 257
[4] - م . ن 1 / 477
[5] - معترك الأقران في إعجاز القرآن 1 / 66 ، وينظر : الإتقان في علوم القرآن 5 / 1866
[6] - ينظر : معترك الأقران 1/ 67
[7] - عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعي والد إمام الحرمين (ت 438 هـ) وتفسيره المذكور مخطوط ، ينظر : طبقات المفسرين 1/ 253

الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) {سورة البقرة : 115} « قال الشيخ أبو محمد الجويني في تفسيره ، سمعت أبا الحسين الدهان يقول : وجه اتصالها هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق ، أي فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوها ، فإن لله المشرق والمغرب» [1].

واستمر التأليف في علم المناسبة عن طريق السؤال والجواب عند تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني (ت 500 هـ) وذلك في كتاب سمّاه (غرائب التفسير وعجائب التأويل) ، وقال في خطبة هذا الكتاب : « فإن أكثر العلماء والمتعلمين في زماننا يرغبون في غرائب تفسير القرآن وعجائب تأويله ويميلون إلى المشكلات المعضلات من أقاويله فجمعت في كتابي هذا منها ما أقدّر أن فيه مقنعا لرغبتهم ومكتفى لطلبتهم » [2].

وذكر في هذا الكتاب المناسبة بين السور ، وأشار إلى مناسبة فواتح السور لخواتمها ، ففي سورة ص قال : « بدأ السورة بالذكر وختمها بالذكر » [3]. وقال في سورة القلم : ((ختم السورة بذكر ما بدأ به » [4]. وتكلم عن ارتباط أسماء السور لمقاصدها بقوله : « وسميت هذه السور السبع (حم) على الاشتراك في الاسم لما بينهن من التشاكل الذي اختصت به ، وهو أن كل واحدة استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب ، مع تقارب المقادير في الطول والقصر وتشاكل الكلام في النظام » [5].

وله كتاب سمّاه : (البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) ، ويعتمد فيه على السياق في توجيه المناسبة ، وقال في مقدمته : « هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن ، وألفاظها متفقة ، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم ، أو إبدال حرف مكان حرف ، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين ، أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ، ولا نقصان ، وأبين ما السبب في تكرارها ، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير والإبدال ، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى ، وهل يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ؟ » [6].

وأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) يظهر اهتمامه بعلم المناسبة في تفسيره : (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) ، وهو مرتبط بدراسته

---

[1] - البرهان في علوم القرآن 1 / 47
[2] - غرائب التفسير وعجائب التأويل 1 / 87
[3]- م . ن 2 / 1007
[4] - م . ن 2 / 1242
[5] - المصدر السابق 2 / 1037
[6] - البرهان في توجيه متشابه القرآن 19 – 20

للنظم ، « النظم الذي هو أم إعجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدي ومراعاته أهم ما يجب على المفسر » [1] . وهو وإنْ لم يصرح بذكر المناسبة ، إلا أنّه كان متبعا من تقدمه في صيغة السؤال والجواب في بيان وجه الارتباط بين آيات القرآن الكريم ، « فهو وإن لم يستخدم كلمة المناسبة قط ، فإنّه كان يستعمل صيغة استفهامية يعبر ما يتلوها عن وعي بالترابط وكيفيته ، ومن ذلك على سبيل المثال : قوله (فإن قلت : من المأمور بقوله: (بشر) ، قلت) .. وقد يتم ذلك بصيغة تقريرية كقوله : (وذلك) » [2].

وأشار الزمخشري إلى حسن نظم القرآن وترتيبه : « انظر إلى بلاغة هذا الكلام ، وحسن نظمه وترتيبه ، ومكانة إضماده ، ورصانة تفسيره ، ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق » [3].

ويرى الزمخشري أنّه لا يجوز في القرآن التناقض ؛ « لأن القرآن في حُكم كلام واحد» [4]. وفي تفسيره لقوله تعالى : **((وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون . فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))** {سورة الزمر : 47- 49} ، يقول : ((هذه الأسرار والنكت لا يبرزها إلا علم النظم ، وإلا بقيت محتجبة في أكمامها » [5].

وانتقل الاهتمام بعلم المناسبة كعلم مستقل إلى طور التأليف عند معاصر للزمخشري ، وهو أبو بكر بن العربي (ت 542 هـ) ، قال في كتابه (سراج المريدين)[6]: « ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ، ثم فتح الله لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه ، وجعلناه بيننا وبين الله ، ورددناه إليه » [7].

ورجح عبد الله بن محمد الصديق الغماري أنْ العالم الواحد هو النيسابوري : « ولعله يقصد الشيخ أبا بكر النيسابوري ، فإنّه أول من أظهر علم المناسبة » [8]. ويُعد ابن العربي أول من استعمل مصطلح (ارتباط الآي) للدلالة على المناسبة .

---

[1] - الكشاف 3 / 64
[2] - لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب 167
[3] - الكشاف 4 / 477
[4] - م . ن 4 / 138
[5] - المصدر السابق 5 / 311 ، 312
[6] - مخطوط ، وهو في الزهد والسلوك لخص فيه قواعد هذا العلم ، مع تحرير مسائله ، وابتعد فيه عن مسلك المتصوفة في شطحاتهم ، واعتمادهم على الأحاديث الموضوعة والضعيفة ، ينظر : كشف الظنون 2 / 984
[7] - البرهان في علوم القرآن 1 / 36
[8] - جواهر البيان في تناسب سور القرآن 15

ويشير ابن العربي في (سراج المريدين) إلى كتاب له في (ترتيب آي القرآن) وهو في توجيه المناسبات ، وقد ذكره في كتابه (الناسخ والمنسوخ) في أثناء تصديره سورة الأنعام ، يقول فيه : « والأحكام فيها قليل ، لعارض بينا وجهه في (ترتيب آي القرآن) ، وهو كتاب أخفيناه بعد أن جمعناه ، لما رأينا فيه من علوه على أقدار أهل الزمان ، وأنّه ليس له في هذه الأقطار حفي ، فوضعناه في سرب خفي » [1].

وفي النص السابق في (سراج المريدين) تصريح من ابن العربي بأنّ علم المناسبة علم مستقل ، وفيه دقائق وأسرار ، وروده في هذا الكتاب جعل عبد المتعال الصعيدي يزعم أنّه كتبه على طريقة المتصوفة ، ويقول : « لعل ابن العربي اعتمد في ذلك على مثل ما يعتمد عليه الصوفية في تفسير القرآن من علوم باطنية والهامات خفية ، وإشارات دقيقة ، فأتى في ذلك العلم بما رأى أنّه لا يمكن أنْ يفهمه الناس وضن به عليهم ، وهم معذورون في عدم إقبالهم على تلك الألغاز والرموز ، وابتعادهم عمّن لا يخاطبهم بلغة العقول ، بل بلغة بدأ عصرها بالأفول ، وانصرف الناس عنها إلى ما يفيدهم في هذه الحياة الدنيا » [2].

ولبيان منهج ابن العربي في إيراد المناسبات ، ودفع ما زعمه الصعيدي ، ننقل ما ذكره الزركشي عنه في تفسيره لقوله تعالى : **((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً))** {سورة النساء : 58} ، يقول ابن العربي « في تفسيره : وجه النظم أنه أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وقولهم : إن المشركين أهدى سبيلا ، فكان ذلك خيانة منهم ، فانجر الكلام إلى ذكر جميع الأمانات » [3]. وفي هذا النص نلحظ أنّ ابن العربي يبيّن مناسبة آية أداء الأمانات وعلاقتها بما سبقها بشكل مفهوم لا دخل لعبارات التصوف فيه ، فضلا عن أنّ كتاب (ترتيب آي القرآن) ، لم يصل إلينا .

وفخر الدين الرازي الشافعي (ت 606 هـ) اهتم بذكر مناسبات القرآن في تفسيره (مفاتح الغيب ، المسمى التفسير الكبير) ، ويعبر عن المناسبة بـ(الترتيب) ، ويرى أن كثيرا من النكات واللطائف تكمن في مثل هذه العلاقات بين السور والآيات ، وذكر في تفسيره لسورة البقرة: « ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة ، وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه ، وشرف معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته . ولعل

---

[1] - الناسخ والمنسوخ 2 / 210
[2] - الأقوال الحسان في حسن نظم القرآن 8 – 9
[3] - البرهان في علوم القرآن 1 / 36

الذين قالوا أنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا أنّي رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور » [1].

وقد أدرك عظم هذا العلم وقال : « اعلم أن من آتاه الله قريحة ونصابا وافيا من العلوم الإلهية الكشفية عرف أنّه لا ترتيب أحسن ولا أكمل من ترتيب آيات القرآن » [2].

ويقول أيضا في ربط الآيات الأولى من سورة آل عمران : « فقد ظهر أنه لا يمكن أن يكون كلام أقرب إلى الضبط ، وإلى حسن الترتيب ، وجودة التأليف من هذا الكلام » [3]. مع تحفظنا على عبارته (أقرب إلى الضبط) ، التي فيها جرأة في الكلام على القرآن الكريم . واعتنى الرازي ببيان المناسبات بين أجزاء الآية الواحدة ، وبين الآية والآية ، وبين الافتتاح والختام ، ويظهر تعرضه للوحدة الموضوعية في القرآن في أكثر من موضع إذ قال : « إن القرآن كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض ، والدليل عليه أنّه قد يذكر الشيء في سورة ثم يجيء جوابه في سورة أخرى (...) إنّ القرآن كالسورة الواحدة في عدم التناقض » [4]. ويقول الدكتور محمد حسين الذهبي في منهج الرازي في التفسير : ((قد قرأت في هذا التفسير ، فوجدت أنه يمتاز بذكر المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض ، وبين السور بعضها مع بعض ، وهو لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة بل كثيرا ما يذكر أكثر من مناسبة » [5].

وقد أشار فخر الدين الرازي إلى مصطلح المناسبة عند تفسيره لآخر سورة المائدة ، يقول : « مفتتح السورة من الشريعة ، ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته ، وقدرته ، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة ، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح ، وهذا المختتم» [6].

ويربط الفخر الرازي بين آخر الآية والآية التي بعدها ، ويعد هذا من أسباب فصاحة الكلام في قوله تعالى : **((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ))** {سورة فصلت : 6 – 7} ، ويقول : « إنّه تعالى أثبت الويل لمن كان موصوفا بصفات ثلاثة ... واحتج بعضهم على أن الامتناع من إيتاء الزكاة يوجب الكفر ... فلو لم يكن عدم إيتاء الزكاة كفرا لكان ذكره فيما بين الصفتين الموجبتين للكفر قبحا ؛ لأنّ الكلام إنما يكون فصيحا إذا كانت المناسبة مرعية بين أجزائه » [7].

---

[1] - التفسير الكبير 7 / 128
[2] - م . ن 27 / 125
[3] - م . ن 7 : 169
[4] - م . ن 30 / 214
[5] - التفسير والمفسرون 1 / 209
[6] - التفسير الكبير 12 / 147
[7] - م . ن 27 / 101

ويرجح فخر الدين الرازي المناسبة على سبب النزول في آية سورة فصلت : **((وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ))** :{ 44 }، ويربط بين الآية {44} ، وما تقدمها في الآية {5} ، فهي كالجواب للسؤال ، ويتعجب ممن يذهب إلى سبب النزول .

ويقول في ذلك موضحا : « نقلوا في سبب نزول هذه الآية أنّ الكفار لأجل التعنت ، قالوا لو نزل القرآن بلغة العجم فنزلت هذه الآية ، وعندي أن أمثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على القرآن ، لأنّه يقتضي ورود آيات لا تعلق للبعض فيها بالبعض ، وأنّه يوجب أعظم أنواع الطعن فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعاء كونه كتاباً منتظماً ، فضلاً عن ادعاء كونه معجزاً ؟ بل الحق عندي أنّ هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد ، على ما حكى الله تعالى عنهم من قولهم : **((قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ))** : { سورة فصلت : 5} وهذا الكلام أيضاً متعلق به ، وجواب له ، والتقدير : أنّا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أنْ يقولوا : كيف أرسلت الكلام العجمي إلى القوم العرب ، ويصح لهم أنْ يقولوا **((قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ))** ، أي من هذا الكلام **((وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ))** منه لأنّا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه ، أما لمّا أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب ، وبألفاظهم وأنتم من أهل هذه اللغة ، فكيف يمكنكم ادعاء أنّ قلوبكم في أكنة منها ، وفي آذانكم وقر منها ، فظهر أنّا إذا جعلنا هذا الكلام جواباً عن ذلك الكلام ، بقيت السورة من أولها إلى آخرها على أحسن وجوه النظم ، وأما على الوجه الذي يذكره الناس فهو عجيب جداً » [1].

والإمام أبو الحسن علي التجيني الحرالي المغربي (ت 637 هـ)[2] عنى في تفسيره (مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل) بذكر المناسبات وهو مما لا نظير له في ذلك، وقال عنه البقاعي : « وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا معزوا إليه في مواضع تليق به ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال ملكت جزءا من تفسيره .. فرأيته عديم النظير ، وقد ذكرت فيه المناسبات ، وقد ذكرت ما أعجبني منها وعزوته إليه » [3]. ويبدو من عبارة البقاعي (ذكرت ما أعجبني) تعدد أوجه المناسبة عنده ، وتفسير الحرالي هذا مفقود .

وقد قام الدكتور محمد بن شريفة بجمع تراث الحرالي في كتاب سمّاه (تراث الحرالي المراكشي في التفسير) وقال : ((وفيه تناول الحرالي القرآن الكريم آية آية ، بل كلمة كلمة ،

---

[1] - المصدر السابق 27 / 134

[2] - هو الإمام المفسر أبو الحسن علي بن الحسن التجيني المالكي الحرالي سكن حماة وله تفسير (مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل) أكثر البقاعي من النقل عنه

[3] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 7

وهذا التفسير مع الأسف ، مفقود الآن ، فيما أعلم ، ولا يوجد منه إلا نصوص أعجب بها الإمام البقاعي ، ونقلها في تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ومن حسن الحظ أن هذه النصوص كثيرة جدا » [1].

والعز بن عبد السلام (ت 660 هـ) أول من اعترض على التكلف في هذا العلم ، وقال : « إنّ من محاسن الكلام **أن** يرتبط بعضه ببعض ويتشبث بعضه ببعض لئلا يكون مقطّعا مبتّرا ، وهذا بشرط أنْ يقع الكلام في أمر متحد فيرتبط أوله بآخره ، فإنْ وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه ، فإنّ القرآن نزل على الرسول (عليه السلام) في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة ، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض إذ ليس يحسن أنْ يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب » [2].

ولكن على الرغم من وجود بعض التكلف في إيجاد المناسبات بين الآيات ، إلا أن ذلك ليس عذرا في رفض المناسبات المنطقية والمستحسنة والتي لا تكلف فيها . ولعل ما أوهم العز بن عبد السلام في قوله السابق ، هو نظرته إلى النصوص البشرية ، وما يرد فيها من فقدان المناسبة في الحالات المختلفة ، وهذا واضح من الأمثلة التي ضربها العز بن عبد السلام وهي : « أحدها : أن الملوك يتصرفون في مدة ملكهم بتصرفات مختلفة متضادة وليس لأحد أن يربط بعض ذلك ببعض . والمثال الثاني : الحاكم يحكم في يومه بوقايع مختلفة وأحكام متضادة ، وليس لأحد أن يلتمس ربط أحكامه ببعض . المثال الثالث : أن المفتي يفتي في مدة عمره أو في يوم من أيامه أو في مجلس من مجالسه بأحكام مختلفة وليس لأحد أن يلتمس ربط بعض فتاويه ببعض . المثال الرابع : إن الإنسان يتصرف في خاصته بطلب أمور موافقة ومختلفة ومتضادة ، وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض »[3]. وقد نقل الزركشي النص السابق وأضاف عليه عبارة (المناسبة علم حسن) [4] ، ولم يذكر هذه العبارة العز بن عبد السلام في المصدر الذي أخذنا منه النص السابق ، ونقل السيوطي عن الزركشي مقولة العز وتصرف في العبارة كثيرا ، وقدم وأخر .

والعلامة ابن النقيب الحنفي (ت 698 هـ) تصدى في تفسيره (التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير) إلى ذكر المناسبات ، وقال في هذا التفسير البقاعي

---

[1] - تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير 8
[2] - الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز 221
[3] - الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز 221
[4] - البرهان في علوم القرآن 1 / 42

: « وبعد أن وصلت إلى سورة الكهف ذُكر لي أنْ تفسير ابن النقيب الحنفي – وهو نحو ستين مجلدا – يذكر فيه المناسبات ، وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه ، فطلبت منه جزءا فرأيته كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها وإلى القصص لا جميع آياتها » [1] .

وأحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت 708 هـ) أفرد علم المناسبة بالتصنيف وألف فيه كتابا سمّاه : (البرهان في ترتيب سور القرآن) وقال فيه : « لم أر في هذا الضرب الخاص – يعني علم المناسبة – شيئا لمن تقدم وغبر، وإنّما ندر لبعضهم توجيه ارتباط آيات في مواضع مفترقات ، وذلك في الباب أوضح، ومجال الكلام فيه أفسح وأسرح ، وأما تعلق السور على ما ترتب في الإمام واتفق عليه الصحابة الأعلام فمما لم يتعرض له فيما أعلم ، ولا قرع أحد هذا الباب ممن تأخر أو تقدم » [2]. وقال البقاعي عن هذا الكتاب : « هو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط لا يتعرض فيه للآيات » [3].

وأيضا له كتاب سمّاه : (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل) ، وقد لفت فيه النظر إلى الارتباط بين الآيات والسياق ، وسلك في توجيه المناسبة بين الآيات مسلك دلالة السياق ، وقد أخذ بمنهج الخطيب الإسكافي في بيان المناسبة عن طريق السؤال والجواب ويذكر أنّ السبب هو الارتباط بالآية السابقة والسياق ، كما يلفت إلى المناسبة مع موضوع السورة ، وما يتكرر فيها من الألفاظ ، والصيغ والمعاني التي تميز كل سورة عما سواها .

وننقل ما ذكره في سورة فاطر : « وأما سورة الملائكة ، وجعلهم رسلا أولي أجنحة ، وإمساكه السماوات والأرض أن تزولا ، أبين شيء وأوضحه ، وليس من هذه الأوصاف العلية بمناسب لغير موضعه كمناسبة موضعه الوارد فيه» [4]. وكثير ما يتردد عنده مصطلح المناسبة ومشتقاته .

وأبو حيان الأندلسي (ت 745 هـ) من المفسرين الذين أولوا عناية للمناسبة بين الآيات والسور في تفسيره (البحر المحيط) ، وقال في فاتحته : « أبتدئ أولا بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها .. ثم أشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها إذا كان لها سبب ، ونسخها ، ومناسبتها وارتباطها بما قبلها » [5].

---

[1] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 7
[2] - البرهان في تناسب سور القرآن 71 ، 72
[3] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 5
[4] - ملاك التأويل 1 / 158
[5] - البحر المحيط 1 / 103

وقد استعمل لبيان الترابط المعنوي بين الآية والآية قوله : « ومناسبة هذه الآية لما قبلها » [1] ، ومن ثم يليها تلخيص لما سبق وتمهيد لما لحق ، يقول في قوله تعالى : **((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))** {سورة البقرة : 23} ، « مناسبة هذه الآية لما قبلها أنّه لما احتج تعالى عليهم بما يثبت الوحدانية ، ويبطل الاشتراك ، وعرفهم أنّ من جعل لله شريكا فهو بمعزل من العلم والتمييز أخذ يحتج على من شك في النبوة بما يزيل شبهته ، وهو كون القرآن معجزة ، وبين لهم كيف يعلمون أنّه من عند الله أم من عنده ، بأنْ يأتوا هم ومن يستعينون به بسورة من هذا، وهم الفصحاء البلغاء المجيدون حوك الكلام من النثار والنظام » [2].

ولأبي حيان طريقة في بيان المناسبة يسير عليها في كل التفسير ، أشار إليها في أواخر سورة البقرة ، وهي إشارة حسنة في توجيه المناسبات ، إذ يربطها بطرائق العرب في كلامها ، ويقول في قوله تعالى : **((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ))** {سورة البقرة : 285}، « وظهر بسبب النزول مناسبة هذه الآية لما قبلها ولما كان مفتتح هذه السورة بذكر الكتاب المنزل ، وأنه هدى للمتقين الموصوفين بما وصفوا به من الإيمان بالغيب ، وبما أنزل إلى الرسول ، وإلى من قبله ، كان مختتمها أيضا موافقا لمفتتحها ، وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أواخرها ، بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء ... وذلك من أبدع الفصاحة حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله وهي عادة للعرب في كثير من نظمهم ، يكون أحدهم آخذا في شيء ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر هكذا طويلا ثم يعود إلى ما كان آخذا فيه أولا » [3].

وقال الشيخ ولي الله محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي (ت 774 هـ) : وقد نعته الزركشي بأحد شيوخنا : « قد وهم من قال : لا يطلب للآي الكريمة مناسبة ؛ لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا (...) وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعددة ، أو ناظر فيها أو أملاها لذكر آية كل حكم على ما سئل ، وإذا رجع إلى التلاوة لم يتل كما أفتى، ولا كما نزل مفرقا (...) ومن المعجز البين أسلوبه ، ونظمه الباهر (...) والذي ينبغي في كل آية أن يبحث

---

[1] - م . ن 1 / 102 و 120 و 150
[2] - م . ن 1 / 243
[3] - المصدر السابق 2 / 378

أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها ، أو مستقلة ، ثم المستقلة ، ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له» [1].

وقد ذكر هذا النص البقاعي وقال : « ذكر ذلك في كلام منفرد على قوله تعالى : **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ))** {سورة الأنعام : 165} ، **((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ))** {سورة القصص :5} » [2].

وبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي الشافعي (ت 794 هـ) جعل علم المناسبة النوع الثاني في كتابه (البرهان في علوم القرآن) وسمّاه : (معرفة المناسبة بين الآيات) ودرس فيه آراء العلماء في علم المناسبة ، وذكر فيه أعلام علم المناسبة ، ومنهم الفخر الرازي وابن الزبير الغرناطي وابن العربي والنيسابوري ، وعز الدين بن عبد السلام ، وقد اقتصر في عنوان هذا النوع على المناسبات بين الآيات ، ونقل عن بعض الأئمة : « من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعا ، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة » [3].

واستفاد في بيان علم المناسبة من بابين من أبواب البلاغة هما : حسن التخلص [4]، وباب الاستطراد [5]. ويعني بحسن التخلص : « هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى من المعاني، فبينا هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره ، وجعل الأول سببا إليه ، فيكون بعضه آخذا برقاب بعض ، من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاما آخر ، بل يكون جميع كلامه كأنما أفرغ إفراغا » [6]. وقد أنكر أبو العلاء محمد بن غانم (ت 500 هـ)[7] ، أنْ يكون في القرآن حسن التخلص ، وقال : « ليس في القرآن الكريم منه شيء ، لما فيه من التكلف »[8]. وسبب إنكاره : « إنّ القرآن إنّما وقع ردا على الاقتضاب الذي هو طريق العرب من الانتقال إلى غير ملائم » [9].

وقد رد على إنكاره ضياء الدين ابن الأثير الجزري (ت 637 هـ) وقال : « وهذا القول فاسد ؛ لأنّ حقيقة التخلص إنّما هي الخروج من كلام إلى كلام آخر غيره بلطيفة تلائم بين الكلام الذي خرج منه ، والكلام الذي خرج إليه »[10]، ودلَّ على ترابط القرآن ، وحسن التخلص فيه بآيات كثيرة [11]، وكذلك ذكر الزركشي بعضا مما ذكره ابن الأثير وزاد عليه . والفرق بين

---

[1] - البرهان في علوم القرآن 1 / 42 ، 43
[2] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 6
[3] - البرهان في علوم القرآن 1 / 41
[4] - م . ن 1 / 46 وما بعدها
[5] - المصدر السابق 1 / 50 وما بعدها
[6] - المثل السائر 3 / 121
[7] - أديب من أفاضل عصره ، اتصل بنظام الملك ومدحه ، له ديوان شعر ، ينظر: سير أعلام النبلاء 20 / 360
[8] - البرهان في علوم القرآن 1 / 46
[9] - معترك الأقران في إعجاز القرآن 1 / 47
[10] - المثل السائر 3 / 128
[11] - م . ن 3 / 128 وما بعدها

الاستطراد وحسن التخلص كما قال السيوطي : ((الاستطراد من قصة إلى أخرى ، ثم العودة إلى الأولى وهو حقيقة الاستطراد ، وبه يفرق حسن التخلص، فإنّه ليس فيه العود إلى المعنى المتخلص منه » [1].

وقال الزركشي في الربط بين أحكام الأهلة وبين أحكام إتيان البيوت ، من خلال الاستطراد ، وذلك في قوله تعالى : **((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))** {سورة البقرة : 189} ، « إنّه من باب الاستطراد ، لما ذكر أنها مواقيت للحج ، وكان هذا من أفعالهم في الحج » [2]. فأنّه بعد قوله تعالى : **((وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا))** عاد إلى أحكام الحج . وقال الزركشي في حسن التخلص في قوله تعالى : **((وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ))** {سورة الشعراء : 69 ، 70 } ، إلى قوله تعالى : **((فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))** {سورة الشعراء : 102}، ((فهذا تخلص من قصة إبراهيم وقومه إلى قوله هكذا ، وتمني الكفار في الدار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسل ، وهذا تخلص عجيب» [3]. فانه تعالى لم يعد يعد إلى تفاصيل قصة إبراهيم .

وقد قلل البقاعي من شأن عمل الزركشي في المناسبة ، وقال : « ذكر الزركشي نحو أربع ورقات من مناسبات بعض الآيات ، وإذا تأملتها عظم عندك ما في هذا البحر الزاخر من نفائس الجواهر وبدائع السرائر»[4].

ومجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت 817 هـ) في كتاب سمّاه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) تعرض فيه لبيان الأهداف والمقاصد لسور القرآن ، وقال فيه : « أذكر في كل سورة على حدة سبعة أشياء : موضع النزول ، وعدد الآيات ، والحروف ، والكلمات ، وأذكر الآيات التي اختلف فيها القراء، ومجموع فواصل آيات السورة، وما كان للسورة من اسم ، أو أسمين فصاعدا ، واشتقاقه ، ومقصود السورة ، وما هي متضمنة له ، وآيات الناسخ والمنسوخ منها ، والمتشابه منها »[5].

ودرس فيه مقاصد السور بشكل مفصل وشمل سور القرآن كلها . ونمثل له في بيان مقصود سورة البقرة ، قوله : « وعلى الإجمال مقصود هذه السورة مدح مؤمني أهل الكتاب ،

---

[1] - قطف الأزهار في كشف الأسرار 1 / 375
[2] - البرهان في علوم القرآن 1 / 45
[3] - المصدر السابق 1 / 47
[4]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 9
[5] - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 1 / 55 ، 56

وذم الكفار ، كفار مكة ، ومنافقي المدينة ، والرد على منكري النبوة ، وقصة التخليق ، والتعليم ، وتلقين آدم » [1].

وبرهان الدين أبو الحسن البقاعي (ت 885 هـ) ، له في علم المناسبة كتاب سمّاه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ، وجمع فيه المناسبات بين الآيات والسور. وعرّف في تفسيره هذا علم المناسبات : بأنّه « علم تعرف منه علل الترتيب ، وموضوعه أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب ، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له بما وراءه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب ، فعلم مناسبات القرآن علم منه تعرف علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال » [2].

ونقل فيه قاعدة في معرفة المناسبة عن أبي القاسم المشدالي المغربي (ت 865 هـ): « الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن : هو أنّك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له ، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عن الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع القرآن ، وإذا فعلته تبيّن لك -إن شاء الله- وجه النظم مفصّلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة » [3].

ثم قال بعد تطبيقه لهذه القاعدة : ((وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب **أنّ** اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ؛ لأنّ اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه .. ومقصود كل سورة هاد إلى تناسبها » [4].

وافرد مقاصد السور في كتاب سمّاه (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور) وقال فيه : « لأجل اختلاف مقاصد السور ، تتغير نظوم القصص وألفاظها ، بحسب الأسلوب المفيد للدلالة على ذلك المقصد . مثال : مقصود سورة آل عمران: التوحيد ، ومقصود سورة مريم (عليها السلام) : شمول الرحمة ، فبدئت آل عمران بالتوحيد، وختمت بما بني عليه من

---

[1] - م . ن 1 / 134
[2] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 5 ، 6
[3] - المصدر السابق 1 / 11
[4] - م . ن 1 / 11 ، 12

الصبر ، وما معه مما أعظمه التقوى ، وكرر ذكر الاسم الأعظم الدال على الذات ، والجامع لجميع الصفات ، فيها تكريرا لم يكرر في مريم » [1].

وصرح في هذا الكتاب بقدم علم المناسبات القرآنية وانتشاره بين الصحابة والتابعين واعتمادهم إيّاه في فهم آي الكتاب الحكيم ، وقال : « هذا يسير من إجمال ما فصله كتاب (نظم الدرر) ، وحصّله من أفانين البلاغة والسور . فذلك البحر الخضم ، والطود العالي الأشم (...) وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا ، بما في سليقتهم من أفانين العربية ، ودقيق مناهج الفكر البشرية ، ولطيف أساليب النوازع العقلية ، ثم تناقص العلم حتى انعجم على الناس ، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون » [2].

ووصف في هذا الكتاب علم المناسبات ، وذكر أصله وسرّه ، وحقيقته ، وبيان الداعي إليه ، وذكر« إنّ هذا العلم الذي أفاض الله – وله الحمد – عليّ وأصله : بذل الرقة والانكسار والتضرع والافتقار ، لأدق العلوم أمرا ، وأخفاها سرّا ، وأعلاها قدرا ؛ لأنّه في الحقيقة إظهار البلاغة من الكتاب العزيز ، وبيان ذلك في كل جملة من جمله . فإنّ البلاغة – كما أطبقوا – مناسبة المقال مقتضى الحال . وهذا الكتاب لبيان الداعي إلى وضع كل جملة في مكانها ، وإقامة حجتها في ذلك وبرهانها ؛ لأنّ هذا العلم – على العموم – علم تعرف منه علل الترتيب » [3].

ويرى أيضا : « أنّ كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ، ويستدل عليه فيها ، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج ، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه ... فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتداء ، ثم انعطف الكلام إليه ، وعاد النظر عليه ، على نهج بديع ، ومرقى غير الأول منيع »[4].

وزعم البقاعي في غمرة المناسبات : « أنّه لا وقف تام في كتاب الله ، ولا على آخر سورة ((**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**)) {سورة الناس : 1} بل هي متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التي هي أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد » [5].

ويبدو أن الذي دعاه إلى هذا القول الغريب أنّه تغلغل في هذا الأمر فلاح له أنّ بين السور من التناسب ما يجعل الارتباط بينها شديدا ، وأنّ ذلك يقتضي أنْ يكون الوقف هنالك غير تام ، ويرى أن في مناسبة المعوذتين للفاتحة أنه سبحانه « قدم التعوذ الذي هو من درء المفاسد تعظيما للقرآن بالإشارة إلى أنْ يتعين لتاليه أنْ يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره ، لينال

---

[1] - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور 1 / 152
[2] - م . ن 1 / 153
[3] - المصدر السابق 1 / 141 ، 142
[4] - م . ن 1 / 149
[5] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 9

سؤله ومراده مما أودعه من خزائن السعادة بإعراضه عن العدو الحسود وإقباله على الولي الودود ، ومن هنا تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة » [1] .

وقال الطاهر بن عاشور في تقويم عمل فخر الدين الرازي والبقاعي : « إنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع ، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع » [2].

وجلال الدين السيوطي (ت911 هـ) وهو معاصر للبقاعي ، جعل النوع الثاني والستين للمناسبات في كتابه : (الإتقان في علوم القرآن) وأغلب ما فيه كلام الزركشي .

وقد عد في كتابه : (معترك الأقران) علم المناسبة فنا من فنون القرآن ووجها من وجوه إعجازه : « والوجه الثالث من وجوه إعجازه: حسن تأليفه ، والتئام كلمه وفصاحتها ، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن ، فجاء نطقه العجيب وأسلوبه الغريب مخالفا لأساليب كلام العرب ، ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له » [3].

وفي كتاب (قطف الأزهار في كشف الأسرار) للسيوطي اعتناء بعلم المناسبة ، وقال في هذا الكتاب عبد الله بن محمد الصديق الغماري : « وللحافظ السيوطي كتاب في أسرار التنزيل ، وصفه بأنه جامع لمناسبات السور والآيات ، مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة » [4]. وفيه يذكر المناسبة بين السور بعضها ببعض، كما ذكر في سورة النساء [5]. والآيات بعضها ببعض كما ذكر في قوله تعالى: **((وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ))** {سورة الأنعام :7} [6]. والآية الواحدة الواحدة ووجه الربط بين أجزائها ، كما ذكر في قوله تعالى: **((وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوّاً مُّبِيناً))** {سورة النساء :101}[7]. ويبين الفروق بين خواتيم بعض الآيات ، واستعمال لفظ معين في موضع ، ولفظ آخر في موضع آخر ، كما ذكر في قوله تعالى : **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))** {سورة الأنعام : 97} [8]. ويذكر مناسبة ختم السورة التي يفسرها بالخاتمة التي ختمت بها كما ذكر في قوله

---

[1] - م . ن 1 / 12
[2] - التحرير والتنوير 1 / 8
[3] - معترك الأقران 1 / 23
[4]- جواهر البيان في تناسب سور القرآن 15
[5]- ينظر : قطف الأزهار في كشف الأسرار 2 / 679
[6] - ينظر : م . ن 2 / 852
[7] - ينظر :م . ن 2 / 741
[8]- ينظر م . ن 2 / 913

تعالى: ((**لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)) {سورة المائدة:120} [1].

وأفرد السيوطي المناسبة بين السور في كتاب سمّاه (تناسق الدرر في تناسب السور) قال في مقدمته : « وقد أردت أن أفرد جزءا لطيفا في نوع خاص من هذه الأنواع ، وهو مناسبات ترتيب السور ليكون عجالة لمريده ، وبغية لمستفيده ، وأكثر ذلك من نتاج فكري ، وولاد نظري ، لقلة من تكلم في ذلك أو خاض في هذه المسالك . وما كان فيه لغيري صرحت بعزوه إليه ، ولا أذكر منه إلا ما استحسن ولا انتقاد عليه ، وقد كنت أولا سميته (نتائج الفكر في تناسب السور) لكونه من مستنتجات فكري كما أشرت إليه ، ثم عدلت وسميته (تناسق الدرر في تناسب السور) ؛ لأنه أنسب بالمسمى وأزيد » [2]. وفي النص السابق يبيّن السيوطي بشكل واضح أنّ مناسبات السور يقوم على الاجتهاد والاستنتاج .

وقد افرد التناسب بين فواتح السور وخواتمها برسالة سمّاها (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) ، وبيّن في مقدمتها المشتغلين بعلم المناسبة وقال : « فإن من علوم القرآن العظيم : مناسبة السور ومقاطعها ، كما أوضحته في (الإتقان) ، وكتاب (أسرار التنزيل) ، وقد صرح بذلك المحققون كصاحب الكشاف ، وشيخه محمود بن حمزة الكرماني صاحب البرهان في متشابه القرآن ، والغرائب والعجائب في التفسير ، والإمام فخر الدين ، والأصبهاني ، وغيرهم » [3].

وعبد الحميد الفراهي الهندي (ت 1349 هـ) قال في كتابه (دلائل النظام) : ((معرفة النظم في معاني الآيات والسور ، هو الموضوع لكتابنا هذا » [4]. وبيّن غرضه من هذا الكتاب وقال: « الكلام لا يفهم إلا بعد معرفة تراكيب أجزائه ، وتناسب بعضه ، بل معاني الأجزاء أنفسها لا يطلع على المراد منها إلا بعد الإطلاع على جهتها التأليفية .. وبالجملة محال أن تفهم كلاما من دون أن تعلم نسبة بعضها إلى بعض ، فإن أخذت كل جزء طويل على حدته ، غاب عنك بعض معانيه ، ثم إن قصرت عن فهم نسبة أجزاء هذا الجزء ، غاب عنك طرف آخر ، حتى إنك تنقص من فهمك شيئا فشيئا ، بقدر ما تقصر عن فهم النسب التي بين أجزائه ، فإذا تبين لك هذه النسب والروابط بين أجزائه ورأيت أنه كلام مربوط ، مسوق إلى عموده ظهر حسن بيانه » [5].

---

[1]- ينظر : م . ن 2 / 837 – 838
[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 54 – 55
[3]- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع 123 – 124 ، ضمن كتاب علم المناسبات في السور والآيات
[4]- دلائل النظام 12
[5] - م . ن 16

ويربط الفراهي بين المناسبة والمعنى ، فالكلام لا يفهم –حقيقة الفهم – إلا بعد معرفة تناسبه ، لذا فإن للمناسبة أثرا في توجيه المعنى بين الآيات مع بعضها وبين السور مع بعضها.

ويفرق الفراهي بين المناسبة والنظام ويقول : « والفرق بينهما ، أن التناسب إنما هو جزء من النظام ، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض ، لا يكشف عن كون الكلام شيئا واحدا مستقلا بنفسه ، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما ، ويغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئا واحدا . وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالهما، والآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بعد منها ، ولولا ذلك لما عجز الأذكياء عن إدراك التناسب » [1].

ويصل الفراهي إلى حقيقة ساطعة في دراسته لأهمية المناسبة ، ويقول : « إن كنت ممن يوقن بأن الله راعى النظام الحكيم في كلامه ، ورأيت أمرا قد قرن بأمر فلابد لك أن تطلب المناسبة، فهذا الطلب يهديك إلى أمور خفية لا يهتدي إليها من مر عليه ولم يتدبر ، فإن الأمر الواحد له جهات مختلفة واعتبارات شتى : فمن جهة هو يناسب بأمر ، ومن جهة أخرى بأمر آخر » [2].

وعبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني (ت 1413 هـ) تناول مناسبات السور على ترتيب المصحف وقال : « أردت – بمشيئة الله تعالى – أن أبين في هذا الكتاب مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض ، حسب ترتيبها في المصحف ، وهذا فن عزيز ، قل من تعرض له من العلماء ، على كثرة من تعرض منهم لفنون القرآن المتنوعة»[3]. وتكلم في مقدمة هذا الكتاب عن ثلاثة مسائل وقال في المسألة الثالثة : المناسبة علم شريف عزيز ، قل اعتناء المفسرين به لدقته ، واحتياجه إلى مزيد فكر وتأمل . وهو نوعان :

أحدهما : مناسبة الآي بعضها لبعض بحيث يظهر ارتباطها وتناسقها كأنها جملة واحدة .

وثانيهما : مناسبة السور بعضها لبعض : وهو أنواع ثلاثة : أحدها : تناسب بين السورتين في موضوعهما ، وهو الأصل والأساس . ثانيهما : تناسب بين فاتحة السورة والتي قبلها كالحواميم . ثالثها : مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها .. ويوجد نوع رابع من المناسبة ، وهو مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها [4].

---

1 - دلائل النظام 74
2- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان 43
3- جواهر البيان في تناسب القرآن 3
4 - ينظر : جواهر البيان في تناسب سور القرآن 16

وبعد هذا الاستعراض لنشأة علم المناسبة ولمن أهتم به نجدهم يبحثون في الربط بين الآيات أي ارتباط الآية بما قبلها وما بعدها ، والربط بين السورة أي بما قبلها وما بعدها :

1- المناسبة في الآية الواحدة : ويكون فيه البحث عن مناسبة آخر الآية لأولها ، وهذا النوع مهم ، وأكثر كلام علماء المناسبة فيه كما هو الحال في تصانيفهم التي ذكرناها .

2- المناسبة بين الآيات : وهو الربط بين الجمل المتجاورة في الآية الواحدة ، ومناسبتها للآية التي تقدمتها مما تخفى المناسبة بينهما أو تظهر .

3- المناسبة في السورة بالجملة ، أي معرفة مقاصد السورة : ويكون البحث عن مناسبة اسم السورة لمقاصدها ، وبيان ربط أجزاء السورة بعضها ببعض حتى تصير كالبناء المتلاحم الأجزاء ، وهذا النوع يوقفنا على الغرض الأساس الذي بنيت عليه السورة ، وارتباط الآيات بهذا المقصد والغرض ، « وقد تكون المناسبات بينها وبين محور السورة ظاهرة جلية ، وقد تكون دقيقة خافية ، وكثيرا ما يكون التعرف على المناسبات بين المقاطع طريقا لمعرفة الهدف الأساسي من السورة أو المحور الذي تدور حوله السورة » [1].

4 – المناسبة بين السور : ويكون فيه البحث عن مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها أو البحث عن العلاقة الموضوعية بين السورتين من حيث الاشتراك في المضمون العام أو بعض الجزئيات ، بحيث تكون السورة اللاحقة مفصلة للسورة السابقة .

---

[1] - مباحث في التفسير الموضوعي 43

الفصل الأول

أثر المناسبة في الآية الواحدة

- توجيه المعنى في العدول عن الأصل في الفاصلة .
- توجيه المعنى في مشكلات الفواصل .
- توجيه المعنى عند اختلاف الفواصل والمحدث عنه واحد .

توجيه المعنى في العدول عن الأصل في الفاصلة

الناظر في آيات القرآن يجد ذلك التلاحم والترابط في الآيات ، بل كل كلمة في الآية إنّما رتبت لغاية ، ووضعت لتؤدي معنى وهدفا ، فلا تنافر ولا انفصام ولا تشتيت للمعنى ، ويكون التناسب في الآية الواحدة بين فواصل الآية ومضمونها ، وهذا من دقيق المناسبة في القرآن ولطيفه .

إنّ جمال الإيقاع في القرآن أول شيء اهتزت له الأذان العربية ، ولا جدل في أن للفواصل بلاغتها العليا ، « لكن الخلاف في شأن هذه الفواصل ، هل هي من قبيل ما يعرف بالسجع في فنون البديع ، أو هي شيء آخر؟ » [1].

ورأى الكثير من النقاد والدارسين أنّه لا يمكن وصف كلام الله تعالى بالكلام المسجع ، وعملوا على استبدال مصطلح السجع بالفاصلة ؛ لأن السجع لغة مقترن بسجع الحمام ، قال أحمد بن فارس : « السين والجيم والعين أصل يدل على صوت متوازن .. ويقال سجعت الحمامة إذا هدرت »[2]، ويدل على خضوع المعنى للزخرفة اللفظية ، وهو ما لا يليق بكلام الله لذلك فالقرآن معجز لجمال وقعه في الأذن والنفس ، ومما زاد جمال الإيقاع فيه هذا الانسجام الصوتي ، والتناغم بين الكلمات والأصوات ، وما تؤديه من معان ، وقد تكلم بهذا الرماني ، والباقلاني ، والزركشي .

يرى الرماني أنّ الفواصل من أوجه بلاغة القرآن الكريم ، ويفرق بينها وبين الأسجاع بقوله :« الفواصل بلاغة والأسجاع عيب ؛ وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها . وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة ، إذ كان الغرض الذي هو حكمة إنما

---

[1]- الإعجاز البياني للقرآن 235
[2] - مقاييس اللغة 3 / 135

هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة ، فإذا كانت المشاكلة وصلة إليه فهو بلاغة وإذا كانت المشاكلة على خلاف ذلك فهو عيب ولُكنة ؛ لأنّه من غير الوجه الذي توجبه الحكمة »[1].

ويبيّن الرماني في النص السابق علاقة الفاصلة بإيصال المعنى للمتلقي وإفهامه له من غير تكلف في الفواصل وإقحام لها على النص ؛ لأنّ القرآن الكريم يهتم بالمتلقي ، ويهتم بإفهامه المعنى ، لهذا فالفاصلة ليست زخرفة شكلية بل هي جزء مهم من المعنى الذي يقف عنده القارئ عند إتمام المعنى .

ولمراعاة ما تقدم تبنى هذا التعريف الباقلاني ، وذكره في كتابه (إعجاز القرآن) [2] ، ورأى أنّه يمكن أنْ يتغير النظم من أجل مراعاة الفواصل : « وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على أن موسى أفضل من هارون (عليهما السلام) ولمكان السجع قيل في موضع : **((هَارُونَ وَمُوسَى))** {سورة طه : 70} ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : **((رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ))** {سورة الأعراف : 122} » [3]. ولكن مراعاة الفواصل مع مراعاة المعنى أمر لا يمكن تجاهله .

الفواصل في القرآن الكريم كما يذكر الرماني على وجهين : أحدهما على الحروف المتجانسة والآخر على الحروف المتقاربة ، فالحروف المتجانسة كقوله تعالى : **((طه . مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى))** {سورة طه : 1 - 2} ، وقوله تعالى : **((وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ))** {سورة الطور : 1 – 2} . وأما الحروف المتقاربة فكالميم من النون كقوله تعالى : **((الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))** سورة الفاتحة : 3 – 4 ، وكالدال مع الباء في قوله تعالى : **((ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ))** {سورة ق : 1 ،2} .

وقال الزركشي في تعريفه للفاصلة : « هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر ، وقرينة السجع » [4]. وفي هذا التعريف ربط للفاصلة برؤوس الآي ، وقد شاع في كتب علوم القرآن استعمال مصطلح (رؤوس الآي) مع مصطلح الفواصل ، وقد فرق أبو عمر الداني (ت 444 هـ) بين الفواصل ورؤوس الآي ، بقوله : ((الفاصلة : هي الكلام التام المنفصل ممّا بعده ، والكلام التام قد يكون رأس آية ، وكذلك الفواصل يكُنّ رؤوس آية وغيرها، فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين ، وتجمع الضربين » [5].

---

[1] - النكت في إعجاز القرآن 97
[2]- إعجاز القرآن 409
[3]- م . ن 86
[4]- البرهان في علوم القرآن 1 / 52
[5]- البيان في عد آي القرآن 126

ومن خلال هذا التفريق يكون للفاصلة فائدة في الكلام ، وهي في الكلام العادي ، وقفات يستريح عندها المتكلم ، ومن خلالها يستطيع إيصال المعنى ، أما في الكلام المعجز - القرآن الكريم - فكلها بلاغة وحكمة ؛ لأنها كما يقول الرماني : « طريق إلى إفهام المعاني التي يحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها » [1] . فضلا عن أن الفاصلة تقع في القرآن عند الاستراحة في الخطاب « لتحسين الكلام بها وهى الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعا » [2].

إن العدول في الفواصل يوجب مخالفة الأحكام النحوية والصرفية والصوتية ، وعلى رغم ذلك لا يخرج كتاب الله عن دائرة الفصاحة والبلاغة ، بل يزداد فصاحة وبلاغة ، لإرتباط العدول بالمعنى ، أي ليس العدول لرعاية الفاصلة بل يكون العدول لأجل المعنى ، « لاشك أن المعنى هو الحصيلة النهائية للمنطوق بهيئته البنائية المعينة ، وما ينتظمه من عناصر أو لبنات منسوقة نسقا خاصا وفقا لقواعد نظم الكلام في اللغة . ولاشك أيضا أنّ كل منطوق له لون من الأداء الفعلي الذي يناسب طبيعة تكوينه ، وخواص نظمه ، ويطابق سياق الحال أو المقام » [3]. فالعلاقة بين الفاصلة والمعنى ليست علاقة زخرفة لفضية يمكن الاستغناء عنها ، بل الفواصل القرآنية جزء مهم من المعنى ، وفي بعض الأحيان لا يتم المعنى إلا بعد تمام الفاصلة .

وثمة من يرى أنّ العدول لرعاية الفاصلة ، وهناك من يرى العكس أي مراعاة المعنى بدليل ضربه للفاصلة إذا استحق المعنى ، وهناك بين بين .

ويمثل الرأي الأول ضياء الدين ابن الأثير في كتابه (المثل السائر) [4]، والزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) [5].

ويمثل الرأي الثاني الزمخشري في تفسيره (الكشاف) [6] ، وفخر الدين الرازي في تفسيره (التفسير الكبير)[7] ، والبقاعي في تفسيره (نظم الدرر) [8] .

ويمثل الرأي الثالث الدكتور تمام حسان في كتابه (روائع البيان)[9] ، ويقول برعاية الفاصلة والمعنى ؛ لأن« الفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة في كثير من آيات القرآن ، وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة . ولقد يتكلم البلاغيون في

---

[1] - النكت في إعجاز القرآن 98
[2]- البرهان في علوم القرآن 1 / 52
[3]- الأصوات اللغوية 623
[4]- ينظر : المثل السائر 2 / 212 – 214
[5]- ينظر : البرهان في علوم القرآن 3 / 175
[6] - الكشاف 1 / 56
[7]- التفسير الكبير 15 / 62
[8]- نظم الدرر 6 / 188
[9]- ينظر : البيان في روائع القرآن 1 / 190 – 201

أغراض التقديم والتأخير، فيوردون من أسباب ذلك أمورا تدور حول رعاية المعنى ، ربما جعلوا (الاهتمام بمدلول اللفظ) عنوانا يندرج تحته الكثير من هذه الأمور وهذا أمر لا اعتراض عليه . ولكنني لا أعلم واحدا منهم جعل من أغراض التقديم والتأخير الانتفاع بجرس اللفظ ، ربما تركوا ذلك لاهتمامات الشعراء أنفسهم عند اختيارهم للقوافي . أما في القرآن الكريم فإن أحد الأسباب يمكن أن يوصف بأنه : رعاية الفاصلة » [1].

ويقف الباحث مع الرأي الثالث ؛ لأن التصرف في نظم الجملة بالتقديم أو التأخير أو غيرهما ، يكون لغرض المعنى مع رعاية الفاصلة ، أي المناسبة بين المعنى والفاصلة ؛ لأن جرس اللفظ في الفاصلة له علاقة بالمعنى « فيقدم ويؤخر ، ويحذف ، وينعت ويعطف إلى آخر ذلك خدمة لمعناه ولفظه في وقت واحد » [2]. وتتنوع أشكال رعاية الفاصلة والمعنى بحسب بحسب مناسبة السياق كما يلي :

1- مناسبة التقديم والتأخير في الفاصلة

يرى الزركشي أن رعاية الفاصلة غرض ثالث من أغراض التقديم في جملة من الآيات بقوله : « الثالث : أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب ، فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة ، كقوله : **((وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ))** سورة فصلت : 37 ، بتقديم **(إياه)** على **(تعبدون)** لمشاكلة رؤوس الآي ، وكقوله : **((فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى))** {سورة طه : 67} ، فإنه لو أخر **(فِي نَفْسِهِ)** عن **(مُّوسَى)** ، فات تناسب الفواصل ؛ لأن قبله : **((يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى))** {سورة طه : 66} ، وبعده : **((إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى))** {سورة طه : 68} » [3]. يريد الزركشي أن يقول إن ما ورد في القرآن من مخالفة الظاهر أو العدول عن الأصل كان لمجرد رعاية الفاصلة ، ولكنّ للتقديم والتأخير أغراضا بلاغية تضاف لرعاية الفاصلة .

ففي تقديم المعمول على العامل في قوله تعالى : **((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))**:{سورة الفاتحة : 5} يرى الزمخشري أن التقديم والتأخير جاء لبيان الاختصاص وهو غرض بلاغي : « تقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى : **((قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ))** {سورة الزمر :64} **((أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً))** {سورة الأنعام :164} ، والمعنى نخصك بالعبادة ، ونخصك بطلب المعونة » [4].

---

[1] - البيان في روائع القرآن 1 / 198
[2]- بناء الجملة العربية 309
[3]- البرهان في علوم القرآن 3 / 150
[4]- الكشاف 1 / 56

وقد لحظ فخر الدين الرازي هذا المعنى ، وبيّن أن المعنى سيتغير لو قيل (نعبدك) ، وقال : « لم يفد نفي عبادتهم لغيره ؛ لأنه لا امتناع في أن يعبدوا الله ويعبدوا غير الله كما هو دأب المشركين ، أما لما قال **((إِيَّاكَ نَعْبُدُ))** أفاد أنهم يعبدونه ولا يعبدون غير الله»[1]، أو يستعينون بغير الله .

وخالف ضياء الدين ابن الأثير ما ذكره الزمخشري من الاختصاص ، وجعل التقديم والتأخير في الفاصلة لمراعاة حسن النظم السجعي ، أي رعاية الفاصلة التي هي على حرف النون ، ويقول : « قُدم لمكان نظم الكلام ؛ لأنه لو قال : نعبدك ونستعينك ، لم يكن له من الحسن ما لقوله : **((إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))** ألا ترى أنّه تقدم قوله تعالى : **((الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))** {سورة الفاتحة : 2 – 4} ؛ وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون ، ولو قال : نعبدك ونستعينك لذهبت تلك الطلاوة ، وزال ذلك الحسن » [2].

وفي مخالفة ابن الأثير شيء من عدم الصحة ؛ لتعلق التقديم والتأخير بالمعنى مع رعاية الفاصلة ؛ ولأن عبد القاهر الجرجاني يقول : « اعلم أن من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين ، فيجعل مفيدا في بعض الكلام وغير مفيد في بعض ، وأن يعلل تارة بالعناية ، وأخرى بأنه توسعة على الشاعر والكاتب حتى تطرح لهذا قوافيه ولذلك سجعه» [3].

وفي تقديم **(إياكم)** المفعول به على **(يَعْبُدُونَ)** الفعل ، وهو تقديم المعمول على العامل في قوله تعالى : **((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ))** : {سورة سبأ : 40} ، يرى البقاعي في هذا التقديم والتأخير أنه جاء للاختصاص : « وفي التعبير بما يدل على الاختصاص تنبيه لقريش على أنه لا يعتد من العبادة إلا بالخالص » [4].

وهذا انسب وأنه لما تقدم انفصل ولو تأخر لتصل ، أي يصبح : (يعبدونكم) ، فجاء هنا مع زيادة المعنى رعاية الفاصلة : « وإنما قدم ؛ لأنه أبلغ في الخطاب ولكون **(يَعْبُدُونَ)** فاصلة ، فلو أتى بالضمير متصلا كان التركيب : يعبدونكم ولم تكن فاصلة » [5].

وفي قوله تعالى : **((سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ))** {سورة الأعراف : 177} ، يرى الزمخشري وفخر الدين الرازي أنّ هذا التقديم والتأخير ورد للاختصاص ، كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم وما تعدى أثر ذلك الظلم عنهم إلى غيرها[6]. وهو

---

[1]- التفسير الكبير 1 / 250
[2] - المثل السائر 2 / 212
[3]- دلائل الإعجاز 110
[4]- نظم الدرر 6 / 188
[5]- البحر المحيط 7/ 273
[6]- ينظر : الكشاف 2 / 168 ، وينظر : التفسير الكبير 15 / 62

وهو منقطع عن الصلة قبله ، وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم فإن وباله لا يتخطاها ، ولذلك قدم المفعول . وقد حقق تقديم المفعول فيما تقدم من الآيات غرضين ، الأول : إيقاعي وهو إجراء الفاصلة مع ما تقدمها ، والثاني : بلاغي وهو الاختصاص .

وفي قوله تعالى : **((خُذُوهُ فَغُلُّوهُ . ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ))** :{سورة الحاقة :30 – 31} ، يرى الزمخشري وفخر الدين الرازي أنّ هذا التقديم والتأخير جاء للاختصاص الذي بمعنى الاستثناء أي معناه لا تصلوه إلا الجحيم ، وهي النار العظمى ؛ لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس [1] . بينما يرى ضياء الدين ابن الأثير أن هذا التقديم ، يمكن أن يكون « للفضيلة السجعية، ولا مراء في أن هذا النظم على هذه الصورة أحسن من أن لو قيل : خذوه فغلوه ثم صلوه الجحيم » [2]. ويرى الباحث أن التقديم والتأخير حقق غرضين ، هما رعاية المعنى ورعاية الفاصلة.

وفي تقديم المعمول على معمول آخر أصله التقديم ، كتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى : **((لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى))** :{سورة طه : 23 } ، وقوله : **(من آياتنا)** جار ومجرور متعلق بالمفعول الثاني ، حال من الكبرى ، يقول الزمخشري : « أي خذ هذه الآية أيضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى . أو لنريك بهما الكبرى من آياتنا . أو لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك » [3]. ويلحظ الزمخشري في التقديم والتأخير في الفاصلة التعدد الدلالي للآية القرآنية . ويؤكد ابن عطية أن التقديم والتأخير جاء لمراعاة الفواصل ولزيادة المعنى : « يحتمل أن يريد وصف الآيات بالكبر على ما تقدم من قوله : **((الْأَسْمَاء الْحُسْنَى))** : {8} ، و**((مَآرِبُ أُخْرَى))** : {18} ونحوه ، ويحتمل أن يريد تخصيص هاتين الآيتين فإنهما أكبر الآيات كأنه قال لنريك الكبرى فهما معنيان» [4].

ومراعاة المعنى ومناسبته للسياق دفعت بأبي حيان إلى أن يختار : « أن يكون **(من آياتنا)** في موضع المفعول الثاني ، و**(الكبرى)** صفة لآياتنا ؛ لأنّه يلزم من ذلك أنْ تكون آياته تعالى كلها هي الكبر ؛ لأنّ ما كان بعض الآيات الكبر صدق عليه أنّه **(الكبرى)** . وإذا جعلت **(الكبرى)** مفعولا لم تتصف الآيات بالكبر لأنّها هي المتصفة بأفعل التفضيل ، وأيضا إذا جعلت **(الكبرى)** مفعولا فلا يمكن أنْ يكون صفة للعصا واليد معا ؛ لأنّهما كان يلزم التثنية في

---

[1]- ينظر : الكشاف 4 / 608 ، ينظر : 30 / 114

[2]- المثل السائر 2 / 213

[3]- الكشاف 3 / 61

[4]- المحرر الوجيز 4 / 397

وصفيهما فكان يكون التركيب الكبريين ، ولا يمكن أنْ يخص أحدهما ؛ لأنّ كلا منهما فيها معنى التفضيل » [1].

وفي قوله تعالى : **((ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ))** :{سورة الحاقة 32} ، وقوله: **(فِي سِلْسِلَةٍ)** الجار والمجرور متعلق بقوله : **(فَاسْلُكُوهُ)** ، يقول الزمخشري: « أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة ، كأنّها أفضع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم » [2].

فالتقديم والتأخير جاء للاختصاص الذي بمعنى الاستثناء . بينما يرى ضياء الدين ابن الأثير أنّه جاء في هذه الآية ، « لمكان نظم الكلام ، ولا شك أن هذا نظم أحسن من أنْ لو قيل : ثم اسلكوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا » [3] ، وهو هنا يميل إلى رعاية الفاصلة .

وتقديم الظرف في قوله تعالى : **((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))** : {سورة القيامة 23 } يقول الزمخشري « تنظر إلى ربّها خاصة لا تنظر إلى غيره ، وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى إلى قوله : **((إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ))** : {12} ، **((إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ))** :{30} . كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ، ومعلوم أنّهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم » [4].

بينما يرى ضياء الدين ابن الأثير : « إنّما قدم لأجل نظم الكلام ؛ لأنّ قوله **((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))** أحسن من أنْ لو قيل يومئذ ناضرة ناظرة إلى ربها ، والفرق بين النظمين ظاهر» [5]. ويقصد بنظم الكلام هنا مراعاة التركيب والتناسب فيه ، ويلحظ ابن الأثير في التقدير المحتمل تجاور لفظتي (ناضرة وناظرة) ، وهذا التجاور يربك القارئ والمتلقي وهو وجه حسن لو جمع له رعاية المعنى .

وفي تقديم الضمير على ما يفسره في قوله تعالى : **((فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى))** : {سورة طه : 67} . تأخير **(موسى)** مع انه فاعل للفعل **(أوجس)** والأصل أن يتصل الفعل بالفاعل ويؤخر المفعول به إنْ كان في الجملة ، فتأخير ما أصله أنْ يقدم لحكمة . يقول الزركشي في بيان المناسبة : « هي أن النفس تشوق لفاعل **(أَوْجَسَ)** ، فإذا جاء بعد أن أخر وقع بموقع » [6] ، أي أن التقديم والتأخير جاء للتشويق لمن قام بالفعل .

---

[1]- البحر المحيط 8 / 72
[2]- الكشاف 4 / 608
[3] - المثل السائر 2 / 214
[4] - الكشاف 4 / 663
[5]- المثل السائر 2 / 218
[6] - البرهان في علوم القرآن 1 / 59

ويقول ضياء الدين ابن الأثير : « لما كان المقام لإظهار الخوارق على يديه فكان ربما فهم أنّه أوقعه في نفس أحد غيره ، كان المقام للاهتمام بتقديم المتعلق ، فقال لذلك لا لمراعاة الفواصل : **(في نفسه)** أي خاصة ، وقدم ما المقام له والاهتمام به فقال : **(خيفة موسى)** مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك على ما هو طبع البشر ، وللنظر إلى الطبع عبر بالنفس لا القلب مثلا » [1] .

ويقول بعد ذلك أنّ الفاصلة تكون لمراعاة النظم « وإنما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل بالمفعول وبحرف الجر قصدا لتحسين النظم » [2].

وابن الأثير يصرح في هذه الآية أنْ التقديم والتأخير فيها جاء للاهتمام وهو غرض بلاغي ، ولمراعاة الفاصلة ، وهو غرض إيقاعي ، بينما رأيناه في الآيات السابقة يصرح بمراعاة الفاصلة فقط ، وهذا ما أرد أن يثبته الباحث عند الاستشهاد بقول عبد القاهر الجرجاني في النص السابق ، أن من الخطأ تقسيم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره ، فجعله مفيدا مرة وغير مفيد مرة أخرى .

وفي تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة في قوله تعالى: **((وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً))** :{سورة الإسراء : 13} **(يَلْقَاهُ مَنشُوراً)** صفتان للكتاب ، أو **(يَلْقَاهُ)** صفة و**(مَنْشُوراً)** حالٌ من يلقاه [3]. يرى السيد الطباطبائي في التقديم والتأخير ، « إشارة إلى أنّ كتاب الأعمال بحقائقها مستور عن إدراك الإنسان محجوب وراء حجاب الغفلة ، وإنّما يخرجه الله سبحانه للإنسان يوم القيامة فيطلعه على تفاصيله ، وهو المعني بقوله: **(يَلْقَاهُ مَنشُوراً)** . وفي ذلك دلالة على أنّ ذلك أمر مهيأ له غير مغفول عنه فيكون تأكيدا لقوله: **((وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ))** ؛ لأنّ المحصل أنّ الإنسان ستناله تبعة عمله لا محالة أما أولا فلأنّه لازم له لا يفارقه . وأما ثانيا فلأنّه مكتوب كتابا سيظهر له فيلقاه منشورا » [4] ، ويشير الطباطبائي إلى أن الفاصلة جاءت لتأكيد ما تقدمها من آيات .

وفي تقديم ما هو متأخر في الزمان في قوله تعالى : **((فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى))** : {سورة النجم : 25} ، يقول أبو حيان :« أي هو مالكهما ، فيعطي منهما ما يشاء ، ويمنع من يشاء ، وليس لأحد أن يبلغ منهما إلا ما شاء الله . وقدّم الآخرة على الأولى ، لتأخرها في ذلك، ولكونها

---

[1]- نظم الدرر 5 / 28 – 29

[2] - المثل السائر 2 / 221

[3]- ينظر : الكشاف 2 / 610

[4] - الميزان في تفسير القرآن 13 / 55 – 56

فاصلة ، فلم يراع الترتيب الوجودي » [1]، أي أنّه يقول برعاية الفاصلة . بينما يرى الآلوسي أنّ التقديم والتأخير في هذه الآية لمراعاة المعنى ولأجل الاهتمام : « قدمت الآخرة اهتماما برد ما هو أهمّ أطماعهم عندهم من الفوز فيها))[2] ؛ لأن المهم عندهم الآخرة وما فيها من نعيم مقيم لا زوال فيه بعكس الحياة الدنيا ، فقد انقطعوا عنها .

وفي قويه تعالى : **((وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى))** :{سورة الضحى : 4} ، تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن : « عدل البيان القرآني فيها عما هو مألوف ، ومتبادر من تقديم الأولى على الآخرة . وليس القصد إلى رعاية الفاصلة ، وهو وحده الذي اقتضى تقديم الآخرة هنا على الأولى . وإنما اقتضاه المعنى أولا ، في سياق البشرى والوعيد ، إذ الآخرة خير وأبقى ، وعذابها أكبر وأشد وأخزى . وبهذا الملحظ البياني قدمت الآخرة على الأولى في سياق البشرى للمصطفى بآية الضحى » [3].

وفي تقديم الفاضل على الأفضل في قوله تعالى : **((فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى))** :{سورة طه : 70} ، يقول فخر الدين الرازي : « إنّ فرعون ادعى الربوبية في قوله : **((أَنَاْ رَبُّكُمُ الأعلى))** {سورة النازعات : 24} والإلهية في قوله: **((مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إله غَيْرِي))** {سورة القصص : 38} ، فلو أنّهم قالوا : آمنا برب العالمين لكان فرعون يقول : إنّهم آمنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اختاروا هذه العبارة ، والدليل عليه أنّهم قدموا ذكر هارون على موسى ؛ لأن فرعون كان يدعي ربوبيته لموسى بناء على أنّه رباه في قوله : **((أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً))** {سورة الشعراء: 18} ، فالقوم لما احترزوا عن إيهامات فرعون لا جرم قدموا ذكر هارون على موسى قطعاً لهذا الخيال » [4] ، أي جاءت الفاصلة لدفع الإيهام وفي ذلك التفت جميلة من الفخر الرازي .

ويقارن أبو حيان ما ورد في سورة طه بما ورد في سورة الأعراف ، ويرجح التعدد الدلالي الذي كونته الفاصلة : « قدم موسى في الأعراف ، وأخر هارون لأجل الفواصل ولكون موسى هو المنسوب إليه العصا التي ظهر فيها ما ظهر من الإعجاز ، وأخر موسى لأجل الفواصل أيضا ... على أنه يحتمل أن يكون القولان من قائلين نطقت طائفة بقولهم : (رب موسى وهارون) ، وطائفة بقولهم : (رب هارون وموسى) ولما اشتركوا في المعنى صح نسبة

---

[1] - البحر المحيط 10 / 162

[2] - روح المعاني 20 / 2

[3]- الإعجاز البياني في القرآن 258

[4] - التفسير الكبير 10 / 439

كل من القولين إلى الجميع . وقيل : قدم (هارون) هنا لأنّه كان أكبر سناً من (موسى) . وقيل لأنّ فرعون كان ربَّى موسى فبدؤوا بهارون ليزول تمويه فرعون أنّه ربى موسى فيقول أنا ربيته . وقالوا: **(رب هارون وموسى)** ولم يكتفوا بقولهم برب العالمين للنص على أنهم آمنوا (برب) هذين وكان فيما قبل يزعم أنه رب العالمين » [1].

2 - **مناسبة الجنس في الفاصلة**

تأنيث ما أصله أن يذكر في آيتي سورة المدثر : **((كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ . فَمَن شَاء ذَكَرَهُ))** : {54 – 55} ، القاعدة أن يكون (تذكر) مراعاة لتذكير الضمير ولكن عدل إلى (تذكرة) يقول الزمخشري : « يعني تذكرة بليغة كافية ، مبهم أمرها .. والضمير في (إنّه) و(ذكره) للتذكر في قوله : **((فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ))** : {49} ، وإنّما ذُكّر ؛ لأنّها في معنى الذكر أو القرآن)) [2].

وفي إيثار تذكير اسم الجنس وإيثار تأنيثه في آية سورة القمر : **((تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ))** :{20} ، يقول الزجاج : « وقوله : (منقعر) النخل يذكر ويؤنث ، ويقال : هذا نخل، وهذه نخل ، فمنقعر على من قال : هذا نخل ومن قال : هذه نخل)) [3]. ويرى فخر الدين الرازي أنّ في تلك السورة كانت أواخر الآيات تقتضي ذلك لقوله : **(مُّسْتَمِرٌّ)** : : {19} **(ومنهمر)** : {11} **(ومنتشر)** : {7}، « فإنّ الكلام كما يزين بحسن المعنى يزين بحسن اللفظ ويمكن أن يقال : النخل لفظه لفظ الواحد ، كـ(البقل والنمل) ومعناه معنى الجمع ، فيجوز أن يقال فيه : (نخل منقعر ومنقعرة ومنقعرات) ، و(نخل خاوٍ وخاوية وخاويات) و(نخل باسق وباسقة وباسقات))) [4]. ويقول الطاهر بن عاشور : ((وصف النخل روعي في إفراده وتذكيره صورة لفظ نخل دون عدد مدلوله)) [5]. فمجيء الصفة مرة مؤنثة ومرة مذكرة لموصوف واحد مراعاة لأواخر الآيات بعد اعتبار المعنى .

3 - مناسبة العدد اللغوي في الفاصلة

الاستغناء بالإفراد عن التثنية في آية سورة طه : **((فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى))** : {117} ، لسائل أن يسأل : لم أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء

---

[1] - البحر المحيط 8 / 98

[2] - الكشاف 4 / 658

[3] - معاني القرآن وإعرابه 5 / 89

[4] - التفسير الكبير 14 / 497 – 498

[5] - التحرير والتنوير 27 / 194

دون حواء مع اشتراكهما في الفعل ؟ يقول فخر الدين الرازي : ((الجواب من وجهين : أحدهما : أنّ في ضمن شقاء الرجل وهو قيّم أهله وأميرهم شقاءهم كما أنّ في ضمن سعادته سعادتهم فاختص الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على رعاية الفاصلة . الثاني : أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة)) [1]. ويميل الباحث إلى الوجه الأول ؛ لأن فيه رعاية المعنى والفاصلة معا .

وفي الاستغناء بالإفراد عن الجمع في آية سورة الفرقان : **((وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً))** :{ 74} . يقول أبو حيان : ((أفرد (إماماً) إمّا اكتفاء بالواحد عن الجمع ، وحسنه كونه فاصلة ويدل على الجنس ولا لبس، وإمّا لأنّ المعنى : واجعل كل واحد (إماماً) ، وإمّا أنْ يكون جمع (آمّ) كـ(حال وحلال) وإمّا لاتحادهم واتفاق كلمتهم قالوا : واجعلنا إماماً واحداً دعوا الله أنْ يكونوا قدوة في الدين ولم يطلبوا الرئاسة)) [2]. أي أنّ جمع الفاصلة لغرض التعدد الدلالي .

وفي آية سورة الكهف : **((مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً))** :{51} ، أي اعضادا ، وإنما أفرد ليعدل رؤوس الآي بالإفراد والعضد المعين [3]. والفواصل السابقة هي (موعدا ، وأحدا ، وبدلا) فكانت (عضدا) هي الأنسب من جهة الالتحام مع سائر الفواصل .

يقول الآلوسي : ((إنما وضع ذلك موضع ضميرهم ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالإضلال وتأكيداً لما سبق من إنكار اتخاذهم أولياء ، والعضد في الأصل ما بين المرفق إلى الكتف ويستعار للمعين كاليد وهو المراد هنا ولكونه نكرة في سياق النفي عمّ وفسر بالجمع والإفراد لرؤوس الآي ، وقيل إنما لم يجمع ؛ لأنّ الجميع في حكم الواحد في عدم الصلاحية للاعتضاد ، أي وما كنت متخذهم أعواناً في شأن الخلق أو في شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي فضلاً عن الاستبدال الذي لزم فعلهم بناء على الشركة في بعض أحكام الربيوبية)) [4].

وفي الاستغناء بالتثنية عن الإفراد في آية سورة الرحمن : **((وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ))** : {46} ، ينقل الفراء في تثنية ما أصله أن يفرد : ((وقد يكون في العربية جنة تثنيها العرب في أشعارها .. وذلك أن الشعر له قواف يقيمها الزيادة والنقصان فيحتمل ما لا يحتمله الكلام)) [5].

---

[1] - التفسير الكبير 22 / 125

[2] - البحر المحيط 8 / 387

[3] - ينظر : البرهان في علوم القرآن 1 / 60

[4] - روح المعاني 15 / 296

[5] - معاني القرآن 5 / 68

ويرد عليه ابن قتيبه : ((وهذا من أعجب ما حمل عليه كتاب الله ، ونحن نعوذ بالله من أنْ نتعسَّف هذا التعسُّف ، ونجيز على الله – جل ثناؤه- الزيادة والنقص في الكلام لرأس آية ، وإنما يجوز في رؤوس الآي : أن يزيد هاء للسكت كقوله تعالى **((وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ))** {سورة القارعة : 10} ، وألفاً كقوله **((وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا))** {سورة الأحزاب : 10} ، أو يحذف همزة من الحرف ، كقوله **((أَثَاثاً وَرِئْياً))** {سورة مريم : 74} ، أو ياء كقوله ((**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ))** {سورة الفجر : 4} ، لتستوي رؤوس الآي ، على مذهب العرب في الكلام : إذا تم ، فآذنت بانقطاعه وابتداء غيره ؛ لأنّ هذا لا يزيل معنى عن جهته، ولا يزيد ولا ينقص))[1]. ويعتذر الزركشي عن الفراء : ((وكأن الملجئ للفراء إلى ذلك قوله تعالى **((وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى))** {سورة النازعات : 40 -41} ، وعكس ذلك قوله تعالى ((**فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**)) {سورة طه :117} ، على أنّ هذا قابل للتأويل ؛ فإن الألف وللام للعموم ، خصوصا أنّه يرد على الفراء قوله **((ذَوَاتَا أَفْنَانٍ))** {سورة الرحمن : 48})) [2]. ويقول فخر الدين الرازي أنّه ((لما قال تعالى في حق المجرم إنّه يطوف بين نار وبين حميم آن ، وهما نوعان ، ذكر لغيره وهو الخائف جنتين في مقابلة ما ذكر في حق المجرم ، لكنّه ذكر هناك أنّهم يطوفون فيفارقون عذابا ويقعون في الآخر ، ولم يقل : ههنا يطوفون بين الجنتين بل جعلهم الله تعالى ملوكا وهم فيها يطاف عليهم ولا يطاف بهم احتراما لهم وإكراما في حقهم)) [3]. وتوجيه الرازي لطيف جدا ؛ لأن النص القرآني يستعمل التقابل الجمالي لإيصال المعنى .

وفي الاستغناء بالجمع عن الإفراد في آية سورة إبراهيم : **((قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ))**:{31} .

وفي آية سورة البقرة جاءت في المقطع : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) :** { 254} ، يقول الطاهر بن عاشور : « إن المراد من الخلال هنا آثارها ، بقرينة المقام ، وليس المراد نفي الخلة ، أي الصحبة والمودة » [4] ، ويريد بقرينة المقام مناسبة المقام . فالخلة هي : «الصداقة وجمعها خلال ، والخلال تحتمل أن تكون جمع (الخلة) وتحتمل أن تكون مصدر (خاللت) أيضا الدال على المشاركة . وقد جاء بها بالجمع أو بالمصدر الدال على المشاركة ؛ لأنّه ذكر في آية

---

[1] - غريب القرآن 440
[2] - البرهان في علوم القرآن 1 / 60 – 61
[3]- التفسير الكبير 15 / 100
[4]- التحرير والتنوير 13 / 233

إبراهيم ما زاد على آية البقرة ... إن كلمة (الخلال) تحتمل معنيين في السياق ، أما (الخلة) فلها معنى واحد . فزاد معناها على معنى الخلة وشمل أكثر من معنى فناسب ذكر الخلال في إبراهيم دون البقرة » [1].

3 - مناسبة إيقاع شيء مقام شيء آخر في الفاصلة (الإحلال اللفظي)

الإحلال اللفظي : هو إيقاع لفظ محل لفظ آخر لدلالة بلاغية وحاجة سياقية . وفي إيقاع الظاهر موقع المضمر في آية سورة الأعراف : **((وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ))** : {170} ، ورد في الآية (اجر المصلحين) بدلا من (أجرهم) ، يقول الزمخشري : ((المعنى : إنا لا نضيع أجرهم ؛ لأنّ المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب)) [2].

وفي وقوع (مفعول) موقع (فاعل) في آية سورة الإسراء : **((وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً))** : {45} أي ساترا ، يقول فخر الدين الرازي : ((أنّه كان يجب أنْ يقال حجابا ساترا . والجواب عنه من وجوه :

الوجه الأول : أنّ ذلك الحجاب حجاب يخلقه الله تعالى في عيونهم بحيث يمنعهم ذلك الحجاب عن رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وذلك الحجاب شيء لا يراه فكان مستورا من هذا الوجه .

والوجه الثاني : في الجواب أنّه كما يجوز أنْ يقال لابن وتامر بمعنى ذو لبن وذو تمر فكذلك لا يبعد أن يقال (مستوراً) معناه ذو ستر))[3].

والوجه الثالث أورده عن الأخفش ((إنّ الفاعل قد يكون في لفظ المفعول كما تقول : إنّك مشئوم علينا وميمون ، وإنّما هو : شائم ويامن ؛ لأنّه من شأمهم ويمنهم ، والحجاب ههنا هو الساتر)) [4]. ويعلق الرازي على رأي الأخفش ((وتابعه عليه قوم ، إلا أنّ كثيرا منهم طعن في هذا القول ، والحق هو الجواب الأول)) [5] .

وفي وقوع (فاعل) موقع (مفعول) في آية سورة الحاقة : **((فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ)):** {21} ، يقول فخر الدين الرازي :((وصف العيشة بأنّها راضية فيه وجهان الأول : المعنى أنّها

---

[1] - من أسرار البيان القرآني 191

[2] - الكشاف 2 / 165

[3]- التفسير الكبير 10 / 65 - 66

[4] - معاني القرآن 2 / 424

[5] - التفسير الكبير 10 / 66

منسوبة إلى الرضا كالدارع والنابل ، والنسبة نسبتان نسبة بالحروف ونسبة بالصيغة . والثاني: أنّه جعل الرضا للعيشة مجازا مع أنّه صاحب العيشة)) [1].

4 - مناسبة الزيادة أو الحذف في الفاصلة

ومن مظاهر البلاغة في الفواصل زيادة بعض ما في الألفاظ أو حذفها ، يقول الزركشي : ((اعلم أنّ إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل حيث تطّرد متأكد جدا ، ومؤثر في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها في مواضع أحدها زيادة حرف لأجلها .. والثاني : حذف همزة أو حرف اطرادا)) [2].

وفي زيادة الحرف في الفاصلة زيادة حرف المد ، يحتاج المتكلمون إلى المد كثيرا في كلامهم ؛ ((ليكون المد عوضا من شيء قد حذفوه ، أو للين الصوت فيه)) [3] . ويكون ذلك في القلب : ((وهو إبدال التنوين بعد فتح غير هاء التأنيث ألفا ، وحذفه بعد ضم وكسر ، ومنه إبدال نون التوكيد الخفيفة بعد فتح ألفا)) [4] .

ويرى الدكتور تمام حسان هذا العدول ((لرعاية الفاصلة . فمن المقرر في القواعد أنّ الألف تنوب عن التنوين الذي بعد الفتحة عند الوقف ؛ ولأنّ التنوين الذي نابت عنه الألف لا يجتمع مع أداة التعريف (أل) خلت النصوص العربية من الجمع بينهما حتى في قوافي الشعر ، لأن الألف التي تجامع (أل) في قوافي الشعر ألف إطلاق وليست ألف إبدال أو تعويض)) [5].

وتأتي ألف الإبدال في القرآن في كلمات اقترنت بأداة التعريف في سورة الأحزاب : **((إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا))** :{10} . وفي قوله تعالى : **((يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا))** :{ 66 }. وفي قوله تعالى : **((وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا))** :{ 67 } ، في الآية الأخيرة الوقوف على النصب (الفتحة) بالألف يقول فخر الدين الرازي : ((لا شك في أنه منصوب على المصدر ولكن الاسم قد يجعل مصدرا كما يقال : ضربته سياطا ، وأدبته مرارا . فكأنه قال : ظننتم ظنا بعد ظن ، أي ما ثبتم على ظن فالفائدة هي أن الله تعالى لو قال : تظنون ظنا جاز أن يكونوا مصيبين فإذا قال : ظنونا ، تبين أن فيهم من كان ظنه كاذباً ؛ لأن الظنون قد تكذب كلها ، وقد يكذب بعضها إذا كانت في أمر (...) فقوله

---

[1]- التفسير الكبير 30 / 112
[2]- البرهان في علوم القرآن 1 / 57 – 58
[3]- المنصف شرح لكتاب التصريف 1 / 14
[4]- ينظر : من قضايا اللغة 101
[5] - البيان في روائع القرآن 1 / 200

: (الظنونا) أفاد أن فيهم من أخطأ الظن ، ولو قال : تظنون بالله ظنا . ما كان يفيد هذا))[1] ، الرازي يرى أن العدول إلى ألف الإبدال كان لمراعاة المعنى .

وقد اجتمع في سورة الأحزاب: **((فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا))** ، و**((يَهْدِي السَّبِيلَ))** ، وكلمة (السبيلا) مزيدة بالألف في آخر الآية الأولى ، وعلة ذلك أنّ الكلام في هذه الآيات عن هؤلاء وهم يمدون أصواتهم بها في النار ، على أنّه ليس في أول السورة عذاب ، فجاءت الآية الثانية على حالها (السبيل) وليست (السبيلا) ، فهي في الآية الثانية تصور الحالة الطبيعية من اصطراخهم في العذاب ، ويقول الزمخشري :« زيادة الألف لإطلاق الصوت : جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر ، وفائدتها الوقوف والدلالة على أنّ الكلام قد انقطع ، وأنّ ما بعده مستأنف »[2].

وحذف الحرف في الفاصلة ورد في حذف ياء المنقوص المعرّف في آية سورة الرعد: **((عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ))** : {9 } ، يقول أبو حيان : « ووجه حذفها مع أنها تحذف مع التنوين ، وإن تعاقب التنوين ، فحذفت مع المعاقب إجراء له مجرى المعاقب»[3].

وفي حذف الحرف الذي يعرب مفعولا في آية سورة الضحى : **((مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى))** :{ 3 } ، يكون للاختصار اللفظي ، يقول في ذلك الزمخشري : « حذف الضمير من (قلى) كحذفه من (الذاكرات) في قوله : **((وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ))** {سورة الأحزاب : 35} ، يريد والذاكراته ونحوه : (فآوى .. فهدى .. فأغنى) وهو اختصار لفظي لظهور المحذوف »[4].

ويرى فخر الدين الرازي أن حذف الكاف من وجوه : « أحدها حذفت الكاف اكتفاء بالكاف الأولى في (ودعك) ؛ ولأنّ رؤوس الآيات بالياء فأوجب اتفاق الفواصل حذف الكاف ، وثانيها : فائدة الإطلاق أنّه ما قلاك ولا أحد من أصحابك »[5].

ويجمع الرازي بين النظم السجعي أي رعاية الفاصلة وبين رعاية المعنى في هذين الوجهين . وتقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن : « إن حذف كاف من : **(وَمَا قَلَى)** مع دلالة السياق عليها ، تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقة واللطف ، هي تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى ، في موقف الإيناس، بصريح القول : ما قلاك ؛ لما في القلى من حس الطرد

---

[1] - التفسير الكبير 12 / 333
[2] - الكشاف 3 / 572
[3] - البحر المحيط 5 / 362
[4]- م .ن 4 / 771
[5] - التفسير الكبير 31 / 210

والإبعاد ، وشدة البغض ، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب ، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء » [1].

وفي حذف حرف الفعل غير المجزوم في قوله تعالى : **((وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ))** :{سورة لبفجر : 4}، يقول فخر الدين الرازي : « القول في ذلك أن الفواصل والقوافي موضع وقف ، والوقف موضع تغيير ، فلما كان الوقف تغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف والإسكان وروم الحركة فيها ، غيرت هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف ، وأما من أثبت الياء في يسري في الوصل والوقف فإنه يقول : الفعل لا يحذف منه في الوقف كما يحذف في الأسماء نحو : قاض وغاز ، تقول : هو يقضي وأنا أقضي فتثبت الياء ، ولا تحذف » [2].

وتقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن : « ويكفي للرد على من ذهبوا إلى حذف الياء في آيات الفجر ، لرعاية الفاصلة ، أن نلفت إلى أن القرآن الكريم لم يقتصر على حذفهما هنا في مقاطع الآيات ، ليسلم لهم القول بأن الحذف قصد إلى رعاية الفواصل ، وتماثل رؤوس الآيات ، وإنما حذفت ياء المضارع المرفوع المعتل الآخر ، وواوه أيضا ، وياء المنقوص مضافا ومعرفا بـ(أل) في أواسط الجمل ودرج الكلام ... أفلا يكون القائلون بالحذف لرعاية الفواصل قد تعجلوا بمثل هذا القول في آيات الفجر » [3].

وفي حذف ياء الإضافة في آية سورة القمر: **((فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ))**:{ 16} ، يقول فخر الدين الرازي: « النذر جمع نذير فهل هو مصدر كالنسيب والنحيب أو فاعل كالكبير والصغير؟ نقول : أكثر المفسرين على أنه مصدر ههنا ، أي كيف كان عاقبة عذابي وعاقبة إنذاري والظاهر أنّ المراد الأنباء ، أي كيف كان عاقبة أعداء الله ورسله ؟ هل أصاب العذاب من كذب الرسل أم لا ؟ فإذا علمت الحال يا محمد فاصبر فإنّ عاقبة أمرك كعاقبة أولئك النذر ولم يجمع العذاب ؛ لأنّه مصدر ولو جمع لكان في جمعه تقدير وفرض ولا حاجة إليه » [4].

5 - مناسبة الجملة في الفاصلة

في إيراد الجملة التي رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة في الاسمية والفعلية ، وذلك في آية سورة البقرة : **((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ))** :{ 8 } ، يقول الزمخشري : « فإنْ قلت : كيف طابق قوله : **((وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ))** قولهم : **((آمَنَّا بالله وباليوم الأخر))** والأول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل ، والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل ؟ قلت : القصد إلى إنكار ما ادعوه ونفيه ، فسلك في ذلك طريقا أدّى إلى الغرض

---

[1] - الإعجاز البياني للقرآن 250
[2] - التفسير الكبير 17 / 4
[3]- الإعجاز البياني في القرآن 252
[4]- التفسير الكبير 14 / 490

المطلوب . وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره ، وهو إخراج ذواتهم وأنفسهم من أنْ تكون طائفة من طوائف المؤمنين ، لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الإيمان . وإذا شهد عليهم بأنّهم في أنفسهم على هذه الصفة ، فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفى ما انتحلوا إثباته لأنفسهم على سبيل البت والقطع »[1].

وفي إيراد أحد القسمين غير مطابق للآخر ، في سورة العنكبوت : **((وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ))** :{3} . ورد **(صَدَقُوا)** بصيغة الفعل ، و**(الْكَاذِبِينَ)** بصيغة اسم الفاعل ، يقول فخر الدين الرازي : « إنّ اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه ، والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال : (فلان شرب الخمر) و(فلان شارب الخمر) و(فلان نفذ أمره) و(فلان نافذ الأمر) ، فإنّه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ومن اسم الفاعل يفهم ذلك . إذا ثبت هذا فنقول : وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالإسلام في أوائل إيجاب التكاليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه ، فقال في حق المؤمنين : **(الَّذِينَ صَدَقُوا)** بصيغة الفعل أي وجد منهم الصدق ، وقال في حق الكافر **(الْكَاذِبِينَ)** بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام»[2]. أي أنّ سبب عدم المطابقة لتنبيه المتلقي حال الفريقين .

وفي إيراد أحد جزأي الجملتين على غير الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى في آية سورة البقرة : **((أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ))** : {177}، يقول أبو حيان : « تنوع هنا الخبر عن أولئك ، فأخبر عن (أولئك) الأول بـ(الذين صدقوا) ، وهو مفصول بالفعل الماضي لتحقق اتصافهم به ، وإنّ ذلك قد وقع منهم وثبت واستقر ، واخبر عن (أولئك) الثاني بموصول صلته اسم الفاعل ليدل على الثبوت، وإن ذلك وصف لهم لا يتجدد ، بل صار سجية لهم ووصفاً لازماً ، ولكونه أيضاً وقع فاصلة آية ، لأنّه لو كان فعلاً ماضياً لما كان يقع فاصلة »[3].

---

[1] - الكشاف 1 / 94
[2] - التفسير الكبير 12 / 123
[3]- البحر المحيط 2 / 162

توجيه المعنى في مشكلات الفواصل

اهتم المفسرون بتوجيه المعنى في الفاصلة ، وبذلوا ما بذلوه في بيان وجوه انقيادها الأصيل للمعنى ، وقد نقل الزركشي قولا للزمخشري ، « في كشافه القديم : لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السمع ، السلسة على اللسان ، إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة ، فأما أن تهمل المعاني ، ويهتم بتحسين الألفاظ وحده ، غير منظور فيه إلى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة في فتيل أو نقير » [1].

وقد لحظ علماء المناسبة أن كثيرا من الفواصل في الآيات القرآنية تهيء في بعض الأحيان لفاصلة بعينها ، وينقاد لها المعنى ، ولكن سرعان ما تجد الآية قد ختمت بغيرها ، وبينوا أسرارها وصلتها بما قبلها ، وخاصة تلك الفواصل التي يتم المعنى قبلها ، ولا تمثل جزءا من معنى الآية ، للقارئ غير المتمعن ، ولكن عند التمعن يتبين وجه مجيء الفاصلة في الموضع المناسب . واهتم المعتنون بالمناسبة بموضوع بيان صلة الفاصلة بما قبلها حتى تتضح المناسبة بين سياق الآية والفاصلة التي تختم بها ، ووقفوا كذلك عند بعض الفواصل التي لا تبدو صلتها بما قبلها ظاهرة فكشفوا عن وجه المناسبة بينها [2].

وقد أطلق السيوطي على هذا النوع من الفواصل (مشكلات الفواصل) . وفي النص القرآني تأتي الفواصل القرآنية متآلفة تمام التآلف مع آياتها ، ولها دورها في إتمام المعنى ، وإيصاله على نحو بديع معجز حتى لو تكلف متكلف أن يستبدل الفاصلة بغيرها ما استطاع وما وجد غيرها يؤدي المعنى والإيقاع معا ، فالفاصلة إذن إحدى صور الإعجاز في البيان القرآني .

ومن مشكلات الفواصل في سورة البقرة قوله تعالى : **((رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ))**: {129} . لقائل أن يقول إنّ في قوله تعالى : ((**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ**)) إشارة إلى بعث الرسل ، فكيف ختم هذه الدعوة إلى البعث بقوله : **((إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ))** ؟

القرآن يختار الفاصلة بدقة عجيبة تدل على إعجاز بياني ، فهي من جهة المناسبة تتوافق مع مضمون الآية ، ومن جهة الصوت تتوافق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة وقد جاء ختم الآية باقتران الإسمين **(العزيز الحكيم)** ، على لسان إبراهيم (عليه السلام) في دعائه لربه تعظيما وإجلالا ، فذكر اسم (العزيز) إشعارا بقدرة الله سبحانه وتعالى . وذكر

---

[1] - البرهان في علوم القرآن 1 / 65

[2] - ينظر : المصدر السابق 1 / 75 وما بعدها ، والإتقان في علوم القرآن 5 / 1814 وما بعدها

(الحكيم) تفاؤلا بتحقيق الخير من الله سبحانه وتعالى ، لن يفعل بذريته إلا ما هو خير ، وفي هذا يقول فخر الدين الرازي : « العزيز : هو القادر الذي لا يغلب ، والحكيم : هو العالم الذي لا يجهل شيئا ، وإذا كان عالما قادرا كان ما يفعله صوابا ومبرأ عن العبث والسفه ، ولولا كونه كذلك لما صح منه إجابة الدعاء ولا بعثة الرسل، ولا إنزال الكتاب»[1].

ويقول الزركشي: « وجه المناسبة أن بعث الرسول تولية ، والتولية لا تكون إلا من عزيز غالب على ما يريد ، وتعليم الرسول الحكمة لقومه إنما يكون مستندا إلى حكمة مرسله لأن الرسول واسطة بين المرسِل والمرسَل إليه ، فلابد وأن يكون حكيما ، فلا جرم كان اقترانهما مناسبا»[2].

ويقول البقاعي : « علل بقوله : **((إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ))** ، أي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء ..**(الحَكِيمُ)** ، أي الذي يتقن ما أراد فلا يتأتى نقضه ، ولا متصف بشيء من ذلك غيرك ، في ذلك إظهار عظيم لشرف العلم وطهارة الأخلاق ، وأن ذلك لا ينال إلا بمجاهدات لا يطيقها البشر ، ولا تدرك أصلا إلا بجد تطهره العزة ، وترتيب أبرمته الحكمة ، هذا بمطلق ذلك ، فكيف بما يصلح منه للرسالة !»[3]. .

ويقول السيوطي : « والختم بـ**(العزيز الحكيم)** ، مناسب ؛ لأن إرسال رسول على ما وصف ، لا يصدر إلا عن من اتصف بالعزة وهي الغلبة والقوة ، وبالحكمة التي هي إصابة مواقع الفعل ، قدم (العزيز) ؛ لأنه من صفات الذات ، و(الحكيم) من صفات الأفعال ، ويكون الحكيم أنسب بالفواصل » [4].

والخلاصة في ختم الآية السابقة بـ(العزيز الحكيم) بمناسبة ما جاء من كون الله عالم قادر ، وكل ما يصدر عنه ، يكون نتاجا لتلك الصفتين ، ومن ذلك بعث الرسل ، وما يرتبط ببعثهم من التولية التي تقوم على القوة والغلبة وعلى العلم والحكمة ، فيجب أن يتصف حامل الرسالة بشرف العلم وطهارة الأخلاق ، وهما لا ينالان إلا بالمجاهدة التي لا يطيقها إلا الرسل وما يتبعها من ترتيب الحكمة وحيثياتها بتلقين من الله .

ومن مشكلات الفواصل في سورة البقرة قوله تعالى : **((إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))** :{ 173} . لقائل أن يقول : إنه لما قال تعالى : **((فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ))** ، فكيف يليق أن يقول بعده : **((إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))** ؟ فإن الغفران إنما يكون عند حصول الإثم .

---

[1] - التفسير الكبير 4 / 74
[2] - البرهان في علوم القرآن 1 / 75
[3]- نظم الدرر 1 / 244
[4] - قطف الأزهار في كشف الأسرار 1 / 326

الإنسان مأمور بالأكل ، بل منهي أن يلقي بيده إلى التهلكة ، وأن يقتل نفسه ، فيجب عليه الأكل ، ويأثم أن ترك الأكل حتى الموت ، وما ورد في الآية ويرى فخر الدين الرازي فيه وجوه: « أحدها : أن المقتض للحرمة قائم في الميتة والدم إلا أنه زالت الحرمة بقيام المعارض، فلما كان تناولا لما حصل فيه المقتضي للحرمة عبر عنه بالمغفرة ، ثم ذكر بعده أنه رحيم يعني لأجل الرحمة عليكم أبحت لكم ذلك .

ثانيها : لعل المضطر يزيد على تناول الحاجة ، فهو سبحانه غفور بأن يغفر ذنبه في تناول الزيادة ، رحيم حيث أباح في تناول قدر الحاجة .

ثالثها: أنه تعالى لما بين هذه الأحكام عقبها بكونه غفورا رحيما ؛ لأنه غفور للعصاة إذا تابوا ، وبالمطيعين المستمرين على نهج حكمه سبحانه وتعالى » [1].

ويعلل أبو حيان مناسبة الختم بصفتي المغفرة والرحمة في ثلاثة أسباب : « لما ذكر أشياء اقتضى المنع منها ، ثم ذكر إباحتها للمضطر في تلك الحال المقيدة له اتبع ذلك بالإخبار عن نفسه بأنه تعالى : **(غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** ؛ لأن المخاطب بصدد أن يخالف فيقع في شيء من أكل هذه المحرمات ، فأخبر بأنه**(غَفُورٌ)** للعصاة إذا تابوا **(رَّحِيمٌ)** بهم ، أو لأنّ المخاطب اضطر فأكل ما يزيد على قدر الحاجة فهو تعالى **(غَفُورٌ)** له ذلك **(رَّحِيمٌ)** بأنْ أباح له قدر الحاجة ، أو لأنّ مقتضى الحرمة قائم في هذه المحرمات ، ثم رخص في تناولها مع قيام المانع عن هذا الترخيص والإباحة بالمغفرة ، ثم ذكر بعد الغفران صفة الرحمة » [2].

ويعلل البقاعي هذه المناسبة بالترهيب والترغيب في ظلال المعنى للصفتين : « علل هذا الحكم مرهبا مرغبا بقوله : **(إِنَّ اللّهَ)** فأتى بهذا الاسم المحيط إشارة إلى عموم هذا الحكم للمضطر والموسع ، وفي قوله : **(غَفُورٌ)** إشعار بأنه لا يصل إلى حال الاضطرار إلى ما حرم عليه إلا عن ذنب أصابه ، فلولا المغفرة لتممت عليه عقوبته ... وفي قوله : **(رَّحِيمٌ)** إنباء بأن من اضطر فأصاب مما اضطر إليه شيئا لم يبغ فيه ولم يعد تناوله من الله رحمة توسعة من أنْ يضطر بعدها إلى مثله فيغفر له الذنب السابق الذي أوجب الضرورة ، وينا له بالرحمة الموسعة التي ينال بها من لم يقع منه ما وقع ممن اضطر إلى مثله » [3].

والخلاصة في ختم الآية السابقة بالغفران والرحمة بمناسبة أختصاص الآية ببيان حرمة الميتة والدم ، وما أوجبه الله على الإنسان من المحافظة على كيانه الجسدي في إباحة الأكل ، وما في تركه من ضرر . وبيان حال المطيع لأوامر الله والعاصي لها ، فإن كان من المطيعين لله تعالى فيشمله العفو والغفران إن كان من المضطرين والموسع عليهم .

[1]- التفسير الكبير 5 / 73
[2]- البحر المحيط 1 / 665
[3]- نظم الدرر 1 / 318 ، 319

ومن مشكلات الفواصل في سورة البقرة قوله تعالى : **((فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))**: {182} . لقائل أن يقول : إنّ قوله تعالى : ((**إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**)) إنما يليق بمن فعل فعلا لا يجوز ، أما هذا الإصلاح فهو من جملة الطاعات فكيف بهذا الكلام ؟

الإنسان مأمور بالوصية لحفظ الحقوق ، منهي عن الجنف والإثم في وصيته ، وعلى من يحضر الوصية إن يصلح بين الموصي وبين من أراد أن يجنف عليه لغيره .

ويرى فخر الدين الرازي في تعليل مناسبة ختم الآية بـ(الغفور الرحيم) في ثلاثة وجوه : « أحدها : أن هذا من باب تنبيه الأدنى على الأعلى كأنه قال أنا الذي أغفر الذنوب ثم أرحم المذنب ، فبأن أوصل رحمتي عذابي إليك مع أنك تحملت المحن الكثيرة في إصلاح هذا المهم كان أولى .

وثانيها : يحتمل أن يكون المراد أن ذلك الموصي الذي أقدم على الجنف والإثم متى أصلحت وصيته فإن الله غفور رحيم يغفر له ويرحمه بفضله .

وثالثها : أن المصلح ربما احتاج في إيتاء الإصلاح إلى أقوال وأفعال كان الأولى تركها فإذا علم تعالى منه أن غرضه ليس إلا الإصلاح فإنه لا يؤاخذه بها ؛ لأنه غفور رحيم»[1].

ويربط البقاعي بين الفاصلة والمقطع فيصرف الصفتين إلى المجتهد في بيان الحكم : « ولما كان المجتهد قد يخطئ فلو أوخذ بخطئه أحجم عن الاجتهاد جزاه الله سبحانه عليه بتعليل رفع الإثم بقوله إعلاما بتعميم الحكم في كل مجتهد » [2].

ويربط الزركشي بين الحكم وقول التابعي : « وجه المناسبة في الحكم محمول على قول مجاهد : إن من حضر الموصي فرأى منه جنفا على الورثة في وصيته مع فقرهم ، فوعظه في ذلك وأصلح بينه وبينهم حتى رضوا ، فلا إثم عليه ، وهو غفور للموصي إذا ارتدع بقول من وعظه ، فرجع عما همّ به وغفرانه لهذا برحمته لا خفاء به »[3].

والخلاصة في ختم الآية السابقة بمناسبة الهم بأمر محرم ، ولكن لم يتم ، وذلك من خلال تنبيه الموصي والموصى له ، ومن حضر الوصية ، وحاول الإصلاح واجتهد في ذلك .

ومن مشكلات الفواصل في سورة البقرة ، قوله تعالى : **((فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** : {209} .

لقائل أن يقول إن في قوله تعالى : **((فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ))** ، إشارة إلى ذنبهم وجرمهم ، فكيف يدل قوله : ((**أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)) ، على الزجر والتهديد ؟ ، فكان

---

[1]- التفسير الكبير 5 / 73
[2] - نظم الدرر 1 / 336
[3] - البرهان في علوم القرآن 1 / 75

يمكن أن يقال : أن الله غفور رحيم . جاء ختم الآية باقتران (العزيز الحكيم) بالتهديد والوعيد لمن عدل عن الحق بعد ما تبين له ، فإن العزيز الحكيم إذا عصاه العاصي عن علم ، قهره بقوته ، وعذبه بمقتضى حكمته .

يقول فخر الدين الرازي في هذه الآية : « إن العزيز لا يُمنع من مراده، وذلك إنما يحصل بكمال القدرة ، وقد ثبت أنه سبحانه وتعالى قادر على جميع الممكنات ، فكان عزيزا على الإطلاق (...) أتبعه بقوله **(حكيم)** فإن اللائق بالحكمة أن يميز بين المحسن والمسيء ، فكما يحسن من الحكيم إيصال العذاب إلى المسيء فكذلك يحسن منه إيصال الثواب إلى المحسن ، بل هذا أليق بالحكمة وأقرب للرحمة » [1].

ويقول أبو حيان : « وفي وصفه بالعزة التي هي تتضمن الغلبة والقدرة اللتين يحصل بهما الانتقام وعيد شديد لمن خالفه وزل عن منهج الحق ، وفي وصفه بالحكمة دلالة على إتقان أفعاله وأن ما يرتبه من الزواجر لمن خالف هو مقتضى الحكمة » [2].

ويقول البقاعي : « ولما كان الخوف حاملا على لزوم طريق السلامة قال : **(فَاعْلَمُواْ)** فإن العلم أعون شيء على المقاصد **(أَنَّ اللّهَ)** الحاوي لصفات الكمال **(عَزِيزٌ)** لا يعجزه من زل ولا يفوته من ضل **(حَكِيمٌ)** يبرم ما لا يقدر أحد على نقض شيء منه » [3].

والخلاصة في ختم هذه الآية بمناسبة أن شرع الله المحكم لا نقض فيه ولا خلل ، وأن الله سبحانه وتعالى مقابل هذا الإحكام في شرعه وأمره قادر على الانتقام ممن خالف ذلك، لا يغلبه غالب ، ولا يفوته هارب ، وما في ذلك التخويف من لزوم طريق السلامة .

ومن خفي مشكلات الفواصل في سورة البقرة في قوله تعالى : **((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))** : { 29 }. وفي سورة آل عمران في قوله تعالى : **((قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))**:{29}. لسائل أن يسأل : لِم لمْ يختم الآية الأولى بقوله : (على كل شيء قدير) ، ويختم الآية الثانية (بكل شيء عليم) .

يقول فخر الدين الرازي في تفسير آية سورة البقرة : « يدل على انه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها وللسماوات وما فيها من العجائب والغرائب إلا إذا كان

---

[1] - التفسير الكبير 5 / 228 – 229
[2] - البحر المحيط 2 / 132
[3]- نظم الدرر 1 / 388

عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها » [1] ، فكان الأنسب لإحاطته تعالى بالعلمين أن يختم بالعلم الذي هو عين الإحاطة .

ويقول فخر الدين الرازي في تفسير آية سورة آل عمران : « وذلك لأنّه لما بين أنّه تعالى عالم بكل المعلومات كان عالما بما في قلبه ، وكان عالما بمقادير استحقاقه من الثواب والعقاب ، ثم بين أنّه قادر على جميع المقدورات ، فكان لا محالة قادرا على إيصال حق كل أحد إليه ، فيكون من تمام الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب »[2] ، أي أنّ الله تعالى قد أثبت العلم لذاته وأراد إتمام الوعد والوعيد بالقدرة .

ويقول الطوفي [3]: « قوله : **(وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** في بادئ الرأي غير مناسب لما في الآية من قوله : **(يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ)** ؛ لأنّ هذا يقتضي أنْ تكون فاصلته : والله بكل شي عليم ، غير أنه مع النظر مناسب بتقدير محذوف ، أي يعلم ما تخفون وما تبدون ، فيجازيكم عليه ثوابا وعقابا ، وهو قادر على جزائكم ؛ لأنّه على كل شيء قدير ، ولاشك أنّ المجازاة تحتاج إلى قدرة ويحقق ذلك أنّه في سياق الوعيد على موالاة الكفار » [4].

ويقول الزركشي في توجيه معنى الفاصلة لسياقها : « فإنّ المتبادر إلى الذهن في آية البقرة الختم بالقدرة ، وفي آية آل عمران الختم بالعلم ، لكن إذا أنعم النظر علم أنه يجب أن يكون ما عليه التلاوة في الآيتين»[5].

ويقول البقاعي في تفسير آية سورة البقرة : « لما كان الخلق على هذه الكيفية دالا بالبديهة على أتم قدرة لصانعه ، وكان العلم بأن مبنى ذلك على العلم محتاجا إلى تأمل اعتنى في مقطع الآية بقوله : **(وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** أي فهو على كل شيء قدير»[6]. ويقول في تفسير آية سورة آلا عمران : « لما كان ذو العلم لا يكمل إلا بالقدرة ، وكان يلزم من تمام العلم شمول القدرة .. كان التقدير فالله بكل شيء عليم »[7].

ويقول السيوطي : « إنّ آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض ، وما فيها على حسب حاجات أهلها ، ومنافعهم ومصالحهم، وخلق السماوات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت ، والخلق على الوصف المذكور ، يجب أنْ يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا ومجملا

---

[1] - التفسير الكبير 2 / 173

[2] - م . ن 8 / 16

[3] - هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي ولد سنة 657 هـ بقرية طوفي من أعمال صرصر في العراق ، ونزل الرض المقدسة ودركته المنية في بلد الخليل (عليه السلام) في سنة 716 هـ . ينظر : الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب البغدادي 2 / 367 ط السنة المحمدية ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني 2 / 29 ط 2 ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي 1 / 599 ط عيسى الحلبي ، والأعلام للزركلي 3 / 189

[4] - قطف الأزهار في كشف الأسرار 1 / 579 ، 580

[5] - البرهان في علوم القرآن 1 / 77

[6]- نظم الدرر 1 / 83

[7] - م . ن 2 / 60

ومفصلا ، ناسب ختمها بصفة العلم . وآية آل عمران لمّا كانت في سياق الوعيد على موالاة الكفار ، وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب ، ناسب ختمها بصفة القدرة »[1].

ومن مشكلات الفواصل في سورة النساء قوله تعالى : **((وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً))** {102} ولقائل أن يقول : كيف طابق الأمر بالحذر قوله : **((إِنَّ اللهَ أَعَدَّ للكافرين عَذَاباً مُّهِيناً))** ؟

ويقول الزمخشري في المطابقة بين الفاصلة والمقطع : « الأمر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه . فنفى عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أنّ الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه ، لتقوى قلوبهم ، وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك ، وإنما هو تعبد من الله»[2] .

ويقول فخر الدين الرازي : « إنّه تعالى لما أمر بالحذر من العدو أوهم ذلك قوة العدو وشدتهم ، فأزال الله تعالى هذا الوهم بأنْ أخبر أنّه يهينهم ويخذلهم ولا ينصرهم البتة حتى يقوي قلوب المسلمين ، ويعلموا أنّ الأمر بالحذر ليس لما لهم من القوة والهيبة ، وإنّما هو لأجل أنْ يحصل الخوف في قلب المؤمنين ، فحينئذ يكونون متضرعين إلى الله تعالى في أنْ يمدهم بالنصر والتوفيق »[3] .

ويرى البقاعي أن الفاصلة تعليل للمقطع : « علل ذلك بما بشر فيه بالنصر تشجيعا للمؤمنين ، وإعلاما بأن الأمر بالجزم إنما هو للجري على ما رسمه من الحكمة في قوله ، ربط المسببات بالأسباب ، فهو من باب :أعْقلها وتوكل »[4]. ونلحظ من أقوالهم أنّ توجيه المناسبة متفق عليه عندهم وهو الحذر من العدو .

ومن مشكلات الفواصل في سورة إبراهيم في قوله تعالى **((قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ)):** {31} ، لقائل أن يقول : كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف اليوم بأنه **((لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خلال))** ؟

يقول الزمخشري في بيان مطابقة الفاصلة للمقطع : « من قِبَل أنّ الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات ، فيعطون بدلاً ليأخذوا مثله ، وفي المكارمات ومهاداة الأصدقاء

---

[1]- الإتقان في علوم القرآن 5 / 1815
[2] - الكشاف / 1 / 594
[3] - التفسير الكبير 11 / 28
[4]- نظم الدرر 2 / 309

ليستجروا بهداياهم أمثالها أو خيراً منها . وأمّا الإنفاق لوجه الله خالصاً .. فلا يفعله إلا المؤمنون الخلص ، فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال ، أي : لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ، ولا بما ينفقون به أموالهم من المعاوضات والمكارمات ، وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه الله »[1] .

ويقول فخر الدين الرازي : « كأنّه تعالى يقول : أنفقوا أموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الإنفاق في مثل هذا اليوم الذي لا تحصل فيه مبايعة ولا مخالة »[2].

ويقول البقاعي : « ذلك إشارة إلى أنه لا يكون شيء منهما سببا لخلاص هالك »[3].

ونلحظ توجيه المناسبة عند الزمخشري أقرب إلى السياق ، وكان قريبا منه توجيه الرازي ، وقد ابتعد البقاعي في توجيهه عن سياق الآية .

ومن مشكلات الفواصل في سورة الحج في قوله تعالى **((لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ))** : {59} ، لقائل أن يقول: ما معنى **((وَإِنَّ الله لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ))** ؟ وما تعلقه بقوله : **((لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ))** ؟

يقول فخر الدين الرازي في بيان تعلق الفاصلة بالمقطع : « عليم بما يستحقونه فيفعله بهم ويزيدهم ، ويحتمل أنْ يكون المراد أنّه عليم بما يرضونه فيعطيهم ذلك في الجنة . وأمّا الحليم فالمراد أنّه لحلمه لا يعجل بالعقوبة فيمن يقدم على المعصية ، بل يمهل ليقع منه التوبة فيستحق منه الجنة »[4].

ويقول البقاعي : « لمّا كان التقدير : فإنّ الله لشكور حميد ، وكان من المعلوم قطعا أنّه لا يقدر أحد أنْ يقدر الله حق قدره وإنْ اجتهد ؛ لأنّ الإنسان محل الخطأ والنسيان ، فلو أوخذ بذلك هلك ، وكان ربما ظن ظان أنّه لو علم ما قصروا فيه لغضب عليهم » [5].

ونلحظ توجيه الرازي أكثر مناسبة لسياق الآية ، وقد اجتهد البقاعي في تقديره لختم الآية القرآنية .

ومن مشكلات الفواصل في سورة الحج في قوله تعالى : **((ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ))** : {60} ، لقائل أن يقول : كيف طابق ذكر العفوّ الغفور هذا الموضع ؟

يقول الزمخشري في بيان مطابقة الفاصلة للمقطع : « المعاقب مبعوث من جهة الله عزّ وجلّ على الإخلال بالعقاب ، والعفو عن الجاني - على طريق التنزيه لا التحريم - ومندوب إليه

---

[1] - الكشاف 2 / 522
[2] - التفسير الكبير 19 / 127
[3] - نظم الدرر 4 / 187
[4] - التفسير الكبير 23 / 60
[5] - نظم الدرر 5 / 168

، ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وسلك سبيل التنزيه ، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب .. إنَّ الله لعفو غفور ، أي : لا يلومه على ترك ما بعثه عليه ، وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه .

ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي ، ويعرّض مع ذلك بما كان أولى به من العفو ، ويلوّح به بذكر هاتين الصفتين . أو دلّ بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة ، لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضدّه » [1].

ويبين فخر الدين الرازي المطابقة من وجوه: « أحدها : أنّ الله تعالى ندب المعاقب إلى العفو عن الجاني ، فلما لم يأت بهذا المندوب فهو نوع إساءة ، فكأنّه سبحانه قال: إنّي قد عفوت عن هذه الإساءة وغفرتها ، فإنّي أنا الذي أذنت لك فيه .

وثانيها : أنّه سبحانه وإنْ ضمن له النصر على الباغي ، لكنّه عرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو والمغفرة فلّوح بذكر هاتين الصفتين .

وثالثها : أنّه سبحانه دلذ بذكر العفو والمغفرة على أنّه قادر على العقوبة ، لأنّه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده »[2] .

ويقول البقاعي: « لما قيد ذلك بالمثلية ، وكان ذلك أمرا خفيا ، لا يكاد يوقف عليه ، فكان ربما وقعت المجاوزة خطأ ، فظن عدم النصرة لذلك ، أفهم تعالى أنّ المؤاخذة إنّما هي بالعمد ، ويجوز أنْ يكون التقدير ندبا ، إلى العفو بعد ضمان النصر : إنّ الله لعزيز حكيم ، ومن عفا وأصلح فقد تعرض لعفو الله عن تقصيره ، ومغفرته لذنوبه ، فهو احتباك : ذكر النصر دليل العزة والحكمة ، وذكر العفو منه سبحانه دليل حذف العفو من العبد »[3].

ونلحظ توجيه الزمخشري أقرب إلى مقاربة المعنى ، واعتماد الرازي على هذا التوجيه ، وتنبه البقاعي أنّ ما ورد يعدّ من الاحتباك لطيف جدا .

ومن مشكلات الفواصل في سورة الحج في قوله تعالى: **((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))** : {61}، لقائل أن يقول : أي تعلق لقوله : **((وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))** بقوله : **((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ))** ؟

---

[1] - ينظر : الكشاف 3 / 169

[2] - ينظر التفسير الكبير 23 / 61

[3] - نظم الدرر 5 / 168 ، 169

يقول فخر الدين الرازي في بيان تعلق الفاصلة بالمقطع : « أنّه كما يقدر على ما لا يقدر عليه غيره ، فكذلك يدرك المسموع والمبصر ، ولا يجوز المنع عليه ، ويكون ذلك كالتحذير من الإقدام على ما لا يجوز في المسموع والمبصر » [1].

ويقول البقاعي : « إنّ الله بجلاله وعظمته ، سميع لما يمكن أنْ يسمع ، بصير أي مبصر عالم لما يمكن أنْ يبصر دائم الاتصاف بذلك فهو غير محتاج إلى سكون الليل ليسمع ، ولا لضياء النهار ليبصر ؛ لأنّه منزه عن الأعراض ، وهو لتمام قدرته وعلمه لا يخاف في عفوه غائلة ، ولا يمكن أنْ يفوته أمر»[2].

وفي سورة الحج في قوله تعالى : **((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ))** :{62} ، لقائل أن يقول : أي تعلق لقوله **((وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ))** بقوله : **((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ))** ؟

يقول فخر الدين الرازي في بيان تعلق الفاصلة بالمقطع : « معنى (العلي) القاهر المقتدر الذي لا يغلب فنبه بذلك على أنّه القادر على الضر والنفع دون سائر من يعبد مرغباً بذلك في عبادته زاجراً عن عبادة غيره ، فأما (الكبير) فهو العظيم في قدرته وسلطانه ، وذلك أيضاً يفيد كمال القدرة » [3].

ويقول البقاعي : « لما كان سبحانه فوق كل شيء بقهره وسلطانه ، قال محقرا لهم **(مِن دُونِهِ)** من هذه الأصنام وغيرها .. وحده العلي الكبير وكل ما سواه سافل حقير ، تحت قهره وأمره » [4].

ومن مشكلات الفواصل في سورة الحج في قوله تعالى **((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ))** : {63} ، لقائل أن يقول : ما وجه تعلق قوله **((إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ))** بقوله : **((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً))** ؟

يرى فخر الدين الرازي في بيان تعلق الفاصلة بالمقطع من وجوه : «أحدها : أراد أنّه رحيم بعباده ولرحمته فعل ذلك حتى عظم انتفاعهم به ؛ لأنّ الأرض إذا أصبحت مخضرة والسماء إذا أمطرت كان ذلك سبباً لعيش الحيوانات على اختلافها أجمع . ومعنى **(خَبِيرٌ)** أنّه عالم بمقادير مصالحهم فيفعل على قدر ذلك من دون زيادة ونقصان .

---

[1] - التفسير الكبير 23 / 61
[2]- نظم الدرر 5 / 169
[3] - التفسير الكبير 23 / 61
[4]- نظم الدرر 5 / 169

وثانيها : قال ابن عباس **(لَطِيفٌ)** بأرزاق عباده **(خَبِيرٌ)** بما في قلوبهم من القنوط . وثالثها : قال الكلبي **(لَطِيفٌ)** في أفعاله **(خَبِيرٌ)** بأعمال خلقه . ورابعها : قال مقاتل : **(لَطِيفٌ)** باستخراج النبت **(خَبِيرٌ)** بكيفية خلقه »[1].

ويقول البقاعي : « لما كان هذا إنتاجا للأشياء من أضدادها ؛ لأنّ كلا من الماء في رقته وميوعه والتراب في كثافته ، وجموده في غاية البعد عن النبات في تنوعه وخضرته ، ونموه وبهجته ، قال سبحانه وتعالى منبها على ذلك : إن الله أي الذي له تمام العز وكمال العلم ، لطيف أي يسبب الأشياء عن أضدادها ، خبير أي مطلع على السرائر وإن دقت » [2].

ومن مشكلات سورة النور في قوله تعالى : **((وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ . وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ . عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ . وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ))** : {6 – 10} ، لقائل أن يقول كيف طابق قوله : **((تَوَّابٌ حَكِيمٌ))** السياق الذي وردت فيه ؟

يقول ضياء الدين ابن الأثير : « فإنّه قد وردت الفاصلة في غير هذا الموضع بـ(تواب رحيم) ، ويظن الظان أم هذا كذلك ، ويقول : إن التوبة مع الرحمة لا مع الحكمة ، وليس كما يظن ، بل الفاصلة بـ(تواب حكيم) أولى من تواب رحيم ؛ لأن الله عز وجل حكم بالتلاعن على الصورة التي مر بها ، وأراد بذلك ستر هذه الفاحشة على عباده ، وذلك حكة منه ، ففصلت الآية الواردة بتواب حكيم ، فجمع بين التوبة المرجوة من صاحب المعصية ، وبين الحكمة في سترها على تلك الصورة » [3].

ومن مشكلات الفواصل في سورة الفرقان في قوله تعالى **((قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً))** : {6}، لقائل أن يقول : كيف طابق قوله : **((إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً))** هذا المعنى ؟

ويقول الزمخشري في توجيه مناسبة معنى الفاصلة ومطابقتها لهذين الوصفين : ((لما كان ما تقدّمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه ، لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلاّ القادر على العقوبة ، أو هو تنبيه على أنهم استوجبوا بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبّاً ، ولكن صرف ذلك عنهم إنه غفور رحيم : يمهل ولا يعاجل)) [4].

---

[1] - التفسير الكبير 23 / 63
[2] - نظم الدرر 5 / 170
[3] - المثل السائر 3 / 165
[4] - الكشاف 3 / 207

ويقول فخر الدين الرازي في مناسبة هذه المطابقة في وجهين :« إنما ذكر الغفور الرحيم في هذا الموضع لوجهين :

الأول : أنه إنما أنزله لأجل الإنذار فوجب أن يكون غفوراً رحيماً غير مستعجل في العقوبة .

والثاني : أنه تنبيه على أنهم استوجبوا بمكايدتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صباً ولكن صرف ذلك عنهم كونه غفوراً رحيماً يمهل ولا يعجل »[1].

ويقول البقاعي: « لما كان من المعلوم أن العالم بكل شيء قادر على كل شيء . وكانت العادة جارية بأن من علم استخفاف غيره به ، وكان قادرا عليه عاجله بالأخذ أجيب من كأنه قال : فما له لا يهلك المكذبين له ؟ بقوله مرغبا لهم في التوبة ، مشيرا إلى قدرته بالستر والإنعام ، ومبينا لفائدة إنزاله إليهم هذا الذكر من الرجوع عما تمادت عليه أزمانهم من الكفر وأنواع المعاصي» [2] .

ومن مشكلات الفواصل في سورة ص في قوله تعالى **((اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ))** {سورة ص : 17}، لقائل أن يقول : أي تعلق بين قوله **(اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ)** وبين قوله **(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ)** ؟

يقول فخر الدين الرازي في بيان تعلق الفاصلة بالمقطع من وجوه: « الأول : كأنّه قيل إنْ كنت قد شاهدت من هؤلاء الجهال جراءتهم على الله وإنكارهم الحشر والنشر ، فاذكر قصة داود حتى تعرف شدة خوفه من الله تعالى ومن يوم الحشر ، فإنّ بقدر ما يزداد أحد الضدين شرفاً يزداد الضد الآخر نقصاناً .

والثاني : كأنّه قيل لمحمد (صلى الله عليه وسلم) لا يضيق صدرك بسبب إنكارهم لقولك ودينك ، فإنهم إذا خالفوك فالأكابر ، من الأنبياء وافقوك »[3].

ويقول البقاعي : « لما كان أعظم الجهاد الإنقاذ من حفائر الهفوات وأوامر الشهوات ، بالإصعاد في مدارج الكمالات ، ومعارج الإقبال ، وكان ذلك لا يكاد يوجد في الآدميين لما حفوا به من الشهوات وركز في طباعهم من الغفلات علل قوته بقوله : **(إِنَّهُ أَوَّابٌ)** أي راجع إلى الله تعالى ليصير إلى ما خلقه عليه من أحسن تقويم بالعقل المحض أطلق العلو درجة درجة على الرجوع ؛ لأن ذلك دون الرتبة التي تكون نهاية عند الموت ، فكان المقضي له بها أنزل نفسه

---

[1] - التفسير الكبير 24 / 52
[2] - نظم الدرر 5 / 297
[3] - التفسير الكبير 26 / 183 – 184

عنها ، ثم صار يرجع إليها كل لحظة بما يكابد من المجاهدات والمنازلات والمحاولات حتى وصل إليها بعد التجرد عن الهوى كله » [1].

ربط الرازي بين الفاصلة والمقطع أقرب إلى المعنى المراد ، وربط البقاعي بين الفاصلة والمقطع لطيف جدا .

توجيه المعنى عند اختلاف الفواصل والمحدث عنه واحد

نبحث هنا اختلاف الفواصل القرآنية في آيات متماثلة وهو ما أسماه الزركشي : «اختلاف الفاصلتين في موضع ، والمحدث عنه واحد» [2]. ونبين فيه مناسبة الفاصلة لمقاطع الكلام المتشابه في السياقات المختلفة ، ونصل إلى العلاقات المعنوية التي تخرج لها الفاصلة في مقاطع الكلام . يقول الدكتور تمام حسان : « ولقد تتوالى الفواصل في آيات متتابعة ومعناها مع تواليها واحد أو متشابه . وإنما توالت على رغم وحدة المعنى لغرض لولاه لأجزأت عن التوالي فاصلة واحدة » [3].

أولا : اختلاف فاصلة الآية في السورة الواحدة

---

[1] - نظم الدرر 6 / 369
[2] - البرهان في علوم القرآن 1 / 73
[3] - البيان في روائع القرآن 1 / 200

في سورة البقرة في قوله تعالى : **((لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ))** :{ 236 }. وقوله تعالى : **((وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ))** :{241}.

يقول فخر الدين الرازي إنّ في مذهب الشافعي وأبي حنيفة وفق ما ختمت به الآية ، المتعة واجبة ، ويضيف أنّ ذلك : « قول شريح والشعبي والزهري ، وروي عن الفقهاء السبعة من أهل المدينة أنّهم كانوا لا يرونها واجبة ، وهو قول مالك لنا قوله تعالى ((**وَمَتِّعُوهُنَّ**)) وظاهر الأمر للإيجاب ، وقال : ((**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ**)) فجعل ملكا لهن أو في معنى الملك ، وحجة مالك أنه تعالى قال في آخر الآية : **((حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ))** فجعل هذا من باب الإحسان وإنّما يقال : هذا الفعل إحسان إذا لم يكن واجبا فإنْ وجب عليه أداء دين فأداه لا يقال أنّه أحسن .

وأيضا قال تعالى : **((مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ))** {سورة التوبة :91}، وهذا يدل على عدم الوجوب ، والجواب عنه أن الآية التي ذكرتموها تدل على قولنا ؛ لأنّه تعالى قال : **((حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ))** فذكره بكلمة (على) وهي للوجوب ؛ ولأنّه إذا قيل : هذا حق على فلان ، لم يفهم منه الندب بل الوجوب»[1].

وقال في الآية الثانية : « يروى أن هذه الآية إنما نزلت ؛ لأن الله تعالى لما أنزل قوله تعالى : **(ومتعوهن)** إلى قوله : ((**حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ**)) قال رجل من المسلمين : إن أردت فعلت ، وإن لم أرد لم أفعل ، فقال تعالى : **((وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ))** يعني على كل من كان متقيا عن الكفر »[2].

ويرى أبو حيان ختم الآية بقوله تعالى : ((**حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ**)) ، أنّ فيها دليلا على وجوب المتعة : « هذا يؤكد وجوب المتعة والمراد إحسان الإيمان والإسلام ، وقيل المراد إحسان العشرة ، فيكون الله سماهم محسنين قبل الفعل باعتبار ما يؤول إليه من الإحسان » [3].

وقال في الآية الثانية :«نزلت هذه الآية مؤكدة لأمر المتعة ؛ لأنه نزل قبل ((حقا على المحسنين) » [4].

ويرى ابن جماعة أن ما ورد من التغاير في الآيتين : « أن الآية الأولى في مطلقة قبل الفرض والدخول ، فالإعطاء في حقها إحسان لا في قبالة شيء لا تسمية ولا دخول . وهو وإن أوجبه قوم فهو في الصورة مجرد إحسان ، فناسب **(المحسنين)**. والآية الثانية في المطلقة

---

[1] - التفسير الكبير 6 / 149 – 150
[2] - م . ن 6 / 173
[3] - البحر المحيط 2 / 244
[4] - م . ن 2 / 255

الرجعية ، والمراد بـ**(المتاع)** عند المحققين النفقة ، ونفقة الرجعية واجبة وهي المراد بـ**(المتاع)** عند المحققين ، فناسب ((**حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ**)) ، ورجح أن المراد به النفقة ، أنه ورد عقيب قوله : **((مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ))** سورة البقرة : 240 ، والمراد به النفقة وكانت واجبة قبل النسخ »[1].

وفي سورة آل عمران في قوله تعالى : **((لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ))** :{ 28 }. وقوله تعالى : **((يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ))** :{30} .

يرى ابن الزبير الغرناطي في تعقيب الآية الأولى بقوله : ((**وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ**)) ، أنه متعلق بما تقدم قبل هذه الآية من قوله تعالى : **((لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ))** ، فنهاهم سبحانه عن ذلك ثم أردف بالتحذير بقوله : **((وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ))**، ثم استثنى سبحانه من ذلك حال التقاة فقال : ((**إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**))، ثم قال محذرا عذابه في يوم يرجعون فيه إليه : ((**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ**)) ، وقال : «هذا كلام ملتحم جليل النظم والتنضيد »[2] ، لما فيه من ترابط بين الجمل .

وأما وجه تعقيب الآية الثانية بقوله تعالى : ((**وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**)) ، لما تقدمها من قوله تعالى : ((**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً**)) ، ثم قال معيدا ومحذرا : ((**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ**)) وأعقب بقوله : ((**وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**)) ، « لما تقدم من التذكير والوعظ والبيان والتحذير المبني على واضح الأمر والتبيان ، وذلك إنعام منه سبحانه وإحسان يستجر خوف العابدين ، فناسبه التعقيب بذكر رأفته بعباده رفقا بهم وإنعما وتلطفا فقال : ((**وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**)) ، ولم يتقدم قبل الأولى ما تقدم قبل هذه متصلا بها ، وإنما تقدمها النهي عن موالاة الكفار والتبري من مواليهم بالكلية ، فناسبه ما أعقب به ، وناسب هذه ما أعقبت به »[3].

ويرى بدر الدين بن جماعة أن ما ورد من تعقيب في الآيتين : « أن الأولى في سياق الوعيد لقوله : ((**فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ**)) . والثانية في سياق حذر التفويت للخير ولذلك خصه بقوله : ((**وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**)) »[4].

ويرى أبو حيان أنّ توجيه تعقيب الآية الثانية بصفة الرأفة بالعباد : « أبلغ في الوصف من جملة التخويف ؛ لأن جملة التخويف جاءت بالفعل الذي يقتضي المطلق ، ولم يتكرر فيها

---

[1] - كشف المعاني في المتشابه 117
[2] - ملاك التأويل 1 / 297
[3] - ملاك التأويل 1 / 298
[4] - كشف المعاني في المتشابه 127

اسم الله ، وجاء المحذر مخصوصا بالمخاطب فقط ، وهذه الجملة جاءت اسمية فتكرر فيها اسم الله إذ الوصف محتمل ضميره تعالى ، وجاء المحكوم به على وزن (فعول) المقتضي للمبالغة والتكثير ، وجاء بأخص ألفاظ الرحمة وهو (رؤوف) ، وجاء متعلقه عاما ليشمل المخاطب وغيره ، وبلفظ (العباد) ليدل على الإحسان التام ؛ لأن المالك محسن لعبده وناظر له أحسن نظر إذ هو في ملكه » [1].

وفي سورة المائدة في قوله تعالى : **((إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ . وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))** :{ 44 ، 45 }. وقوله تعالى : **((وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ))** :{ 47 } .

يقول الخطيب الإسكافي : « قال فيها أهل النظر : إنّ (من) فيها ليست كـ(من) في المجازاة ، وإنما هي بمعنى (الذي) ، ويصح دخول (الفاء) في جوابها كما تدخل في جواب الشرط لتضمنها ذلك المعنى ، وإن كان لا يجارى بها ، وهو كقولك : الذي يزورني فله درهم، إذا أوجبت له بالزيارة الدرهم ، وإن لم ترد : من يزرني فله درهم . فقوله : **((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ))** في هذه الآية : المراد اليهود الذين كانوا يبيعون حكم الله بما يشترونه من ثمن قليل يرتشونه فيبدلون حكم الله باليسير الذي يأخذونه فهم يكفرون بذلك » [2] .

ويرى في الآية الثانية : « هي فيهم أيضا بقوله تعالى : **((وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ))** ، ومعناه: كتبنا على هؤلاء في التوراة ، فرد الذكر إلى الذين هادوا ، وهم الذين كفّرهم لتركهم دين الله ، والحكم بما أنزله ، ثم وصفهم بعد خروجهم عن حكم الله في القصاص بين عباده في قتل النفس وقطع أعضائها بأنهم – مع كفرهم الذي تقدم ذكره – ظالمون ، وكل كافر ظالم لنفسه إلا أنه قد يكون غير ظالم لغيره ، فكأنه وصف في هذه الآية بصفة زائدة على صفة الكفر بالله، وهي ظلمه لعباد الله تعالى بخروجه في القصاص عن حكم الله **((وَمَن لَّمْ يَحْكُم))** في هذه الآية المراد بهم : الذين لا يحكمون من اليهود)) [3] .

ويرى في الآية الثالثة : « إنّها بعد قوله : **((وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فِيهِ))** ومعناه : قيل لهم في ذلك الزمان – وأمروا أن يحكموا به – **((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ))** ..

---

[1] - البحر المحيط 2 / 448

[2] - درة التنزيل وغرة التأويل 1 / 462

[3] - م . ن 1 / 462 – 465

والذي أذهب إليه أنا أن (من) هنا بمعنى المجازاة لا بمعنى (الذي) كما تقول فيمن لم يحكم بما أنزل الله منا : إنه لا يبلغ منزلة الكفر ، وإنما يوصف بالفسق »[1].

وقد اعترض ابن الزبير الغرناطي على هذا التوجيه ؛ لأنّ الإسكافي قد بنى توجيهه على أساس المنهج النحوي الذي تبناه : « حصل من كلامه أنّ الكفر والظلم في الآيتين خاص بيهود وهم المقصودون بذلك ، وإن الفسق يعمهم مع غيرهم ، وهو مأخذ بناه على ما حكاه من غيره من أنّ (مَنْ) في ثلاث الآي موصولة بمعنى (الذي) واعتمده هو في الأولين ، واختار في الثالثة (مَنْ) شرطية ليحصل في الموصولة خصوص وعهد فيمن تقدم ، وليحصل في الشرطية عموم كما تقدم ، ثم إنه لم يتعرض لبيان ترق ولا انتقال (...) وليس ذلك كما ذهب إليه ، ولا انفصلت منها آية أخرى إلا بما أعقبت به من الوصف » [2].

ويقول حمزة الكرماني : « قيل : كلها بمعنى الكفر ، وعبر عنه بألفاظ مختلفة ، لاجتناب صورة التكرار ، ولزيادة الفائدة ، وقيل : الكافرون نزلت في أحكام المسلمين ، والظالمون في اليهود ، والفاسقون في النصارى » [3]. وصاحب القول الأول ابن عباس والقول الثاني الشعبي [4].

ويرى فخر الدين الرازي التغاير في الآيتين الأوليتين : « الكفر أعظم من الظلم ، فلما ذكر أعظم التهديدات أولا ، فأي فائدة في ذكر الأخف بعده ؟ وجوابه : أن الكفر من حيث أنه إنكار لنعمة المولى وجحود لها فهو كفر ، ومن حيث إنه يقتضي إبقاء النفس في العقاب الدائم الشديد فهو ظلم على النفس ، ففي الآية الأولى ذكر الله ما يتعلق بتقصيره في حق الخالق سبحانه ، وفي هذه الآية – آية 45 – ذكر ما يتعلق في حق نفسه » [5].

وذكر ابن الزبير الغرناطي توجيه الفخر الرازي ورد عليه قائلا : « إنّ الكلام لو كان جاريا على ما قال لبني عليه اعتراض يلزمه تكميلا لما ألزمه نفسه في هذه الآي من توجيه الوارد فيها من الأوصاف الثلاثة وهو قصره السؤال والجواب على الوصفين من الكفر والظلم وكأن قوله في الآية الثالثة بعد : ((**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**)) غير مناط بما قبله وليس الأمر كذلك ، فإن المذكورين في الآي الثلاث قد اجتمعوا في الحكم بغير ما أنزل الله وقد شملهم ذلك فهم من حيث ذلك صنف واحد .

---

[1] - م . ن 1/ 466
[2] - ملاك التأويل 1 / 396
[3] - غرائب التفسير وعجائب التأويل 1 / 331 ، وينظر : البرهان في توجيه متشابه القرآن 58
[4] - الكشاف 1 / 671
[5] - التفسير الكبير 12 / 9

ومدار الآي الثلاث إنما هو على فعل يهود المنصوص على حكمهم بغير ما أنزل الله ومخالفتهم منصوص كتابهم في الرجم وغيره ، وما قبل هذه الآي وما بعدها لم يخرج عنهم ، فهم أهل الأوصاف الثلاثة » [1].

ويمكن أجمال الاعتراض : بأن الفخر الرازي ما كان له أن يطرح السؤال عن الفائدة في التدرج من الأخف إلى الأثقل ، لأنه من الواضحات ، وسبب طرح الرازي لهذا السؤال عدم النظر إلى الآية الثالثة التي فيها فاصلتها ((**الْفَاسِقُونَ**)) .

وقد لحظ ابن الزبير بأن التدرج من الأخف إلى الأثقل مطرد في القرآن ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ((**كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ . إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**)) {سورة آل عمران : 86 – 91 } .

يقول : « قد وقع في هذه الآي ذكر ثلاثة أصناف اجتمعوا في الكفر بعد الإيمان ثم اختلف حكمهم فيما بعد وقد تحصل في وعيدهم الانتقال من أخف إلى أثقل فقال تعالى : ((**كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**)) إلى قوله : ((**وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ**)) ، فهؤلاء مع وعيدهم وما ذكر من لعنهم قد أعقب ذلك بقوله تعالى : ((**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ**)) فهذا إبقاء خفت به حالهم عن المذكورين بعدهم (...)

وأشتد حال المذكورين بعدهم حين قيل فيهم : ((**لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ**)) ، ثم قال تعالى : ((**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ**)) ، فأعلم من حال هؤلاء بموتهم على الكفر فانقطع رجاؤهم وهؤلاء أشد حالا ممن ذكر قبلهم في الآية المذكورة قبلها إذ لم ينص فيها على موتهم على الكفر ونص في هذه الأخيرة فكانت أشد ، فقد وضح في هذه الآيات الانتقال من أخف إلى أثقل وهو مطرد في الوعد والوعيد واللطف والتعريف بالامتنان والأحوال ، وما يرجع إلى ذلك وعلى هذا كلام العرب في هذه الضروب » [2].

وبنى ابن الزبير توجيهه على أن هذه الآي جارية على المطرد في الوعد والوعيد والانتقال في الوصف بالكفر والظلم والفسق من أخف إلى أثقل « فالكفر إذا ورد مجردا عن القرائن إنما يقع على الكفر في الدين ، ثم إنه قد يقع على كفر النعمة ويفتقر إلى قرينة ومنه :

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 393

[2] - ملاك التأويل 1 / 389 – 391

((وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) {سورة الشعراء : 19}. أما الظلم فلفظ مشترك، فإذا ورد مجردا عن القرائن لم يكن نصا في شيء من موقعه ، وإنما يتخلص بالقرائن ، قال تعالى : **((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))** {سورة لقمان : 13 } ..

أما الكفر فلا تنتشر موقعه ، وكأن دلالته على كفر النعمة من قبيل ما يدل بتشكيك ، كدلالة موجود على العرض ، وأما الظلم فعلى ما تقدم ، فإذا اقترن بالظلم الكفر كان أعظم من الكفر (...) وإنما يقع كثيرا على الكفر كقوله تعالى : **((أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ))** {سورة السجدة : 18} ، لأنّ المراد هنا الطرفان كقوله تعالى : **((فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ))** {سورة التغابن : 2} ، وأكثر وقوعه في القرآن إنما هو في وصف يهود والمنافقين .. ولم يجر الوصف بالظلم في كتاب الله مجرى الفسق في ما ذكرنا ، وقلما يوصف يهود والمنافقون ، وإن كانوا ظالمين لأنفسهم إلا بالفسق » [1].

ويلخص ما يريد أن يقوله « الظلم والفسق وإن وقعا على المتوغلين في الكفر حين ذكرنا ، وبالقرائن فالفسق أشد وأعظم ، ولا يوصف به من الكفرة في كتاب الله إلا شرهم .. فقد وضح أبين الوضوح أن الظلم بالقرائن – حسبما تقد – أشنع من الكفر مجردا وإن الفسق أشد وأعظم إذا شهدت له القرائن ، فحصل بالانتقال في آي المائدة من أخف إلى أثقل على المطرد وفي المقابل من الترقي في آي الوعد » [2].

وفي سورة الأنعام في قوله تعالى : **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ . وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))** : {97 – 99} .

يقول الخطيب الإسكافي فيما ورد من تنوع في فواصل سورة الأنعام ، وما العلة في اختصاص الآية الأولى بقوله : ((**يَعْلَمُونَ**)) واختصاص الآية الثانية بقوله : ((**يَفْقَهُونَ**)) واختصاص الآية الثالثة بقوله : ((**يُؤْمِنُونَ**)) ؟ ، فالآية الأولى لما تقدمها : **((إِنَّ اللّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))** :{ 95 – 97} «

---
[1] - م . ن 1 / 400 – 403
[2] - م . ن 1 / 403

إن قوله تعالى : ((**قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**)) جاء بعد آيات نبهت على معرفة الله تعالى .. ولا لفظ من ألفاظ (يعقلون) و(يفقهون) و(يشعرون) إلا ولفظة (يعلمون) أعلى منه ولذلك صحت في الخبر عن الله تعالى ، ولم يصح فيه غيرها من الألفاظ للدلالة عليه باللفظ الأشرف » [1].

ولما تقدم الآية الثانية من سورة الأنعام قوله تعالى : ((**وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**)) ، « أخبر عن ابتدائه الإنسان وإنشائه إياه ، ثم نبهه بما أراه من تنقله من حال إلى حال ، ومن عدم إلى وجود ، ومن مكان إلى مكان ، ومن صلب إلى رحم ، ومن بطن أم إلى وجه الأرض ، ومن وجه الأرض إلى بطنها ، على أنه كما نقل من موت إلى حياة ، ومن حياة إلى موت ، كذلك ينقل من الموت إلى الحياة ، ومن القبر إلى الحشر ، ومنه إلى إحدى الدارين ؛ لأن الاستيداع في الدنيا ، والمستقر في العقبى كما نقل في التفاسير . فنطقت تلك الأحوال الحادثة لمن يفهمها ويفطن لها ويستدل بمشاهدها على مغيبها أن بعد الموت بعثا وحشرا وثوابا وعقابا ، وهذا مما يفطن له فـ(يفقهون) أولى به » [2].

وما تقدم الآية الثالثة من تعدد للنعم « بعد ما عد نعمه على خلقه ، وما وسعه من رزقه من الحب المعد للأقوات ، ومن ضروب الأشجار وصنوف الثمار ، وكان هذا مستدعيا للإيمان به ، المشتمل على شكر نعمته ، والقيام بما فرض من طاعته ، وأوجب من عبادته ، كانت الآيات في ذلك معرضة لمن آمن بالله ، فلذلك قال في الأخير : ((**إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**)) » [3].

ويتفق ابن الزبير الغرناطي في اختلاف الأوصاف التابعة في الآي الثلاث مع ما وجه به الإسكافي وأضاف على ما قاله في الآية الأولى : « ذكر سبحانه من المعتبرات التي يتوصل بالنظر فيها إلى معفرة وحدانيته تعالى ما يحصل الاطلاع عليه بمن تقدمت له به معرفة ، فيحصل من ذلك علم منقول فيما يتعلق بذات المتعرف المطلوب به الاستدلال ، أو في أدوات موصولة إليه إذ ليس علم ذلك راجعا إلى مجرد الفكر والتفطن .. والقلب في كثير من هذا الضرب مورد على البصر فيما ينهيه إليه فصار هذا الضرب من المعتبرات الدالة على الصانع تعالى كالمخبر به الحاصل بواسطة من خارج فتناسب ذلك التعبير عن المتذكر به بالعلم الذي مواده ومحصلاته الخبر القاطع مع النظر السديد » [4].

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 531

[2] - م . ن 2 / 532 – 533

[3] - م . ن 2 / 533 – 534

[4] - ملاك التأويل 1 / 463

وما ورد في الآية الثانية إنما يطلع عليه بالتفكر والاعتبار : « مرجع العلم بنشأة الإنسان وتقلبه من صلب إلى رحم ، وارتباط أعضائه الظاهرة والباطنة ، وجمع أجزائه وتصرف كل عضو في ما له خلق ، واحتياج الأعضاء بعضها إلى بعض .. فالعلم بهذا كله جملة وتفصيلا مما لا يحصل بالسمع والبصر ، وإنما يطلع عليه بالاعتبار والتفكر من ذوي الفطن السالمة ، والنظر العقلي السديد ، والفهم المصيب »[1].

وما ورد في الآية الثالثة يتحصل من بعثة الرسل : « لما ذكر إنزال الماء من السماء وإخراج النبات من الأرض به .. لما أورد هذا كان مذكرا بالبعث الأخروي والنشأة الثانية .. وإنما يحصل العلم بذلك ، وسائر أمور الآخرة من قبل الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ، والإيمان بهم وبما جاؤوا به »[2].

وفي قوله تعالى في سورة الأنعام : **((قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))** : {151 – 153}.

يرى الخطيب الإسكافي فيما اقتضى في الأولى (تعقلون) وفي الثانية (تذكرون) ، وفي الثالثة (تتقون) . لما قدم الله تعالى في الآية الأولى وصايا خمسة : الإيمان بدل الشرك ، ثم الإحسان إلى الوالدين ، ثم الإحسان إلى الأولاد بتربيتهم ، وترك ما كانت عليه العرب في جاهليتها من وأد البنات للفقر والإملاق ، ثم أن لا يقربوا ما لعله يكون سبب ولد لا يصلح نسبه ، ثم أن يحقنوا الدماء ، ولا يسفكوها إلا بحقها ، وهو أن يقتلوا للقصاص .

يقول : « فهذه خمسة تتعلق بأكبر الحقوق، وأوكد الأصول ، فالشرك اعتقاد مذهب باطل بهوى ، وترك الإحسان إلى الوالدين يكون إما لمحبة مال لا يسمح به لهما ، أو إتباع هوى يدعو إلى مخالفتهما ، ووأد البنات لخوف الفقر والعار ، والزنى وما يقبح جدا من المعاصي التي تحمل عليها الشهوة ، وقتل النفس بغير حق يدعوا إليه شفاء غيظ النفس الأمارة بالسوء . وكل ذلك قبيح في العقول يحتاج في ذب النفس عنها إلى زجر من عقل يدفع الهوى إلى زاجر

---

1 - م . ن 1 / 464
2 - م . ن 1 / 465

من عقل يدفع الهوى ؛ فلذلك قال : ((**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)) ، أي تستعملون العقل الذي يحبس نفوسكم عن قبيح الإرادات وفواحش الشهوات » [1].

بينما قدم في الآية الثانية وصايا خمسة أخرى : حفظ مال اليتيم عليه والعدل في الكيل ، وإيفاء الكيل والوزن بالقسط ، والقول بالعدل ، والوفاء بعهد الله « وكل هذه قد دعي فيها الإنسان إلى تذكر حاله ورضاه في نفسه لو كان هو المعامل بما يعامل هو به غيره : أي لو كان ولده يتيم ، أو كان الذي يكال له ويوزن ، أو كان يحكم به عليه ، أو تقام الشهادة بما لا يلزمه ، أو يحلف بالله على إذهاب حق له بما يلزمه الوفاء به ، فلا يرضينّ من ذلك لغيره إلا ما يرضاه لنفسه ، فذكرهم حالا مرات لهم أو يخافون مرورها عليهم ؛ فلذلك قال : ((**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)) » [2].

والآية الثالثة لم يرد فيها إلا وصية واحدة هي « الشرع الذي شرعته لكم هو طريق أشرعته إلى نعيمكم الدائم فاسلكوه ، ولا تتبعوا الديانات المخالفة له فتبعدكم عن سبيله المؤدي إلى نعيمه ؛ لعلكم تنجون بلزومه معصيته ، وتتقون بطاعته عقوبته » [3].

ووافقه في التوجيه الكرماني : « الآية الأولى : مشتملة على خمسة أشياء كلها عظام جسام . فكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا ، فختم الآية الأولى بما في الإنسان من أشرف السجايا وهو العقل ، الذي امتاز به عن سائر الحيوان . والآية الثانية : مشتملة على خمسة أشياء يقبح تعاطي ضدها وارتكابها ، وكانت الوصية بها تجري مجرى الزجر والوعظ ن فختم بقوله : (تذكرون) أي تتعظون بمواعظ الله . والآية الثالثة : مشتملة على ذكر الصراط المستقيم ، والتحريض على إتباعه ، واجتناب مناهيه ، فختم الآية بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد » [4]. ووافقهم أيضا ابن الزبير الغرناطي [5].

ويرى ابن عطية أن توجيه اختلاف الفواصل راجع إلى طبيعة المحرمات : « كانت المحرمات الأول لا يقع فيها عاقل قد نظر بعقله جاءت العبارة : ((**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)) ، والمحرمات الأخر شهوات وقد يقع فيها من العقلاء من لم يتذكر جاءت العبارة : ((**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)) ، ثم لما كان ركوب الجادة الكاملة يتضمن فعل الفضائل وتلك درجة التقوى جاءت العبارة : ((**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**)) » [6].

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 566 – 567
[2] - م . ن 2 / 568 – 569
[3] - م . ن 2 / 569
[4] - البرهان في توجيه متشابه القرآن 69
[5] - ملاك التأويل 1 / 480 – 481
[6] - المحرر الوجيز 3 / 495

وفي سورة التوبة في قوله تعالى : **((مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ))** :{120 ، 121} .

يقول الخطيب الإسكافي في الاختلاف في تعقيب الآية الأولى بقوله : **((إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ))** ، وتعقيب الثانية بقوله : **((لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ))** : « أن من أخبر عنه بأنه أصابه ظمأ ونصب وجوع ، فقد أخبر عنه بفعل غيره ، ولم يخبر عنه بفعل فعله هو ، إلا أنه يحسب له بما وصل إليه من ألم العطش والجوع والتعب والنصب الأجر ، فلذلك عقبه بقوله : **((إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ))** ، أي أجر من أحسن طاعة الله وتعرض منها لما تلحقه فيه هذه الشدائد . وأما الآية الثانية فلأن جميع ما ذكر كان عملا لهم ، فوعدهم حسن الجزاء على عملهم ، وذلك ظاهر » [1].

وفي قوله تعالى في سورة التوبة : **((رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ))** :{ 87} ، وقوله تعالى : **((إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ))** :{ 93}.

يقول الخطيب الإسكافي في التغاير في الآيتين بين قوله في الآية الأولى : **((فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ))** ، وقوله في الآية الثانية : **((فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ))** : « أن الذين ذكروا بالطول ، وهو الفضل في النفس والمال والقدرة على الجهاد ، إنما مالوا إلى الدعة ، وأخلدوا إلى الراحة ، وأشفقوا من الحر ، ولم يفطنوا أن الراحة في تحمل التعب مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأن الدعة توجد بتحمل المشقة معه ، فطلبوا ما كان مطلبهم ضده لو فقهوا ، وتفطنوا، فكان هنا موضع **(يفقهون)** » [2].

ويرى في الآية الأخرى وهي : **((إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء))** ، « أي العقاب يتوجه إلى هؤلاء ، وهم الذين لا يعلمون ما أعد الله لكل ذي عمل محق عمله ما يعمله المؤمنون الذين يستجيبون للخروج ، والذين تفيض أعينهم، إذ لم يعنهم بالركب . فلما كان بإزائهم في الآيتين اللتين قبل ، ذكر من تحقق ، وعلم الثواب والعقاب ، وخالفهم هؤلاء ، نفى عنهم ما أثبته لأولئك وهو العلم ، فلذلك جاء في هذا المكان **((فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ))** » [3].

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 731 – 732

[2] - م . ن 2 / 722 – 723

[3] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 722 – 723

في التغاير بين الآيتين ، والقول في الآية الأولى : ((**فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ**)) ، والقول في الآية الثانية : ((**فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**)) ، يقول ابن الزبير: « لما اجتمع ذكر إنزال السورة إلى ذكر المراد بها بقوله : ((**أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ**)) {سورة التوبة :86}، استدعى ذلك نظر من بلغه هذا المنزل واعتباره وتفهم المقصود به إلى الكمال ليقع الامتثال على وجهه، فلما تراموا إلى الخلود إلى الراحة وترك الجهاد الذي تحملت الآية الأمر به ناسب ذلك أن ينفي عنه الفهم والتدبر فقيل : ((**وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ**)) والتفقه والتفكر والاعتبار. ولما لم يقع في الآية بعد ذكر ما يحتاج إلى ذكر تدبره وتفهمه لقرب المعنى المراد منه وذلك قوله : ((**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء**)) صرف النفي إلى الحاصل على التفهم وهو العلم فقيل : ((**وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**)) » [1].

وفي سورة الرعد في قوله تعالى : ((**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)) :{ 3 ، 4 }.

يقول الخطيب الإسكافي فيما ورد من اختلاف الفاصلتين : « إن التفكر هو المؤدي إلى معرفة الشيء ، والعلم بالآيات التي تدل على وحدانية الله تعالى ، فهو قبلُ ، فإذا استعمل على وجهه عقل ما جعلت هذه الأشياء أمارة له ودلالة عليه . فبدئ في الأول بما يحتاج إليه أولا من التفكر والتدبر المفضيين بصاحبهما إلى إدراك المطلوب ، وخص الآخر بما يستقر عليه آخر التفكر من سكون النفس إلى عرفان ما دلت الآيات عليه ، فكان تقديم ما قدم وتأخير ما أخر إشارة إليه » [2].

ويقول فخر الدين الرازي : « اعلم أنه تعالى في أكثر الأمر حيث يذكر الدلائل الموجودة في العالم السفلي يذكر عقبها : ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)) أو ما يقرب منه بحسب المعنى ، والسبب فيه أن الفلاسفة يسندون حوادث العالم السفلي إلى الاختلاف في الأشكال الكوكبية ، فما لم تقم الدلالة على دفع هذا السؤال لا يتم المقصود ، فلهذا المعنى قال: ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)) كأنه تعالى يقول مجال الفكر باق بعد هذا المقام من التفكر والتأمل الاستدلال » [3].

ويرى ابن الزبير الغرناطي فيما ورد من اختلاف الفاصلتين لمعتبرات كل منهما ، فمن معتبرات الآية الأولى : مد الأرض ، وجعل الجبال رواسي ، وجعل الأنهار ، وجعل قانون

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 597 – 598
[2] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 812 – 813
[3] - التفسير الكبير 19 / 6

الزوجية في الثمار والآيات الكونية من الليل والنهار . ومن معتبرات الآية الثانية تجاور قطع الأرض وتقاربها في الصفات والهيئات ، ولكنها تتفاوت في التربة فمنها الخصبة ، والسبخة ومنها الرخوة والصلبة ، ثم تخرج أنواع الجنات من النخيل والأعناب والأشجار ، وكل ذلك يسقى بماء واحد ، وفضل بعضها على بعض في أكل ثمارها وحبوبها « أما معتبرات الأولى فيتوصل بالفكر إلى الحصول على الاعتبار بها ، وتعقلها ، وعجيب الحكمة فيها ، وغموض ما في الثانية باد ولا يتوصل إلى بعض ذلك إلا بعد طول الاعتبار ، والتأييد منه سبحانه والتوفيق، فلما كان العقل أشرف ، وأعلى ناسبه أن يتبع به ما هو أغمض وأخفى، وناسب الفكر ما هو أظهر وأجلى »[1]. والسبب في ذلك هو أن :« التفكر في الشيء سبب لتعقله ، والسبب مقدم على المسبب ، فناسب تقدم التفكر على التعقل »[2].

ويرى أبو حيان في توجيه الآيتين ، أن ما ورد في الآية الثانية من الاستدلال « في غاية الوضوح ، من مشاهد تجاور القطع والجنات وسقيها وتفضيلها جاء ختمها بقوله : ((**لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)) بخلاف الآية التي قبلها، فإن الاستدلال بها يحتاج إلى تأمل ومزيد نظر جاء ختامها بقوله : ((**لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)) »[3].

وفي سورة النحل في قوله تعالى : ((**يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**)) :{ 11 – 13} .

يرى الخطيب الإسكافي : « إن التفكر إعمال النظر لتطلب فائدة ، وهذه المخلوقات التي تنجم من الأرض إذا فكر فيها علم أن معظمها ليس إلا للأكل ، وأن الأكل به قوام ذي الروح، وأن المنعم عليه يحتاج أن يعرف المنعِم به ليقصده شكر إحسانه ، فهذا موضع تفكر بعث الناس عليه ليفضي بهم إلى المطلوب منهم . وأما تعقيب ذكر الليل والنهار وما سخر في الهواء بقوله : ((**لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)) ؛ فلأن متدبر ذلك أعلى رتبة من متدبر ما ذكر متقدما ، إذ كانت المنافع المجعولة فيها أخفى ، فمن استدرك الآيات فيها استحق الوصف بما هو أعلى من رتبة المتفكر المتدبر .. وأما الثالثة وهي : (**لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ**) ؛ فلأنه لما نبه في الأوليين على إثبات الصانع ، نبه في الثالثة على أنه لا شبه له مما صنع ؛ لأن من رأى المخلوقات أصنافا مزدوجة مؤتلفة أو مختلفة نفى عنه صفاتها ، وعلم أن خالقها يخلقها ، لا يشبهها ولا تشبهه»[4].

---

[1] - ملاك التأويل 2 / 699
[2] - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن 286
[3] - البحر المحيط 5 / 357 – 358
[4] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 825 ، 826

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « إن إنبات الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومختلف الثمرات بالماء المنزل من السماء مع كونه واحدا ، والمنبت مختلف الأنواع والطعوم والمنافع أمر يوصل إلى تعرفه وارتباطه باستعمال الفكر في ذلك .. العلم بتسخير هذه مما يغمض ويخفى إلا على ذوي البصائر والفطن والعقول الراجحة ، فلم يقنع التفكر هنا بل وصف المعتبر بها بما هو فوق الفكر .. أما الآية الثالثة وهي قوله : ((**وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ**)) ببدأة الفكر السالم فقصد التذكير كاف في حصول الاعتبار بذلك»[1].

ويقول الزركشي: « جعل مقطع هذه الآية – الأولى – التفكر ؛ لأنه استدلال بحدوث الأنواع المختلفة من النبات على وجود الإله القادر المختار . وفيه جواب عن سؤال مقدر : وهو أنه لم لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحكات الشمس والقمر ؟ .. إنه تعالى أجاب عن هذا السؤال من وجهين : أحدهما : أن تغير العالم الأسفل مربوطة بأحوال حركات الأفلاك ، فتلك الحركات حيث حصلت ، فإن كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل ، وإن كان من الخالق الحكيم فذلك الإقرار بوجود الإله تعالى .. والثاني : أن نسبة الكواكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة ، والحبة الواحدة ، ثم إنا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها في غاية الحمرة ، والأخرى في غاية السواد ، فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت في الآثار ، فعلمنا أن المؤثر قادر مختار فلهذا جعل مقطع الآية التذكر »[2].

وفي سورة الروم في قوله تعالى : ((**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ . وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**)) :{ 21 – 23} .

يقول الخطيب الإسكافي في مناسبة اختصاص ما ختمت به هذه الآيات : « أما اختصاص الأولى بقوله : ((**يَتَفَكَّرُونَ**)) ؛ فلأن المراد بما ذكر قبله يؤدي الفكر فيه إلى معناه، وهو قوله تعالى : ((**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**)) ، أي خلق لكم من شكلكم وجنسكم نساء ، وهذا أدعى إلى الألفة والمحبة لوجود المشاكلة . وقوله : ((**لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**)) ، أي جعلها على حال تتيسر المسرة بها ، ويطمئن القلب إليها ، فإذا فكر الإنسان في خلقها ، ونعمة الله تعالى على الرجل بها ... وأما قوله : ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**)) ؛ فلأنه جاء بعد قوله : ((**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**)) ، ولا أحد إلا والسماء تظله والأرض تقله ، فلا ينفك منهما ، ولا يخلو من كونه بينهما ، يعلم ذلك

---

[1] - ملاك التأويل 2 / 733 ، 734

[2] - البرهان في علوم القرآن 1 / 73

باضطرار (...) وأما قوله تعالى : ((**وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ**)) فهو من باب لف الخبرين ، المعنى : منامكم بالليل للسكون ، وابتغاؤكم من فضله بالنهار (...) وكل من سمع هذا علم أن النوم عجيب من فضل الله تعالى ، لا يقدر الإنسان على اجتلابه إذا امتنع ، ولا على دفعه إذا ورد ، ثم إنه بالنهار لابد له من تصرف لمعاش وطلب قوت وطعام به قوام الأجساد » [1].

ويقول فخر الدين الرازي : « قال : ((**لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**)) ، وقال من قبل: ((**لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)) ، وقال : ((**لِّلْعَالِمِينَ**)) ، فنقول : المنام بالليل والابتغاء من فضله يظن الجاهل أو الغافل أنهما مما يقتضيه طبع الحيوان ، فلا يظهر لكل أحد كونهما من نعم الله ، فلم يقل آيات للعالمين ؛ ولان الأمرين الأولين وهو اختلاف الألسنة ، والألوان من اللوازم ، والمنام والابتغاء من الأمور المفارقة فالنظر إليهما لا يدوم لزوالهما في بعض الأوقات ، ولا كذلك اختلاف الألسنة والألوان فإنهما يدومان بدوام الإنسان فجعلهما آيات عامة . وأما قوله : ((**لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)) ، فاعلم أن من الأشياء ما يعلم من غير تفكر ، ومنها ما يكفي فيه مجرد الفكرة ، ومنها ما لا يخرج بالفكر بل يحتاج إلى موقف يوقف عليه ، ومرشد إليه ... ولكن خلق الأزواج لا يقع لأحد أنه بالطبع إلا إذا كان جامد الفكر خامد الذكر ، فإذا تفكر علم كون ذلك الخلق آية . وأما المنام والابتغاء فقد يقع لكثير أنهما من أفعال العباد ، وقد يحتاج إلى مرشد بغير فكرة ، فقال : ((**لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**)) ويجعلون بالهم إلى كلام المرشد » [2].

ووجه ابن الزبير الغرناطي اختصاص كل آية من هذه الأربع بما ختمت به من وصف المعتبرين بقوله : « إن الآية الأولى لما انطوت من حكمته سبحانه في سبب التناسل والتكاثر على ما أبداه تعالى في خلق الأزواج منا ليحصل السكن وعدم التنافر (...) ناسب هذا إعقاب هذه الآية بوصف التفكر فقال تعالى : ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)) . ولما كان خلق السماوات والأرض واختلاف الألسنة والألوان مع عظيم الأمر في ذلك باد منه الشهادة بأن وراء ذلك موجودا متنزها عن شبه هذه الأجرام (...)

ولما كان أمر الليل والنهار منصوصا على رحمة الخلائق بهما (...) وأما إراءته سبحانه البرق خوفا وطمعا ، وإنزال الماء من السماء ، وإحياء الأرض بعد موتها ، فلا تحصل ثمرة الاعتبار به إلا لمن أطال الاعتبار وأمعن النظر وبالغ في ذلك » [3].

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 3 / 1041 – 1046
[2] - التفسير الكبير 25 / 113 ، 114
[3] - ملاك التأويل 2 / 933 – 936

وفي سورة الصف في قوله تعالى : **((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ))** : {8 ، 9}.

يرى فخر الدين الرازي أن مناسبة الفاصلة في الآية الأولى بقوله : **((الْكَافِرُونَ))** ، وفي الآية الثانية بقوله : **((الْمُشْرِكُونَ))** : « إنّهم أنكروا الرسول ، وما أنزل إليه وهو الكتاب وذلك من نعم الله ، والكافرون كلهم في كفران النعم ، فلهذا قال : **((وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ))** ؛ لأن لفظ الكافر أعم من لفظ الشرك ، والمراد من الكافرين ههنا اليهود والنصارى والمشركون، وههنا ذكر النور وإطفاءه ، واللائق به الكفر ؛ لأنه الستر والتغطية ؛ لأن من يحاول الإطفاء إنما يريد الزوال ، وفي الآية الثانية ذكر الرسول والإرسال ودين الحق ؛ وذلك منزلة عظيمة للرسول (عليه السلام) ، وهو اعتراض على الله تعالى ...

والاعتراض قريب من الشرك ؛ ولأن الحاسدين للرسول (عليه السلام) ، كان أكثرهم من قريش وهم المشركون ، ولما كان النور أعم من الدين والرسول ، لا جرم قابله بالكافرين الذين هم جميع مخالفي الإسلام والإرسال ، والرسول والدين أخص من النور قابله بالمشركين الذين هم أخص من الكافرين »[1].

وفي سورة الجاثية في قوله تعالى : **((إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ. وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))**{ 3 – 5}.

ففي هذه الآيات القرآنية ذكر لبعض الآيات الكونية التي تدركها الحواس ، ومن ثم كان من شأن إدراكها أن يؤدي إلى الإيمان واليقين والاقتناع العقلي ، بأن الإبداع لا يكون بلا مبدع ، « وسواء أ كان اليقين والنظر العقلي عنصرين من عناصر الإيمان أو قريبي المعنى منه أو مرادفين له لا بد أن يثور في أذهاننا سؤال عن السبب الذي دعا إلى إيراد هذه الكلمات بهذا التتابع مع شدة الترابط في المعنى بينها »[2].

يقول الخطيب الإسكافي : « الآية الأولى من سورة الجاثية محمولة على ما تقدم من إثبات الآيات فيهما للمؤمنين ، ومن تلك الآيات آية لا شيء أعظم في الموجودات منها ، ثم اتساق النجوم فيها ، وتسخيرها على انتظام مما يدل على مدبرها ، ثم وقوفها مع عظمها ، وثقل جرمها بغير دعامة من تحتها ، ولا علاقة من فوقها يدل على قادر لا يشبهه قادر ، فمن وفى النظر حقه في ذلك وفي سائر ما فيها من الآيات الأخرى أداه إلى الإيمان بالله ...

---

[1] - التفسير الكبير 19 / 316 ، 317

[2] - البيان في روائع القرآن 1 / 201

وأما قوله : ((**وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ**)) ، فإن العجائب في خلق الحيوان، وما له من الأعضاء والحواس التي بها يدرك المحسوسات ، ثم ما في باطنه من حوادث المواد التي بها قوام الحياة ، ثم الروح التي بها ثبات الأجساد أكثر من أن تحصى وتعد ... وأما الآية الأخيرة .. فخص هذا المكان بقوله : (يعقلون) ؛ لأن المعنى أنهم يفطنون بمعلوم لمعلوم آخر ، فيعقلون من إحياء الله تعالى الأرض بالمطر حتى تكتسي بالنبات والشجر أنه يحيي العظام وهي رميم » [1].

ويقول الزمخشري : « المعنى أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السماوات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة ، وأنه لا بد لها من صانع ، فآمنوا بالله وأقروا، فإذا نظر في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال ، وهيئة إلى هيئة ، وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف الحيوان : ازدادوا إيمانا ، وأيقنوا ، وانتفى عنهم اللبس ، فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار ، ونزول الأمطار ، وحياة الأرض بعد موتها ، وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم » [2].

ويقول فخر الدين الرازي : « أظن أن سبب هذا الترتيب أنه قيل : إن كنتم من المؤمنين فأفهموا هذه الدلائل ، وإن كنتم لستم من المؤمنين بل أنتم من طلاب الحق ، واليقين فافهموا هذه الدلائل ، وإن كنتم لستم من المؤمنين ، ولا من الموقنين ، فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل » [3].

وفي سورة المنافقين في قوله تعالى : ((**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ . يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**)) :{ 7 ، 8 } .

يقول الخطيب الإسكافي في مناسبة اختصاص الآية الأولى بقوله : ((**يَفْقَهُونَ**)) واختصاص الآية الثانية بقوله : ((**يَعْلَمُونَ**)) : « إنّ معنى قوله : ((**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ**)) ، أي : يأمرونهم بالضرار بهم ، وحبس النفقات عنهم ، ولا يفطنون ؛ لأنّهم إذا فعلوا أضروا بأنفسهم دون من عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ لأنّ الله لا يحبس ما قدر من أرزاقهم فلا يضرهم إذا حبسوا إنفاقهم ، فهم لا يفقهون ذلك ولا يفطنون له .

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 3 / 1179 - 1182

[2] - الكشاف 4 / 289

[3] - التفسير الكبير 27 / 260 ، 261

وقوله في الثانية : ((**لَا يَعْلَمُونَ**)) بعد قولهم : ((**لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**)) عندهم ؛ لأن الأعز من له القوة والغلبة ، على ما كان عليه في الجاهلية ، ولا يعلمون أن هذه القدرة التي يفضل بها الإنسان غيره ، إنّما هي من الله تعالى ، ولمن يخصه بها من عباده ، والمنافقون لا يعلمون أن الذلة لمن يقدرون فيه العزة ، وأن الله معز أولياءه ، بطاعتهم له ، ومذل أعداءه بمخالفتهم أمره ، فقد اختصت كل آية بما اقتضاه معناها»[1].

ويقول فخر الدين الرازي : « ليعلم بالأول قلة كياستهم وفهمهم ، وبالثاني كثرة حماقتهم وجهلهم .. الأول لحصول الفقه بالتكلف ، والثاني لا بالتكلف ، فالأول علاجي والثاني مزاجي» [2].

ويقول ابن الزبير الغرناطي في مناسبة نفي الفقه عنهم أولا ونفي العلم في الآية الثانية: « إنّ الاعتزاز بالدين ، والاطلاع على تشريف المؤمن به ، واعتزازه بسببه أمر لا يوصل إليه إلا بعلم ويقين لا طريق لمنافق إليه ما دام على نفاقه ، وإنما يعلمه ويصل إلى رحمة الله به المؤمن العالم حق العلم بما منح الله المؤمنين من الاعتزاز بدينه سبحانه ، والاعتصام بإتباع نبيه (صلى الله عليه وسلم) والتمسك بما جاء به ، فنفي ذلك عن المنافقين بين لا خفاء فيه ، ولا يناسب سواه .

وأما ما راموه من قطع الرفد والإنفاق عن رسول الله عليه السلام ويفردوه ، فإن ذلك أمر لو تثبتوا فيه مع كفرهم ونفاقهم ، وأمعنوا النظر لعلموا بجري العادة في هذا غير نافذة ، وأن وصول أرزاق العباد إليهم أمر ليس لمخلوق فيه كنزول المطر وإرسال الرياح ، وذلك مما لا طمع لمخلوق في إرساله ولا إمساكه .. فنفي الفقه عنهم هنا أنسب شيء » [3].

وفي سورة الحاقة في قوله تعالى : ((**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**)) : {41 – 42} .

يقول الخطيب الإسكافي : « من نسب إلى النبي إلى أنّه شاعر ، وأنّ ما أتى به شعر ، فهو جاحد كافر ؛ لأنّه يعلم أنّ القرآن ليس بشعر لا في اتزان آياته ، ولا في تشكل مقاطعه إذ منه آية طويلة ، وأخرى إلى جنبها قصيرة (...)

وأما من قال إنّه كاهن ، فإنّ كلام الكهنة نثر غير نظم ، وفيه سجع ، وهو مخالف للشعر أيضا ، فمن قال إنه كلام الكهان فإنه ذهل عن تذكر ما بني عليه كلامهم من السجع الذي يتبعون فيه معاني ألفاظهم ، وحق اللفظ في البلاغة أن يكون تابعا للمعنى ، وهو ما عليه القرآن

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 3 / 1267 ، 1268

[2] - التفسير الكبير 30 / 18

[3] - ملاك التأويل 2 / 1082 ، 1083

.. فلو تذكر قائل هذا القول : إن النثر مخالف لكلام الكهنة فيما ذكرناه لما قال إنه قول كاهن »[1].

ويقول السيوطي ملخصا ما قاله الخطيب الإسكافي : « ختم الأولى بـ (تؤمنون) والثانية بـ(تذكرون) ، ووجهه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد ، فقول من قال : شعر ، كفر وعناد محض ، فناسب ختمه بقوله : (**قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ**) . وأما مخالفته لنظم الكهان وألفاظ السجع فتحتاج إلى تذكر وتدبر ؛ لأن كلا منهما نثر ، فليست مخالفته له في وضوحها لكل أحد كمخالفته الشعر ، وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعاني الأنيقة ، فحسن ختمه بقوله : (**قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**) » [2].

ثانيا : اختلاف فواصل الآي بين السور

في سورة البقرة في قوله تعالى : ((**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)): {164}. وفي سورة آل عمران في قوله تعالى : ((**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ**)) : {190 }.

يقول فخر الدين الرازي في المناسبة بين الفاصلتين : « إنه تعالى استقصى في هذه الآية الدلائل السماوية ، وحذف الدلائل الخمسة الباقية التي هي الدلائل الأرضية ؛ وذلك لأن الدلائل السماوية أقهر وأبهر ، والعجائب فيها أكثر ، وانتقال القلب فيها إلى عظمة الله وكبريائه أشد ، ثم ختم تلك الآية بقوله : ((**لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**)) ، وختم هذه الآية بقوله : ((**لِّأُوْلِي الألْبَابِ**)) ؛ لان العقل له ظاهر وله لب ، ففي أول الأمر يكون عقلا ، وفي كمال الحال يكون لبا » [3].

وفي سورة البقرة في قوله تعالى : ((**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ**)): {59}. وفي سورة الأعراف في قوله تعالى : ((**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ**)) :{162} .

هناك فرق بين الظلم والفسق : إن الفسق لا يكون إلا من الكبائر ، كما تعورف ، لهذا كان صفة لإبليس في قوله تعالى : ((**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**)) {سورة الكهف :50} ، لارتكابه الكبيرة عند معصية الله . وبما أن الفاسق قيل للكافر الأصلي فقد جعل الله تعالى الفسق نقيض الإيمان ، وفي طرف منه في قوله: ((**أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا**

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 3 / 1295 – 1296

[2] - الإتقان في علوم القرآن 5 / 1811

[3] - التفسير الكبير 9 / 139

يَسْتَوُونَ)) {سورة السجدة :18}. أما الظلم فقد يكون من الصغائر وقد يكون من الكبائر ، ويقع على أضعف المعاصي ، قال تعالى : **((وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً))** {سورة النساء :110} . وقال: **((وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ))** {سورة آل عمران :135} . ولوقعه على مختلفات المآثم ومطابقته لما قل أو كثر منها وصف بالعظم حين أريد به الشرك قال تعالى : **((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))** {سورة لقمان :13} .

يقول الخطيب الإسكافي أن الموضع من آية البقرة يشعر بالتعميم، وأما الموضع من آية الأعراف فإنه يفيد التخصيص والتمييز : « أن أول القصة في سورة الأعراف مبني على التخصيص والتمييز بدليل لفظة (من) ؛ لأنه قال تعالى : **((وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ))** {سورة الأعراف : 159}. وأما في سورة البقرة فإنه لم تبن الآيات على تخصيص »[1].

ويرى ابن الزبير الغرناطي أن ما ورد من مناسبة بين الفاصلتين على ما في البقرة من التعميم مخصصا بما في الأعراف تبعا لما يقتضيه ترتيب المصحف ، وهو أصل مراعى عنده: « لما وصف اعتداؤهم نيطت بهم أولا صفة الظلم ومن المعلوم أن مواقعه تتسع ، ثم لما ذكر من اعتدائهم وسوء مرتكبهم غير ما تقدم وتضاعف موجب وبيل جزائهم وصفوا بالفسق المنبيء عن حال أوبق من الظلم... وإذا تقرر هذا فتأمل آيات البقرة من لدن قوله تعالى : **((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ))** {سورة البقرة : 47} ، إلى ذكر وصفهم بتظليلهم بالغمام كيف ذكروا أولا بالظلم فقال تعالى عقب ذكر تظليلهم بالغمام : **((وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))** {سورة البقرة : 57} ، ثم أردف ذكر اعتدائهم في تبديلهم قولا غير الذي قيل لهم وأعقب بقوله : (**(فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ**)) وجعل الفسق ختام وصفهم الجاري جزاء على مرتكباتهم ، ولم يقع بعده ذكر علة منوطة بجزاء ما وقع منهم .

وإذا تأملت آية الأعراف وجدتها جارية على منهج ما ورد في سورة البقرة ، وإن أول وصفهم المنبي جزاء على مرتكباتهم قوله : ((**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ**)) ثم قال تعالى : **((وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ))** {سورة الأعراف:163 }، إلى قوله : **((كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ))** ، فطابق هذا ما ورد في

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 1 / 244 – 245

البقرة من تقدم وصفهم أولا بالظلم ثم بعد ذلك بالفسق ، ووضح الاتفاق في ختام القصة في السورتين من غير اختلاف فيهما » [1].

ووافقه فخر الدين الرازي في توجيه الفاصلتين مختصرا ما قاله : « إنه تعالى لما بين في سورة البقرة كون الظلم فسقا اكتفى بلفظ الظلم في سورة الأعراف لأجل ما تقد من البيان في سورة البقرة » [2].

ووافقهم أبو حيان في التوجيه وأضاف : « بنو إسرائيل خالفوا الله في قول وفعل، وأخبر تعالى بالمجازاة على المخالفة بالقول دون الفعل ، وهو امتناعهم عن الدخول بصفة السجود ، وأجاب بأن الفعل لا يجب إلا بأمر والأمر قول فحصل بالمجازاة عن القول المجازاة بالأمرين جميعا ، والجزاء هنا إن كان قد وقع على هذه المخالفة الخاصة فيفسقون يحتمل الحال ، وإن كان قد وقع على ما مضى من المخالفات التي فسقوا بها ، فهو مضارع وقع موضع الماضي ، وهو كثير في القرآن وفصيح الكلام » [3].

وقد رد شهاب الدين الآلوسي التوجيه السابق بقوله: « إنما يصح – هذا التوجيه – إذا كانت سورة البقرة متقدمة على سورة الأعراف نزولا – كما أنها متقدمة عليها ترتيبا – وليس كذلك ، فإن سورة البقرة كلها مدنية ، وسورة الأعراف كلها مكية إلا ثمان آيات » [4] .

ويقول بدر الدين بن جماعة قي التغاير بين الفاصلتين ، لما بينهما من الفرق اللغوي بين اللفظين : « ختم آية البقرة بـ(يفسقون) ولا يلزم منه الظلم ، والظلم يلزم منه الفسق ، فناسب كل لفظ منهما سياقه)) [5].

ونقل السيوطي توجيها عن صاحب المناجاة قال فيه : ((خصت هذه الآية – في سورة البقرة- بلفظ الفسق ، كراهة التكرار ، لتقدم ذكر الظلم فيها مرتين ، كما خصت آية الأعراف بالظلم لذلك لذكر (يفسقون) عقب القصة فيها مرتين » [6].

وفي سورة الأنعام في قوله تعالى : **((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ))**: {21 }. وفي سورة يونس في قوله تعالى : **((فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ))** :{ 17 }.

يرى الخطيب الإسكافي في اختصاص آخر آية سورة الأنعام بقوله : **(الظَّالِمُونَ)** واختصاص آخر آية سورة يونس بقوله : **(الْمُجْرِمُونَ)** ، إنه لما تقدم كل من الآيتين ، فلما تقدم

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 209 – 211
[2] - روح المعاني
[3] - البحر المحيط 1 / 388
[4] - روح المعاني 1 / 268
[5] - كشف المعاني في المتشابه 98
[6] - قطف الأزهار 1 / 260

آية سورة الأنعام قوله تعالى : **((قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادةً قُلِ اللّهِ شَهِيدٌ بِيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُل لاَّ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ))** :{ 19 – 20 }، إلى قوله : **((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ))** .

يقول : « كان المعنى أن لا احد أظلم لنفسه ممن وصف الله تعالى بخلاف وصفه فأوردها العذاب الدائم ، كان قوله : **((إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ))** عائدا إلى من فعل هذا الفعل ، أي لا يظفر برحمة الله ولا يفوز بنجاة نفسه من كان ما ذكر من فعله ، فبناء الآخر على الأول اقتضى أن يكون : **((إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ))** » [1].

وأما لما ذكر قبل آية سورة يونس قوله تعالى : **((وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ . ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ))** :{ 13 – 16} .

يقول : « تقدمتها الآية التي تضمنت وصف هؤلاء القوم بما عاقبهم به .. فوصفهم بأنهم مجرمون عند تعليق الجزاء بهم .. إلى الموضع الذي أبطل فيه حجتهم ودفع سؤالهم وهو : **((ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ))** فقال تعالى : **((إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ))** ليعلم أن هؤلاء سبيلهم في الضلال سبيل القوم الذين اخبر عن هلاكهم .. ليوقع التسوية بينهم في الوصف كما أوقع التسوية بينهم في الوعيد » [2].

ويرى ابن الزبير الغرناطي في اختصاص كل من الآيتين ، إنه لما ورد في آية سورة الأنعام أنهم : « جمعوا بين الشرك والتكذيب فناسب هذا ورود قوله تعالى : **((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً))** على طريقة التعجب من مرتكبهم وسوء حالهم ، أي : من أظلم يا محمد من هؤلاء الجامعين بين الافتراء والشرك والتكذيب مع وضوح الشواهد وكثرة الدلائل الواردة أثناء هذه الآي مما لا يتوقف فيه معتبر ، فقد وضح تناسب هذا كله وحق لمرتكبه الوصف بالظلم الذي لا يفلح المتصف به ، وهو ظلم الافتراء على الله والشرك والتكذيب .. آما في آية يونس ، فجمعوا بين إنكار ما عملوا صدقه ممن عرفوا علي حاله وجليل منصبه .. فجمعوا بين

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 501

[2] - م . ن 2 / 502

الإنكار وبين قولهم في إنكارهم ((**أَوْ بَدِّلْهُ**)) أعظمُ إقدام وأوضح إجرام ؛ لأنه كفر على علم ، فلهذا أعقب الآية هنا بقوله : ((**إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ**)) ولم يقع قبل التي في سورة الأنعام ، مثل هذا الإقدام على مثل هذه الجريمة في القول ، وإنما تقدم عداوتهم وظلمهم أنفسهم في مرتكباتهم وتعاميهم فناسبه قوله : ((**إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**)) »[1].

وفي سورة الأنعام في قوله تعالى : ((**ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ**)):{ 131} . وفي سورة قوله تعالى : ((**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**)) : {117 }.

يقول الخطيب الإسكافي فيما ورد من اختلاف في فاصلتي الآيتين : « إن ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من العقاب في قوله : ((**قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ**)) {سورة الأنعام : 128} ، ((**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا**)) {سورة الأنعام : 130}، والمعنى : ذلك العقاب ؛ لأنه لم يكن ربك ليفعله من قبل أن يحتج عليهم برسل يهدونهم ، وينذرونهم ما وراءهم من محذورهم ، ولا يتركونهم في غفلة من أمورهم فاقتضى هذا المكان أن يقال : لم يؤخذوا وهم غافلون بل كانوا منبهين بالإعذار والإنذار على ألسنة الرسل (عليهم السلام) .

وأما الموضع الثاني الذي ذكر فيه : ((**وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**)) فللبناء على ما تقدم ، وهو قوله تعالى : ((**فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ**)) {سورة هود : 116}، فدل على أن القوم كانوا مفسدين حتى نهاهم أولوا بقية عن الفساد في الأرض ، فإن نقيض الفساد الصلاح ، فقال : لم يكن الله ليهلكهم وهم مصلحون » [2].

ويرى ابن الزبير الغرناطي أن ما ورد من الفرق بين الموضعين ، موضع الآية الأولى : « قدم سبحانه ذكر بعثة الرسل للجن والإنس وإنذارهم وتذكيرهم بالآيات وتعريف الخلق بالجزاء الأخروي .. وتقدم آية هود .. لو كانوا ينهون عن الفساد لكانوا مصلحين » [3].

وفي سورة الأعراف في قوله تعالى : ((**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ**)): {13}. وفي سورة الحجر في قوله تعالى : ((**قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ**)) :{ 34} .

يرى ابن الزبير الغرناطي فيما ورد من التغاير في فواصل الآي ، إنه لما ورد قبلهما ففي سورة الأعراف قال تعالى : ((**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن**

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 434
[2] - غرة التأويل ودرة التنزيل 2 / 549 – 550
[3] - ملاك التأويل 1 / 475 – 476

نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ)) :{ 12} ، وفي سورة الحجر ورد قبلها قوله تعالى : **((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ))** :{ 28 – 33 } ، « ليس التعبير بالإخراج كالتعبير بالهبوط فقد أمر آدم بالهبوط ولم يقصد من تعنيفه ما قصد بإبليس فالفرق ما بين العبارتين فيما تعطيانه ، قيل في الأعراف : **((فَاهْبِطْ مِنْهَا))** ، إذ لم يتقدم فيها من أنه ليس من الملائكة كما تقدم في الحجر بل ظاهر ما في الأعراف أنه منهم ، فجرى الأمر آخرا مناسبا لهذا الظاهر فعبر بالهبوط . ولما تقدم في الحجر أنه ليس من الملائكة لخلقه من نار السموم فاشعر ذلك بشر المادة ناسبه قوله : **((فَإِنَّكَ رَجِيمٌ))** ، ثم بما كتب عليه من الطرد واللعنة ، ولم يرد في الأعراف هكذا بل روعي فيه مناسبة ما تقدم » [1].

وفي سورة آل عمران في قوله تعالى : **((وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ))** :{ 126}. وفي سورة الأنفال في قوله تعالى : **((وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** :{10}.

يرى الخطيب الإسكافي أن اختلاف الإخبار عن الله تعالى بالعزة والحكمة في الآيتين، لما جاء في آية سورة آل عمران قوله تعالى : **((وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ))**، ولما جاء في سورة الأنفال خبر ثان مستأنف فقال تعالى : **((إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** ؛ لأن آية سورة الأنفال متقدمة النزول في وقعة بدر ، وآية سورة آل عمران في وقعة أحد ، ولذلك علله بعزته وقدرته وحكمته المقتضية لنصر من يستحقه نصره ، وأحال في الثانية على الأولى بالتعريف .

يقول : « القصد إعلام المخاطبين أن النصر ليس من قبل الملائكة ، ولا من جهة العدد والعدة ، وفضل القوة ، ولكنه من عند القادر الذي لا يغلب ولا يمنع عما يريد فعله ، والحكيم الذي يضع النصر موضعه . والآية التي في الأنفال إنما هي قصة يوم بدر ، وبين الله تعالى ذلك بلفظ (جعله) كالعلة لكون النصر بيده ، فكأنه قال في المعنى : النصر ليس إلا من عند الله ؛ لأنه العزيز الذي لا يمنع عما يريد فعله ، الحكيم الذي يضع النصر في موضعه ، ففصل ذلك في خبرين على الأصل الواجب في توفية كل معنى حقه من البيان .

---

[1] - ملاك التأويل 1/ 489

والآية التي في سورة آل عمران هي في قصة يوم أحد ، وهي بعد يوم بدر . وكان هذا البيان قد جعل خبرا عن النصر في اليوم الأول ، فاقتصر – من ذكر مثله – في اليوم الثاني على خبرا واحد، يجري عليه معنى الخبر الثاني مجرى الوصف ؛ لاختصار المعنى البسط ، اعتمادا على ما فصل في الخبر الأول ، فكان الاختصار بالثاني أليق ، وكان الثاني له أجمل ، فخص بما رأيت لما ذكرت » [1].

ويرى ابن الزبير الغرناطي فيما ورد من التغاير بين السورتين ، إنه لما ورد في سورة الأنفال من الأوعاد ، وهو ما لم يرد في سورة آل عمران : « أن آية الأنفال تقدم فيها أوعاد جليلة كقوله تعالى : **((وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ))**:{ 7 } ، ثم قال : **((وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ))** ، ثم قال : **((لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ))** : {8 } ، فهذه أوعاد علية لم يتقدم إفصاح بمثلها في آية آل عمران فناسبها تأكيد الوصفين العظيمين من قدرته جل وتعالى على كل شيء وحكمته في أفعال فقال : **((إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** .

ولما لم يقع في آية آل عمران إفصاح بما في آية الأنفال وردت الصفتان تابعتين دون تأكيد ، وجاء كل على ما يناسب » [2].

وأكد هذا التوجيه ما قاله الطاهر بن عاشور : « أنه قال في سورة آل عمران **((الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ))** فصاغ الصفتين العليتين في صيغة النعت ، وجعلهما في هذه الآية – سورة الأنفال – في صيغة الخبر المؤكد ، إذ قال **((عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** فنزل المخاطبين منزلة من يتردد في أنه تعالى موصوف بهاتين الصفتين : وهما العزة المقتضية انه إذا وعد بالنصر لم يعجزه شيء ، والحكمة فما يصدر من جانبه يجب غوص الأفهام في تبيين مقتضاه ، فكيف لا يهتدون إلى أن الله وعدهم الظفر بإحدى الطائفتين » [3].

وفي سورة آل عمران في قوله تعالى : **((كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ))** :{11 }. وفي سورة الأنفال في قوله تعالى : **((كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ))**: {52 }. وقوله تعالى : **((كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ))** :{54 }.

يرى الخطيب الإسكافي أنّما ورد من الاختلاف في الفاصلتين ، لاختلاف مرجعهما: يقول : « العقاب الأول : أولى أن يكون المراد به عذاب الآخرة ؛ لأن فيه الإخبار بالإحراق.

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 1 / 393 – 395
[2] - ملاك التأويل 1 / 315
[3] - التحرير والتنوير 9 / 277

والثاني: هو العذاب بالإغراق .. ويجوز أن يكون الأول خبرا عن عادتهم في الأشر والبطر والطغيان عند الاستغناء ، والمعنى : جرت عادتهم بمقابلة الإحسان بقبيح العصيان ، ويكون الأخير بعد ذكر الله معاقبتهم على فعلهم خبرا عما أجرى الله تعالى به العادة في عقاب مثلهم ، فكان معنى الأول عودوا من أنفسهم عادة ومعنى ، ومعنى الثاني : عودوا إذا فعلوا ذلك عادة، وهي سلب نعمة الدنيا ، والنقل إلى عذاب الآخرة » [1].

ويرى ابن الزبير الغرناطي أنّما ورد من اختلاف في الفاصلتين لمراعاة التقابل في الآية الأولى ، وتركه في الثانية ، يقول : « إنّ قوله في الآية الأولى من الأنفال : **((إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ))** مقابل به قول الشيطان لمن قدم ذكره من الكفار : **((لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ))** :{48 }، فقوبل قوله المضمحل بإسناد القوة لله عز وجل كما قال تعالى : : **((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً))** {سورة البقرة : 165}، ولما لم يرد في سورة آل عمران مثل هذا وقع الاكتفاء بقوله : **((وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ))** وزيد التأكيد في أول الأنفال بـ(إن) وزيادة اسمه القوي لما ذكرنا آنفا من رعي التقابل » [2].

وفي سورة الأنعام في قوله تعالى : **((وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ))** :{ 17} . وفي سورة يونس في قوله تعالى : **((وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))** : {107 }.

يرى الخطيب الإسكافي فيما ورد من اختلاف في تعقيب الآيتين : « قوله : **((وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ))** أي إنْ ينلك خيرا يرج الأكثر منه ؛ لأنّه قادر عليه وعلى أمثاله ، والدليل على أنّ المعنى هذا : أنّ الجزاء إذا كان جملة ابتداء وخبر فإنّ معنى الخبر يكون جزاء مقدرا في مكان الفاء .. فالمعنى : إنْ نقلك إلى سوء حال لم يملك كشفه عنك غيره ، وذلك كشدائد الدنيا من الأمراض والآلام والنقصان في الأموال ، وإنْ نقلك إلى حسن حال ، كان بعده قادرا على مثله ، ومالكا لأضعافه ؛ لأنّه قادر على كل ما يصح أنّ يكون مقدرا عليه له ، فهذا وصفه بالقدرة على النفع والضر . وأما الآية الثانية ففيها نفي أنّ يغلبه مغالب ، ويمنعه عما يريد فعله مانع ..

ورتبة هذا الوصف بعد رتبة الوصف الأول ؛ لأنّه يوصف الفاعل أولا بقدرته على الضدين ، وليس كل من كان كذلك كان ممتنعا عن أنّ يقهره قاهر فيحول بينه وبين ما يرد فعله

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 1 / 370 – 371
[2] - ملاك التأويل 1 / 293

، فإذا وصفه بأنه قادر كان وصفه بأنه قادر غالب للقادرين لا يدفعه عن مراد له وصفا ثانيا ، فلاق بكل موضع ما ورد فيه ونطق القرآن به»[1].

ويرى ابن الزبير الغرناطي أن لما أعقبت به آية سورة الأنعام بقوله : **((فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ))** ، وما أعقبت به آية سورة يونس بقوله : **((وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))** . والسياق في سورة الأنعام قبل هذه الآية الأولى يتجلى في قوله تعالى : **((الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ))** :{ 1} ، وقوله تعالى : **((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ))** :{ 2 }. وقوله تعالى: **((وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ))** :{ 3} وقوله فيمن أهلكه من القرون بكفرهم **((أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ))** : {6 } . وقوله تعالى : **((قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ))** : {12} . وقوله تعالى : **((قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ))** :{ 14} .

يقول : « دارت هذه الآي كلها على التعريف بوحدانيته تعالى ، وانفراده بخلق الأشياء وملكها وقهرها ، ولم يقع فيها تعرض إلى أن أحد من خلقه يمنع أو يدفع أو يتعاطى استبدادا بشيء ، وإن كان قد يفهم بعض ذلك من الجاري أثناء الكلام » [2]، فناسب مدار هذه الآيات بيان قدرة الله على كل شيء .

أما السياق في سورة يونس تجلى في قوله تعالى : **((وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ))** :{ 18 } ، فقد نسبوا لهم النفع بالشفاعة . وقوله تعالى : **((وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ))** :{ 28 }. وقوله تعالى : **((قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ . فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ))** :{ 31 – 32 }. وقوله تعالى : **((قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ))** :{ 34} .

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 496 – 497

[2] - ملاك التأويل 1 / 426

يقول : « دارت هذه الآيات على أنهم توهموا نفع ما اتخذوه معبودا من شركائهم ، فبطل توهمهم ، واضمحل باطلهم .. لما تقدمها من مؤثرات الخوف ومهيجات الرهب والخشية ما اقتضاه الإخبار بغيبه للقدر وجهل للمشيئة .. عظم موقع ذلك على المؤمنين وكان مع ذلك للوفاء بمزدلفات الأعمال مما لا يحصل بالآمال أنسهم سبحانه بذكر الصفتين العليتين فقال : **((وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))** ، فناسب ورود الوصفين ما تقدم » [1].

وفي سورة الأعراف في قوله تعالى : **((وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ))** :{ 39} . وفي سورة الأنفال في قوله تعالى : **((وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ))** :{ 35 }.

يرى الخطيب الإسكافي فيما ورد من الخبر في الموضعين عن الكفار ، واختصاص كل آية بما ختمت به ، فختمت الآية الأولى بـ(تكفرون) ، لما سبقها في قوله تعالى : **((فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ))** {سورة الأعراف : 37 }، « اخبر أنّ أخراهم تسأل الله أنْ يضعف العذاب على أولاهم ؛ لأنّهم ضلوا وأضلوا فيستحقون العذاب على قدر اكتسابهم ، فلذلك طلبوا أنْ يكون عذابهم ضعف عذاب هؤلاء لإثمهم بما كسبوا من ضلالهم في أنفسهم»[2].

وختمت الآية الثانية بـ(تكسبون) ، لما سبقها في قوله تعالى : **((وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ))** {سورة الأنفال : 33 – 34 }،« ولم يتقدم هذه الآية ما يوجب قدرا من العذاب دون قدر حتى يقال : ذوقوا من العذاب بقدر كسبكم له كما كان في الآية الأولى ، وإنما ذكر كفرهم» [3].

ويقول ابن الزبير الغرناطي فيما ورد من الاختلاف بين الآيتين : « أن المذكورين قبل آية الأعراف المقول لهم فذوقوا العذاب قد خالفت حالهم حال المذكورين في آية الأنفال وذلك أن آية الأنفال في قوم بأعينهم ، وهم كفار قريش من أهل مكة ، وحالهم معلوم إنما كانوا عبدة أوثان ، ولم تتكرر فيهم الرسل ولا كفروا بغير التكذيب به (صلى الله عليه وسلم) وبتصميمهم على عبادة آلهتهم .

أما آية الأعراف ففي أخلاط من الأمم وأصناف من المكذبين تنوع كفرهم، وتكذيبهم وارتكبوا ضروبا من المخالفات ، وافتروا على الله سبحانه .. فلشتى مجترحات هؤلاء واتساع

[1] - ملاك التأويل 1 / 431
[2] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 693
[3] - م . ن 2 / 694

مرتكباتهم ، وأنهم ضلوا وأضلوا ناسب ما وقع جزاؤهم عليه ذكر الاكتساب لاسيما على القول بأن الكفار مخاطبون بالفروع » [1].

وفي سورة هود في قوله تعالى : **((قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ))** :{ 73} . وفي سورة الذاريات في قوله تعالى : **((قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ))** :{30}.

قال الفخر الرازي فيما ورد من مناسبة في الفاصلتين : « فإن قيل لم قال ههنا : ((**الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**)) ، وقال في هود : **((حَمِيدٌ مَّجِيدٌ))** ؟ .. الحكاية هناك أبسط فذكروا ما يدفع الاستبعاد بقولهم : ((**أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ**)) ، ثم لما صدقت أرشدوهم إل القيام بشكر نعم الله وذكروهم بنعمته بقولهم : ((حميد)) ، فإن الحميد هو الذي يتحقق منه الأفعال الحسنة ، وقولهم : ((مجيد)) إشارة إلى أن الفائق العالي الهمة لا يحمده لفعله الجميل ، وإنما يحمده ويسبح له لنفسه ، وههنا لما لم يقولوا : ((أتعجبين)) ، إشارة إلى ما يدفع تعجبها من التنبيه على حكمه وعلمه ، وفيه لطيفة وهي أن هذا الترتيب مراعى في السورتين ، فالحميد يتعلق بالفعل ، والمجيد يتعلق بالقول ، وكذلك الحكيم هو الذي فعله ، كما ينبغي لعلمه قاصدا لذلك الوجه بخلاف من يتفق فعله موافقا للمقصود اتفاقا »[2].

وفي سورة الرعد في قوله تعالى : **((وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ))** : {32} . وفي سورة الحج في قوله تعالى : **((وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ))** : {44 }.

يرى ابن الزبير الغرناطي أن ما ورد في تعقيب الآية الأولى بقوله : **(عِقَابِ)** ، والثانية بقوله: **(نَكِيرِ)** مع تساوي الآيتين في مقصود الوعيد لمكذبي الرسل (عليهم السلام) ؛ إلا أن السياق المتقد فيهما مختلف . فقد تقدم في آية سورة الرعد قوله تعالى : **((وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ))** :32 ، والاستهزاء أمر مرتكب زائد على التكذيب من التهاون ، والاستخفاف بجريمة مرتكبة، فناسبها الإفصاح بالعقاب . أما سياق المتقدم لآية سورة الحج قوله تعالى : **((وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ))** : 42 ، فلم يخبر بغير التكذيب ، بخلاف ما ورد هناك من الاستهزاء ، فقد يؤمن المكذب ويصلح حاله ، أما المستهزئ فلا يصلح .

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 494 – 495
[2] - التفسير الكبير : 28 / 215

يقول : « العقاب أشد موقعا من النكير ؛ لأن الإنكار يقع على ما لا عقاب فيه بالفعل وعلى ما فيه العقاب بالفعل ،وأما مسمى العقاب فإنما يراد به في الغالب أخذ بعذاب مناسب لحال المجرم إثر معصيته وعقيب جريمته »[1].

وفي سورة إبراهيم في قوله تعالى : **((وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ))**:{ 34 }. وفي سورة النحل في قوله تعالى : **((وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ))** :{ 18} .

يقول ابن الزبير الغرناطي : ((أن آية إبراهيم تقدمها قوله تعالى : **((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ))** :{ 28 } ، ثم قوله : **((وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ))** : {30 } ، ثم ذكر إنعامه على عباده في قوله : **((اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ))** :{32 }، إلى قوله : **((وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ))** : {34 }.

يقول : « فناسب ما ذكره تعالى من توالي إنعامه ودرور إحسانه ومقابلة ذلك من العبيد بالتبديل ، وجعل الأنداد وصف الإنسان بأنه ظلوم كفار.

أما آية النحل فلم يتقدمها غير ما نبه سبحانه عباده المؤمنين من متوالي آلائه وإحسانه وما ابتدأهم به من نعمه من لذن قوله : **((خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ))** : {4 }، ثم توالت آيات الامتنان والإحسان فقال تعالى : **((وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ))** : {5 }، فذكر تعالى بضعا وعشرين من أمهات النعم إلى قوله منبها وموقضا من الغفلة والنسيان : **((أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ))**: {17 }، ثم أتبع بقوله سبحانه : ((**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا**)) ، فناسب ختام هذا قوله : ((**إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ**)) فجاء كل على ما يناسب » [2].

ويقول الزركشي : « ما الحكمة في تخصيص آية النحل بوصف المنعِم ، وآية إبراهيم بوصف المنعَم عليه ؟ والجواب : أن سياق الآية في سورة إبراهيم ، في وصف الإنسان وما جبل عليه ، فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه . وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى ، وإثبات إلوهيته ، وتحقيق صفاته ، فناسب ذكر وصفه سبحانه ، فتأمل هذه التراكيب ، ما أرقاها في درجة البلاغة ! » [3].

وفي سورة الأنعام في قوله تعالى : **((قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ))** :{11} . وفي سورة النمل في قوله تعالى : **((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ))** :{ 69 }. وفي سورة العنكبوت في قوله تعالى : **((قُلْ سِيرُوا فِي**

---

[1] - ملاك التأويل 2 / 706
[2] - م . ن 2 / 719 – 720
[3] - البرهان في علوم القرآن 1 / 74

الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)):{20} . وفي سورة الروم في قوله تعالى : **((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ))** :{ 42} .

يرى ابن الزبير الغرناطي أن اختلاف الحالات التي وسم بها في أعقاب الآي من التكذيب ، والإجرام ، ومن التعامي عن النظر في البدأة والنشأة الآخرة ، والإشراك مع أن الأمر للكل باعتبار إنما وقع بلفظ واحد وهو قوله تعالى : ((**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ**)) ، ثم تنوع النظر واختلف ، وبملاحظة ما تقدم كل آية . ولما تقدم آية سورة الأنعام قوله تعالى : **((فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ))**:{ 5} ، والإشارة إلى أصناف المكذبين من المخاطبين وغيرهم ، ثم أشير إليهم بعد في قوله : **((أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ))**:{ 6 } .

يقول : « وكلهم من بعدهم إنما أهلك بإعراضه وتعاميه المؤديين إلى تكذيبه ، أحيل من بعدهم على كل حال من تقدمهم فيما ذكر مكتفي في الإعراض والتعامي بما تقدم في الآي المذكورة قبل ، ومفصحا بالتكذيب المسبب عن ذلك في قوله تعالى : ((**ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**)) والتحم بقوله : **((فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ))** ، على أتم مناسبة وأصحها»[1].

أما لما تقدم آية سورة النمل قوله تعالى : **((بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ))** : {66 } ، وإنكارهم العودة بقولهم : **((أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ . لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ))** :{ 67 – 68 } ، وبسط لهم بعدُ ما ذكر من واضح الدلالات ، مما يشاهدونه ويعلمون أن آلهتهم لا تفعل ذلك ، فكان مرتكبهم بعد ذلك إجراما وتعاميا عن الاعتبار بما ذكروا به .

يقول : « وقد بسط من الاعتبار في هذه الآي ما لم يبسط قبلُ آية الأنعام ، فورد التعقيب هنا بوسمهم – أعني المحا – بالإجرام فقيل : ((**فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**)) مناسب لما تقدم من اجترامهم مع الواضح ومتابعة التذكير وإراءة البراهين »[2].

وأما لما تقدم آية سورة العنكبوت ذكر العودة الأخروية بما يقوم مقام الإفصاح وتحصل المقصود من ذلك في أربعة مواضع من هذه السورة على القرب والاتصال في قوله تعالى : **((مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ))** : {5} ، وقوله تعالى : **((وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ))** :{ 13} ، وقوله تعالى : **((إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ**

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 410

[2] - ملاك التأويل 1 / 412 – 422

وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)) :{ 17 }، وقوله تعالى : ((أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ)) : {19 }، « ولم يتقدم في السورة الأخر على الاتصال مثل هذا ، فناسبه إحالتهم وتذكيرهم بالاستدلال بالبدأة على العودة » [1].

وأما لما تقدم آية سورة الروم قوله تعالى : ((مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) : {31 }، ((وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ)) : {33 }، ((أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ)) : {35} ، ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)) :{ 40} .

يقول : « لما تقدم ذكر من امتحن بالشرك وسوء عاقبتهم ، ولم يتقدم مثل هذا في السور المتقدمة ، ناسبه ما أعقب به » [2].

الفصل الثاني

أثر المناسبة بين الآيات

- توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في الألفاظ .
- توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في التقديم والتأخير .
- توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في الإيجاز والإطناب .

[1] - م . ن 1 / 422
[2] - م . ن 1 / 423

أثر المناسبة بين الآيات

توجد ظاهرة بارزة في بيان الإعجاز القرآني ، هي استعمال التشابه والاختلاف في التعبير أو استعمال القرآن الألفاظ المختلفة في المواضع المتشابهة ، وإن القرآن الكريم المعجز يختار لفظا معينا في آية ليؤدي معنى معينا، ولكنه يختار في آية أخرى، لفظا، ليؤدي معنى آخر ، مع أن الموضوع في الآيتين واحد .

ويكون المعنى وعلاقته بالسياق في النص القرآني هو السبب الرئيس لهذا الاختلاف في المبنى ، لتتناسب الألفاظ مع الجمل لواردة فيها ، والغرض العام للسورة ، فالألفاظ خادمة لأغراض السورة ، يقول البقاعي: « إن كل سورة أعيدت فيها قصة ، فلمعنى أدُّعي في تلك السورة ، استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة ، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض ، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم ، والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت عليه القصة » [1].

[1] - نظم الدرر 1 / 8

وقد اختلف علماء البيان في (التطويل) ، فمنهم من عده عيب في البلاغة ، لأن التطويل يكون لغير فائدة ، ومنهم غير ذلك ، وسنبين ذلك في محله من البحث .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تكررت فيها كلمات أو جمل من جهات متعددة ، واختلفت من جهات أخرى ، ويكون السياق والمناسبة من العلامات التي ترفع إشكال اللبس ، ويرى سيد قطب أن التشابه والاختلاف في القصص القرآني يخضع لمناسبة السياق : « ترد القصة الواحدة – في معظم الحالات – مكررة في مواضع شتى . ولكن هذا التكرار لا يتناول القصة كلها – غالبا – إنما هو تكرار لبعض حلقاتها .. وحين يقرأ الإنسان هذه الحلقات المكررة ملاحظا السياق الذي وردت فيه يجدها مناسبة لهذا السياق تماما ، في اختيار الحلقة التي تعرض هنا أو تعرض هناك ، وفي طريقة عرضها كذلك .. على أن هناك ما يشبه أن يكون نظاما مقررا في عرض الحلقات المكررة من القصة الواحدة – يتضح حين تقرأ بحسب ترتيب نزولها – فمعظم القصص يبدأ بإشارة مقتضبة ، ثم تطول هذه الإشارات شيئا فشيئا ، ثم تعرض حلقات كبيرة تكّون في مجموعها جسم القصة » [1].

وقد عبر الدكتور فاضل السامرائي عن هذا التكرار الذي تحدث فيه سيد قطب بـ(الحشد الفني في القصص القرآني) ، « إن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن والحقيقة أنها لا تتكرر ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق ، وبحسب ما يراد من موطن العبرة والاستشهاد .. ولذا نراه لا يذكر القصة على صورة واحدة بل ، نراه يذكر في موطن ما يطوي ذكره في موطن آخر ، ويفصل في موطن ما يوجزه في موطن آخر . بل تراه أحيانا يغير في التعبيرات ونظم الكلام تغييرا لا يخل بالمعنى . كل ذلك يفعله بحسب ما يقتضيه السياق وما يتطلبه المقام وذلك في حشد فني عظيم»[2].

وإن البحث عن المناسبة بين الآيات يدخلنا في صميم الدرس اللغوي لآليات النص : والنص في هذا العلم هو شاهد ذاته لا يعتمد على شواهد من خارجه ، وهو الذي يؤسس معايير علاقته بناء على طريقة تركيبه اللغوي : أي المناسبة في المستوى الوظيفي للألفاظ ويكون في حسن الاختيار ، والمناسبة في المستوى التركيبي ويكون في بناء الجملة من حيث التقديم والتأخير ، والمناسبة في المستوى الأسلوبي ويكون في عرض الموضوع من حيث الإيجاز والإطناب .

---

[1] - التصوير الفني في القرآن 155 – 156

[2] - التعبير القرآني 283 – 284

توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في الألفاظ

الفروق بين الألفاظ المتشابهات في التركيب وأثره في المعنى في اللغة العربية من أجل مباحث البلاغة ولكن لم يهتم به البلاغيون وأهل اللغة ، ولم يخصصوا له أبوابا في كتبهم ولا نجد فيه إلا شذرات يسيرة متناثرة في بعض الكتب ، « إنّ السبب في اختيار ألفاظ بالذات دون غيرها لا يزال إلى حد ما سرا من الأسرار » [1].

وقد تناولها علماء المناسبة وفرقوا بينها عن إدراك تام لمناسبتها مع سياق الآيات التي وردت فيها « إنّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها من ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ »[2] .

ويرجع الدكتور فاضل السامرائي المناسبة بين اللفظ والسياق الذي يرد فيه التشابه والاختلاف في الآيات إلى (السمة التعبيرية) فيقول : « قد تكون للسياق الذي ترد فيه الآية سمة تعبيرية خاصة ، فتتردد في ألفاظ معينة بحسب تلك السمة . وقد يكون للسورة كلها جو خاص

---

[1] - بناء الجملة العربية 313

[2] دلائل الإعجاز 46

وسمة خاصة فتطبع ألفاظها بتلك السمة، وهذا واضح في القرآن ، إذ كثيرا ما نرى تعبيرين يتشابهان إلا في لفظ واحد ، وإذا ما دققنا النظر وجدنا أن كل لفظة اختيرت بحسب السمة التعبيرية لهذا السياق أو ذاك » [1].

ولما كان السياق هو المهيمن على اختيار الألفاظ والأساليب ، كان هو نفسه المهيمن على توجيه التشابه اللفظي ؛ « لأنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، ولكن لأنْ يضمّ بعضها إلى بعض ، فيعرف فيما بينها من فوائد » [2] .

ولذلك كل من كتب في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن اعتمد اعتمادا كليا على السياق في ذلك « والحكم في استعمال اللفظ القرآني في موضعه هو (السياق) العام ، سواء كان سياق الآية ، أو سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها ، والتدبر في معظم ألفاظهما ، والاختلاف اليسير الخاص في بعض ألفاظهما ، مع وحدة موضوعهما . البيان القرآني المعجز يختار الألفاظ اختيارا دقيقا ، ويضع كل لفظ في موضعه المناسب ، بحيث يلقي ظلاله ويؤدي معناه، ولا يسدّ مسدّه لفظ آخر ، وإن التشابه والاختلاف في ألفاظ الآية مع الآيات الأخرى المشابهة إنما يقتضيه المقام ، حيث يختص كل موضع بما يناسبه من الألفاظ التي تقرر المعنى ، وتحقق البلاغة وتقود إلى الإعجاز » [3].

ويعتبر الدكتور عبد الفتاح لاشين اختيار لفظ معين في غرض ، وفي الغرض نفسه يختار لفظا آخر من أسرار التعبير القرآني : « القرآن الكريم في اختياره لألفاظه في بعض الآيات ليؤدي معنى معينا ، وفي الغرض نفسه يختار لفظا آخر ، فيتوهم السامع أن اللفظين سواء في الدلالة ، ومثلان في المضمون ، فيقع تحت وطأة الشك ، ويتساءل : لماذا عبر بهذا اللفظ هنا ، وعبر بهذا اللفظ هناك ؟ وعند البحث والوقوف على أسرار التنزيل نجد أن التعبير القرآني في كلا الموضعين أو المواضع ، كله في محله ، وقد أصاب المحز ، وطبق المفصل، ووقع كل لفظ على شاكلته » [4].

وهذا التنوع في التعبير ليس تناقضا ولا اختلافا ، ويعلل الدكتور فاضل السامرائي هذا التنوع في التعبير : « إن ما ذكره في الموضعين حق حتى لو اختلف معنى المفردتين، ذلك أن المذكور قد يكون عاما في موطن وخاصا في موطن آخر ، وقد تكون له حالتان فيذكر حالة في

---

[1] - التعبير القرآني 237
[2] - دلائل الإعجاز 539
[3] - إعجاز القرآن البياني 219 – 220
[4] - صفاء الكلمة 152

موطن ، ويذكر حالة أخرى في موطن آخر ، وقد يكون الأمر عاما فيذكر جزءا منه في موطن ويذكر الجزء الآخر في الموطن الآخر وهكذا ، وكل بحسب ما يقتضيه السياق والمقام » [1].

ويربط علماء المناسبة الآيات المتشابه في بعض الألفاظ والمختلفة في بعضها بما سبقها من سياق للوصول إلى المعنى الذي اختصت به تلك اللفظة ، وفارقة اللفظة الأخرى ، ومراعاة السياق في ذلك أمر مهم .

في سورة البقرة : **((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ . فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ . فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ))**:{ 35 – 38 } .

وفي سورة طه : **((فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى . إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى . وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى. فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى . فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى . ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى . قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى))**:{ 117 – 123} .

ورد في سورة البقرة : **((فَمَن تَبِعَ هُدَايَ))** . وفي سورة طه : **((فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ))** {سورة طه : 123}. ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

بيان المناسبة بين آيات القصة الواحدة : في سورة البقرة الموقع الوحيد في قصة آدم الذي يأتي فيه تفصيل الاستخلاف ، والذي يتكرر فيه الأمر بالهبوط ، هذا الأمر دفع فخر الدين الرازي إلى ربط مناسبة الإتباع في سورة البقرة بالاستخلاف .

يقول الرازي : « إن آدم وحواء لما أتيا بالزلة أمرا بالهبوط ، فتابا بعد الأمر بالهبوط ، ووقع في قلبهما أن الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلة ، فبعد التوبة وجب أن لا يبقى الأمر بالهبوط ، فأعاد الله تعالى الأمر بالهبوط مرة ثانية ليعلما أن الأمر بالهبوط ما كان جزاء على ارتكاب الزلة حتى يزول بزوالها بل الأمر بالهبوط باقٍ بعد التوبة ؛ لأن الأمر به كان تحقيقاً للوعد المتقدم في قوله : **((إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً))** {سورة البقرة :30} » [2].

---

[1] - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني 109 – 110

[2] - التفسير الكبير 3 / 28

ولم يلحظ فخر الدين الرازي في سورة طه تكرار الأمر بالهبوط ولا الحديث عن الاستخلاف إنما ذكر سبحانه وسوسة إبليس لآدم ، فناسبه لفظ (اتبع).

ويحرص ابن الزبير الغرناطي في الربط بين الآيتين وما سبقهما أشد الحرص على بيان العلاقة بين سياق المقام والأسلوب الخطابي في هذا المقام ، ففي آية سورة البقرة مقام بيان السكن في الجنة من غير تعرض لما بدر من إبليس فناسبه أسلوب تقصير المبنى (تبع) . بينما في آية سورة طه المقام في النص القرآني بيان كيفية الإغواء وكان زيادة في التفصيل عن الوارد في سورة البقرة فناسبه زيادة المبنى (اتبع) ؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .

يقول الغرناطي : « لما تقدم آية البقرة قوله تعالى : **((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا))** ، إلى قوله :(**(فَمَن تَبِعَ هُدَايَ))** ولم يرد فيها مما كان من إبليس سوى ما اخبر به تعالى عنه من قوله : ((**فَمَن تَبِعَ هُدَايَ**)) ، من غير تعرض لكيفية تناوله ما فعل ولا إبداء علة ولا كبير معالجة ناسب هذا (**تَبِعَ**) .

ولما ورد في آية طه ذكر الكيفية في إغوائه بقوله له : **((هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى))**... وقسمه على ذلك فكان هذا كله قد تحصل مذكورا في آية طه بما تضمنه من الإشارة إليه ، فأفهمت الآية قوة كيد اللعين واستحكام حيلته حتى احتنك الكثير من الذرية وحملهم على عبادة الطواغيت ... فصار تمييز الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمل فناسبه (**فَمَنِ اتَّبَعَ**) كما ناسب ما تقدم في آية البقرة : (**فَمَن تَبِعَ**) من حيث لم يبسط فيها كيد اللعين ما بسط في آية طه» [1].

وكان بدر الدين بن جماعة أكثر وضوحا في الربط بين المبنى والمعنى ، أي بين معنى الجمل في الآيات ، وبين الحدث الفعلي المتحقق من بنية الكلمة ، ففي سورة البقرة لم يخرج الخطاب عن تحديد ملامح شخصية آدم (عليه السلام) ، وشخصية إبليس فناسبه (تبع) . وفي سورة طه هناك تجدد في حركة الأحداث ، تبعه مخالفة في استعمال الأفعال ، فناسب في سورة طه (اتبع) .

يقول بن جماعة : « يحتمل والله اعلم أن (فَعِل) التي جاء على وزنها : تبع لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله . و(افتعل) التي جاء على وزنها (اتبع) يشعر بتجديد الفعل . وبيان قصة آدم هنا – سورة البقرة- لفعله ، فجيء بـ((**فَمَن تَبِعَ هُدَايَ**)) .

وفي طه جاء بعد قوله : **((وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً))** ، وقوله : **((وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى))**، فناسب (من اتبع) ، أي جدد قصد الإتباع » [2].

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 190 – 194
[2] - كشف المعاني في المتشابه 93

وفرق البقاعي أيضا بين السياقين في تفسيره لآية سورة طه ويرى أن: « للتعبير بصيغة (افتعل) ، قال : **(فلا يضل)** أي بسبب ذلك ، عن طريق السداد في الدنيا ، ولا في الآخرة أصلا ، ويلزم من نفيه نفي الخوف والحزن بخلاف العكس ، فهو أبلغ مما في البقرة ، فإن المدعو إليه في تلك مطلق العبادة ، والمقام في هذه للخشية والبعث على الجد بالعداوة .. وللإقبال على الذكر .. والتحفظ من المخالفة ولو بالنسيان » [1].

واستثمر الدكتور فاضل السامرائي رأي من سبقه من العلماء ، وجاء برأي فيه نوع من الغرابة واللطافة : « إن الفعل بالتشديد يفيد المبالغة فاكتفى في البقرة بالأخف من الحدث ولم يشدد عليهم تخفيفا على البشر مراعاة لمقام التكريم . هذا علاوة على وضع كل فعل من هذين الفعلين في موضعه أسرار وأسرار :

منها أن الفعل (تبع) تردد في سورة البقرة أكثر من أية سورة أخرى في القرآن الكريم فوضعه في مكانه الذي هو أليق به ..

ومنها أن التخفيف الذي يفيد التلطف بالعباد جاء مع إسناد القول إلى نفسه ، وأن التشديد جاء مع إسناد القول إلى الغائب (قال) ..

ومنها أن نهاية الآية في البقرة تتعلق في الآخرة وهو قوله تعالى : ((**فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**)) أي في الآخرة ، ونهاية الآية في طه تتعلق بالدنيا والآخرة وهو قوله : ((**فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى**)) فقوله : (**فَلَا يَضِلُّ**) متعلق بالدنيا .. وقوله: (**وَلَا يَشْقَى**) متعلق بالآخرة. ولما كانت آية طه تتعلق بالدنيا والآخرة بخلاف آية البقرة زاد في بناء الفعل إشارة إلى زيادة متعلقه » [2].

في سورة البقرة : ((**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ. وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**)):{ 165 – 170 }.

---

[1] - نظم الدرر 5 / 54

[2] - التعبير القرآن 293

وفي سورة لقمان : **((أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ))**:{ 20 – 21 }.

ذكر في سورة البقرة : **((بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا))** ، وذكر في سورة لقمان : **((بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا))** . ويأتي السؤال عن وجه المناسبة في الآيات بين لفظهما وسياقهما .

يتجاوز ابن الزبير الغرناطي في بيان الصلة بين كل آية من الآيتين الواردتين نطاق الجملة ، وينظر إلى النص من زاوية كلية وشاملة ، ويرى بين طول الكلمة التي هي (ألفينا) ، في سورة البقرة وبين مبنى السورة علاقة ، تلك العلاقة التي تدل على أن بنية الكلمة تدل على طول البنية الشكلية لسورة البقرة . وقصر الكلمة التي هي (وجدنا) في سورة لقمان تدل على قصر البنية الشكلية لسورة لقمان .

يقول الغرناطي : « أن **(ألفى)** أكثر حروفا من **(وجد)** فناسب لفظ **(ألفى)** طول آية البقرة ، وناسب لفظ **(وجد)** إيجاز آية لقمان مراعاة لفظية ملحوظة في البلاغة فحصل التناسب في اللفظ والمعنى » [1].

ويعقد ابن الزبير الغرناطي بعد ذلك صلات أخرى للربط بين المعنى اللغوي لـ**(ألفى)** التي تأتي مع الظن وعدم العلم ، ومبنى السياق الواردة فيه وخاصة السياق القبلي للنص . وبين المعنى اللغوي لـ**(وجد)** التي تأتي مع العلم أو توهم العلم ، ومبنى السياق القبلي للنص أيضا . ويصل إلى أن آية سورة البقرة لم تسبق بالعلم الحاصل أو المتوهم . بينما سبقت آية سورة لقمان بذكر العلم .

يقول الغرناطي : « خطوات الشيطان وأمره أهواء مضلة ، وذلك كله في طرف نقيض من مقتضى العلم ، وحصل من هذا إن الشيطان هو الذي يأمرهم ويدعوهم إلى أن يقولوا على الله ما لا يعلمون ، فحصل من هذا أنه لا علم عندهم ولا توهم علم ، وإنهم اعتمدوا إتباع آبائهم فيما يأمر به الشيطان ، فناسب هذا قولهم : ((**بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا**)) ؛ لأنه ما ألفوا عليه آبائهم وجدان لا علم معه حاصلا ولا متوهما ، فناسب جوابهم ما عليه حالهم وما هم عليه .

ولما تقدم في سورة لقمان قوله تعالى : **((وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ))** ، فحصل ذكر **(عِلْمٍ)** ، وإن كان منفيا ؛ ولأن جدالهم ينبئ أنهم توهموا أن ذلك علم وأنهم على شيء ، فقد حصل من مجادلتهم أنهم يظنون أنهم على علم .. ولا يجادل

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 247

إلا متعلق بشبهة يظن أنها علم ، فناسبه قوله تعالى مخبرا عنه : **((بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا))** ، لاشتراك لفظ **(وجد)** إذ يكون بمعنى :علم » [1].

ويربط بدر الدين بن جماعة بين تغاير الصيغ وبين التفنن في الفصاحة ، أي أن المناسب مع اتخاذ الأنداد من دون الله (ألفينا) . والمناسب لقدرة الله وعجز الإنسان عنها (وجدنا) ، وعبر عن كل في مكانه لاشتراكهما في المعنى ، ويقول : « واختلاف لفظهما للتفنن في الفصاحة والإعجاز » [2].

ولا نوافق بدر الدين بن جماعة في رأيه ؛ لأن « **(ألفينا)** أخص، إذ لا تطلق على مطلق الوجود ، فلا يقال: ألفيت زيدا ، بمعنى وجدت زيدا ، وإنما يقال : ألفيت زيدا عاقلا ، وألفيته على الهدى ، وعلى الضلالة ، بخلاف **(وجدت)** فإنها يجوز إطلاقها على مطلق الوجود ، كما تطلق على الوجود المخصوص ، فكان الموضع الأول أولى باستعمال اللفظ الأخص » [3].

في سورة البقرة : **((الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النَّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لَّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُواً وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))**: {228 – 231 }.

وفي سورة الطلاق : **((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً . فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً))**:{ 1 – 2 }.

ذكر في سورة البقرة : **((فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ))** ، وفي سورة الطلاق : **((فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما .

---

[1] - م . ن 1 / 246 – 247

[2] - كشف المعاني في المتشابه 109

[3] - قطف الأزهار في كشف الأسرار 1 / 370 – 371

المناسبة بين آيات الأحكام : إن السياق الوارد في سورة البقرة سياق تحديد نهاية الطلاق ، وهو أنه لما تضمنت الآية قبلها الطلاق الرجعي ، وكانوا يطلقون ويرجعون من غير حد ولا عد بين الله سبحانه أنه مرتان . أما السياق الوارد في سورة الطلاق فسياق بيان الأحكام المخصوصة بطلاق النساء . هذا ما دفع ابن الزبير الغرناطي إلى ربط آية سورة البقرة وما ورد فيها من لفظ (سرحوهن) الدال على التلطف في الخطاب وذلك لعلاقته بالسياق القبلي وما ورد فيه من ذكر تحديد نهاية الطلاق .

وأما ما ورد في سورة الطلاق فإن اللفظ الثاني (فارقوهن) هو أقرب إلى الإساءة ومناسب للسياق القبلي ، الذي لم يرد فيه بيان تحديد الطلاق بل جاء فيه وقوع الطلاق ، وما فيه من الإساءة .

يقول الغرناطي : « إن آية البقرة قد اكتنفها النهي عن مضارة النساء وتحريم أخذ شيء منهن ما لم يكن منهن ما يسوغ ذلك من ألا يقيما حدود الله ، فلما اكتنفها ما ذكر واتبع ذلك بالمنع عن عضلهن وتكرر أثناء ذلك ما يفهم الأمر بمجاملتهن والإحسان إليهن حالي الاتصال والانفصال لم يكن ليناسب ما قصد من هذا أن يعبر بلفظ (**أَوْ فَارِقُوهُنَّ**) ؛ لأن لفظ الفراق أقرب إلى الإساءة منه إلى الإحسان ، فعدل إلى ما يحصل منه المقصود مع تحسين العبارة وهو لفظ التسريح ... وقد روعي في هذه الآي كلها مقصد التلطف وتحسين الحال في المحبة والافتراق.

ولما لم يكن في سورة الطلاق تعرض لعضل ولا ذكر مضارة لم يذكر ورود التعبير بلفظ (**أَوْ فَارِقُوهُنَّ**) عن الانفصال ووقع الاكتفاء فيما يرد من المجاملة في الحالين بقوله : **بِمَعْرُوفٍ** » [1].

في سورة آل عمران : ((**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ . وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ**)) :{ 165 – 167}.

وفي سورة الفتح : ((**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً. سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**)) :{ 10 – 11 } .

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 268 – 269

ذكر في سورة آل عمران : **((يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ))** . وفي سورة الفتح : **((يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

إن السياق الذي وردت فيه كلمة **(الأفواه)** وهي الأداة التي علق الله تعالى بها حكم القول في آية سورة آل عمران ورد فيه ذكر للمنافقين وبيان لسعة الكلام وكثرته معهم ، والمبالغة فيه لما في مادة (فوه) الاشتقاقية من التفتح والسعة ، و بيان مناسبة خطاب المنافقين وتحذير المؤمنين منهم ، وهذا متعلق بما تقدم هذه الآية في قوله تعالى : **((أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ))** .

ووردت كلمة **(الألسن)** ، تلك الجارحة التي يتكلم بها الإنسان في آية سورة الفتح ، في سياق بيان حال جمع من المتخلفين عن البيعة ، وهم من الأعراب ، وما في مادة (لسن) الاشتقاقية من الطول غير البائن ، الدال على أن هؤلاء لم يتقرر النفاق في قلوبهم ، فناسب ذكر الألسن معهم . ولما تقدم هذه الآية قوله تعالى : **((إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً))** .

يربط فخر الدين الرازي ما ورد في آية سورة آل عمران بالسياق القبلي ، « اعلم أن هذا متعلق بما تقدم من قوله : **((أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ))** ، فذكر في الآية الأولى أنها أصابتهم بذنبهم ومن عند أنفسهم ، وذكر في هذه الآية أنها أصابتهم لوجه آخر ، وهو أن يتميز المؤمن عن المنافق » [1].

ويربط ما تعلق في آية سورة الفتح بسياقها القبلي أيضا ،« لما بين حال المنافقين ذكر حال المتخلفين ، فإن قوما من الأعراب امتنعوا عن الخروج مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لظنهم أنه يهزم ، فإنهم قالوا : أهل مكة يقاتلون عن باب المدينة ، فكيف يكون حالهم إذا دخلوا بلادهم وأحاط بهم العدو فاعتذروا »[2].

ويقصد فخر الدين الرازي ما تقدم من الصنف الأول ، وهم المنافقون في قوله تعالى : **((وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً))** {سورة الفتح : 6}

---

[1] - التفسير الكبير 9 / 85

[2] - م . ن 28 / 88

والصنف الثاني وهم المخلفون من الأعراب وهم الذين لم يستقر النفاق في قلوبهم . فالرازي يقيم علاقة سياقية بين الآية وما تقدمها ، فكل آية وما ورد فيها من كلمات تناسب السياق .

ويربط ابن الزبير الغرناطي ما ورد من الاختلاف بالمقام في كل من السياقين ، وإن السياق استدعى الاختلاف في اللفظين لاختلاف حال الطائفتين ، فما ورد من مقام الحديث عن المنافقين في آية سورة آل عمران أدى بدوره إلى الاختلاف في العبارة الصادرة منهم ، بحسب ما سبق من السياق . وهذا ما كان في آية سورة الفتح فإن المقام فيها مع من لم يستقر النفاق في قلوبهم .

يقول الغرناطي : « لما كان المراد بالآية الأولى الإخبار عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأصحابه ممن استحكم نفاقه وتقرر ، فقال يوم أحد ما حكى الله تعالى من قولهم في المخالفين لهم من الأنصار ممن أكرمه الله بالشهادة في ذلك اليوم : **((لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا))** {سورة آل عمران : 168 } ، إلى ما قالوه من هذا ثم وروا عنه بقولهم لصالحي المؤمنين : **((لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ))** ، فأخبر تعالى عنهم بما أكنوه من الكفر فقال تعالى: **((هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ))** ، فناسب الإبلاغ في قوله تعالى : **(بِأَفْوَاهِهِم)** ما انطووا عليه ، واستحكم في قلوبهم من الكفر .

وأما آية الفتح فإخبار عن أعراب (...) وهؤلاء لم يستقر نفاقهم كالآخرين ، إنما أخل بهم قرب عهدهم بالكفر ، وإن لم يتقرر الإيمان في قلوبهم ، لكن لا عن نفاق كنفاق الآخرين ، قال تعالى مخبرا عن هؤلاء الأعراب : **((سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا))** فعن هؤلاء قال تعالى : **((يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ))** ، فعبر بالألسنة إشعارا بأن حال هؤلاء ليس كحال المنافقين المقصودين في آية آل عمران »[1].

وقد توسع الدكتور فاضل السامرائي في توجيه ابن الزبير الغرناطي ناظرا في سياق الآيتين ، « إن الموقف في آية آل عمران إنما هو في قتال المشركين الذين جاؤوا إلى المدينة. وأما الموقف في آية الفتح فهو في الذهاب إلى العمرة ، وليس إلى قتال ، فالموقف في أحد أشد والخطر أظهر .

وأن القول في آيات آل عمران أعظم وأكبر مما في الفتح فإنهم قالوا: **((لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ))** فهم كانوا مصرين على عدم المشاركة في القتال ، راضين بقعودهم ، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا يخذلون غيرهم ويزينون لهم القعود ، فقد قال عنهم سبحانه إنهم قالوا لإخوانهم : **((لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا))** ، فهم لم يندموا بل كانوا يرون ذلك من بعد النظر . وأما المخلفون الذين ذكروا في سورة الفتح فإنهم قالوا : **((شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا))** ، فاعتذروا

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 324 – 325

عن عدم الذهاب إلى العمرة بالشغل ، وأنهم طلبوا الاستغفار من الرسول ، فهم أظهروا للرسول أنهم مقصرون ، وأنهم مذنبون فطلبوا الاستغفار وأنه كان لهم عذرا ، ولم يظهر الأولون ذلك بل كانوا راضين بما فعلوا مخلين لغيرهم نادمين ولا طالبين لمغفرة . فقول أصحاب أحد أكبر وأعظم وموقفه أخطر وأكبر فناسب أن يذكر فيهم ما هو أكبر وهو الأفواه وناسب ذكر الألسنة في آية الفتح » [1].

في سورة المائدة : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))** :{ 1 – 2} .

وفي سورة الفتح : **((لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً . مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً))** :{ 27 – 29 }.

وفي سورة الحشر: **((مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ . لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ))** :{ 7 – 8 }.

ذكر في سورة المائدة : **((فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً))** ، وفي سورة الفتح : **((فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً))** . وفي سورة الحشر: **((فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيات بين لفظهما وسياقهما .

---

[1] - أسئلة بيانية في القرآن الكريم 40 – 41

إن كلمة (الرب) وهي إصلاح الشيء والقيام عليه مع التلطف والتأنيس ، يرتبط بسياقات محددة وما ورد في آية سورة المائدة من قوله : **((فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً))** ، متعلق بسياق الآية في قوله تعالى : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ))** . وهذا السياق لم يرد قبل الآية التي ورد فيها : **((فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً))** ،

وفي سورتي الفتح والحشر كان السياق القبلي لهما سياق البشارة والإنعام . ففي سورة الفتح جاء قوله تعالى : **((هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً))** . وفي سورة الحشر جاء قوله تعالى : **((مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))** .

يربط ابن الزبير الغرناطي بين السياق القبلي وما ورد في كل آية من الآيات السابقة ويفصل في مقام الخطاب ، ويقول : « إن آية المائدة مبنية على تأنيس وتقريب واستلطاف ، وقد أحرز قوله : **(مِّن رَّبِّهِمْ)** هذه المعاني الثلاثة حسبما يتبين بعد ، ومن التأنيس أيضا افتتاح خطاب من قصد بها بقوله : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**)) مع أنهم نهوا عن عدة منهيات ، والنهي مما يثير الخوف لمن قصد بالنهي ، ثم يحكمه ويقويه ما وصف به آم البيت الحرام من ابتغاء الفضل والرضوان إلى ما تعضيده إضافة التخصيص في قوله : **(من ربهم)** إذ لا يحصل ذلك من أن لو قيل : يبتغون فضلا من الله ، عوض قوله : من ربهم ... كما أن هذه الإضافة في قوله : **(من ربهم)** مشعرة إذا اقترن بها بعض القرائن بالتلطف ، والتقريب ، وتأنيس من عني بها ، وتخويف من انتهك حرمة من جرت الكناية عنه بها تخصيصا ، وتأنيسا ، فلهذا خص هذا الموضوع بها وقدم أيضا تأنيس من خوطب بالنهي إذا هم امتثلوا فأنسوا من شدة الخوف .. فلمجموع ما قصد في هذه الآية من التأنيس والتخويف والاستلطاف خصت بما ورد فيها .

أما آية الفتح فلم ينجر فيها تخويف مرتكب ولا بنيت على ذلك ولا داعية إلى ما يستدعيه التأنيس كما في آية المائدة ، وهذا مع أن المذكورين في آية الفتح أعظم الأمة قدرا وأجلهم خطرا وهم أهل المزية والاختصاص فلم تبن الآية إلا على مدحهم وبيان مزيتهم التي لا يدركها غيرهم ، ولم ينجر فيها تخويف مرتكب يدعوا إلى تأنيس من خوطب بها كما في آية المائدة ، بل وردت هذه مورد البشارة وتعريف حال الإنعام .

وعلى ذلك وردت آية الحشر من الثناء والمدحة ولم يتخللها نهي ولا ورود تفصيل بذكر مخالفي تلك الحال » [1].

في سورة الأنعام : **((قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ . وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ))** :{ 15 – 17 }.

وفي سورة يونس : **((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِنْ أَعْبُدُ اللّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ . وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))** :{ 104 – 107 }.

ذكر في سورة الأنعام : **((وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ))** ، وفي سورة يونس: **((وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما .

يربط ابن الزبير الغرناطي بين اللفظ والسياق ، ويرى أن مبنى السياق دال على الإرادة في آية سورة يونس وما سبقها من آيات تعكس هذه الإرادة ، ومنها أن كلمة الله حقت وأنها نافذة في خلقه وإن مشيئته سبحانه وتعالى غالبة كل شيء . ومبنى السياق في آية سورة الأنعام لم يرد فيه ذكر لهذه الأشياء ، بل وورد فيه الخوف من المعصية والوقوع في العقاب .

يقول الغرناطي : « تقدم قبل هذه الآية – في سورة يونس – قوله تعالى : **((إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ))** {سورة يونس :96} ، فهو إعلام منه سبحانه بجري الخلائق على ما قدر لهم أزلا وسبق به حكمه تعالى ، ثم أعقب بقوله تعالى : **((وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً))** {سورة يونس :99} ، فهذا تأكيد للغرض المذكور من جري العباد على ما قدر لهم وما شاء سبحانه فيهم وإن ذلك لا يرده راد ولا يعارضه معارض ، فناسب هذا قوله تعالى : **((وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ))** أتم مناسبة ، ثم قد وقع بعد هذا قوله تعالى : ((**يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**)) ، وإصابته سبحانه من يشاء بالخير هو المراد بقوله في آية الإنعام : ((**وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ))** ، فاجتمع في آية يونس الأمران معا وكأن قد قيل فيها : وإن يمسسك بخير يردك به فلا راد لما أصابك به وأراده لك ، ففي هذه الآية إمعان المقصود وتأكيده ما ليس في آية الأنعام ليطابق هذا التأكيد والإمعان ما تقدم من قوله : **((إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ))** .

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 368 – 370

ولم يتقدم في آية الأنعام مثل هذا فوقع الاكتفاء هناك بقوله : ((**وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ**)) فجاء كل من هذا على أتم مناسبة »[1].

في سورة الأنعام : ((**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**)) :{ 116 – 117} .

وفي سورة النجم : ((**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى . وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً . فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . ذَلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى**)) :{ 27 – 30 }.

وفي سورة القلم : ((**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ. فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ . إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**)) :{ 1 – 7 }.

ذكر في سورة الأنعام : ((**أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ**)) ، وفي سورة النجم : ((**أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ**)) ، وفي سورة القلم : ((**أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ**)) . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيات بين لفظهما وسياقهما ؟

يربط الخطيب الاسكافي ما ورد في آية سورة الأنعام وما سبقها وما تلاها من سياق نحوي ، ويرى أنها بدأت بحرف شرط (إن) وتأخرت عنها آية بحرف شرط يبدأ بـ(إن) . وآية سورة القلم لم تتعلق بسياق نحوي ، ولم يليها حرف (إن) فناسب كل آية ما ورد فيها من أفعال .

يقول الإسكافي : « قوله : ((**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ**)) ، أي المأمورين يضل عن سبيله، أزيد أم عمرو ؟ وهذا المعنى يقتضيه ما تقدم هذه الآية ، وما جاء بعدها مما تعلق بها فالذي قبلها : ((**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ**)) ، أي إن تطع الكفار يضلوك عن طاعة الله وعبادته ، وثم أخبر أنه يعلم من الذين يغوونه ويضلونه ومن الذين لا يتمكنون من إضلاله . وبعد هذه الآية : ((**وَإِنَّ كَثِيراً لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ**)) {سورة الأنعام : 119}.

وأما قوله : ((**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ**)) فمعناه غير معنى ما في الآية الأولى ، أي الله أعلم بأحوال من ضل ، كيف كان ابتداء ضلاله وما يكون من مآله أ يصر على باطله أم يرجع عنه إلى حقه ، وقبلها : ((**فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ**)) »[2].

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 429 – 430

[2] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 540 – 542

ويرى محمود الكرماني أن الفرق بين التعبيرين في الدلالة المتحصلة منهما ، وتشير تلك الدلالة « أن ما في هذه السورة – الأنعام – معناه : يعلم أيهم يطيعه من قوله : **((وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ))** . وما في القلم معناه : أعلم بما كان وبما يكون عن أحوال من ضل ، بدليل قوله : **((فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ))** »[1].

وينظر ابن الزبير الغرناطي إلى السياق النحوي في الأفعال ، ويرى أن كل آية مرتبطة بما تقدمها من أفعال ، ويقول : « إن آية الأنعام قد اكتنفها من غير الماضي من الأفعال والإعلام بما يكون قطعيا أو يتوقع في المآل ما يقتضي المناسبة في النظم ، ولو ورد غير الماضي هنا لما ناسب ولا لاءم .

أما آية النجم فمبنية على مطلع السورة في قوله تعالى: **((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى))** سورة النجم : 1 – 2 ، فقال تعالى مشيرا إلى حالهم : **((إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ))** فبرأ نبيه (صلى الله عليه وسلم) مما نسبوا إليه وأثبت ذلك لهم بكناية وتعريض أوقع في نفوسهم من الإفصاح بتعيينهم .

وأما آية القلم فإنه لما تقدم فيها قوله تعالى : **((مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ))** ، وقوله تعالى : **((فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ))** ، تهديدا لهم وتعريفا بكذبهم في قولهم حين نسبوه إلى الجنون أعقب ذلك تعالى : **((إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ))** فسجلت هذه الكناية بضلالهم وكذبهم وتناسب هذا كله أوضح تناسب »[2].

في سورة الأعراف : **((ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ . وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))** :{ 55 – 57 }.

وفي سورة الفرقان : **((أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً . وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً))** :{ 45 – 48 }.

ذكر في سورة الأعراف: **((يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً))** ، وفي سورة الفرقان: **((أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

---

[1] - عجائب التفسير وغرائب التأويل 1 / 382

[2] - ملاك التأويل 1 / 471 – 472

هناك قاعدة في الفعل المستقبل هي : أن الفعل المستقبل إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك من الإخبار بالفعل الماضيِ ؛ وذاك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر تلك الصورة ، حتى كأن السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي [1].

لذا يرى الخطيب الإسكافي أن اختلاف اللفظين نتيجة الاستعمال السياقي للأفعال وما تقدمها ، وإن استعمال الفعلين في الآيتين جاء للمناسبة بين الفعل المستقبل **(يرسل)** وما ورد قبله في السياق . وقد تقدم في سياق سورة الأعراف فعل **(تضرع)** بصيغة المستقبل، فناسب أن تقابله الإجابة بالفعل **(يرسل)** في المستقبل أيضا ، ولما في ذلك من الحث على الإقبال على الدعاء وانتظار الإجابة في المستقبل ، إذ لعل الإبطاء هو خير من التعجيل في الإجابة .

وفي آية سورة الفرقان لما تقدم استعمال أفعال كلها دالة على الماضي **(مدّ وجعل وقبض)** ناسب أن يأتي الفعل دالا على المضي **(أرسل)** ، ولم يسبق آية سورة الفرقان دعاء ، بل سبقها تعداد للنعم ، وكل هذه النعم بقدرة الله تعالى كانت ولا زالت ، وفي ذلك تنبيه للإنسان عن الغفلة في قابل أيامه أن ينسى ماضيها ، وهي دعوة للتفكر في أن تلاشي الظل سيصبح شيئا من الماضي ، واليوم الذي أنت فيه سيكون أمسا فناسب استعمال الماضي .

فضلا عن أن ما ورد في سورة الأعراف من ذكره تعالى خلق السماوات والأرض وهو ما لا تكرر فيه وهو أمر غيبي ، ناسب أن يأتي بالفعل المضارع الذي يدل على تكرار الحدث وتواليه وهو دعاء الإنسان وتضرعه إلى الله خوفا وطمعا . هذا بخلاف ما جاء في سورة الفرقان فإنه تحدث جل وعلا في أشياء تتكرر يوميا وهو أمر دنيوي محسوس ، من مد الظل وتعاقب الليل والنهار ، فناسب أن يأتي بالفعل الماضي الدال على الانقطاع وعدم التكرار إلا بقرينة تصرفه إلى ذلك .

يقول : « إن الآية في سورة الأعراف جاء فيها **(يُرْسِلُ)** بلفظ المستقبل ؛ لأن قبلها : **((ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ))** ، فكان في ذلك بعث على الدعاء والتضرع ، وتعليق الخوف والطمع بما يكون منه من الرحمة وصنوف ما رزق الله الخلق من النعم فكان لفظ المستقبل أشبه بموضع الخوف والطمع للداعين ، وأدعى لهم إلى الدعاء .

وأما في سورة الفرقان ، ومجيء هذا اللفظ فيها بلفظ الماضي ؛ فلأن قبل الآية : **((أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاء لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً . ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً. وَهُوَ الَّذِي**

---

[1] - ينظر : المثل السائر 2 / 181

أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً)) ، فلما عدد أنواع ما أنعم ، وكان إرسال الرياح من جملته عده مع ما تقدمه ، وأخبر منه عما فعله وأوجده »[1].

وينظر ابن الزبير الغرناطي إلى السياق الدلالي ، ويرى أنه هو الذي أدى إلى اختلاف اللفظين ، ويقول عن السياق الدلالي في : « آية الأعراف لما تقدمها قوله تعالى: **((إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ))** ، فذكر سبحانه ما تقرر وتحصل من خلق السماوات والأرض مما لا تكرر فيه ، وهما من أعظم آياته، وأعقب سبحانه بقوله : **((ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ))** (...) فقال سبحانه : **((يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ))** ، وأورد ما يتوالى بطول نواله العالم بمشيئته ويتجدد عليهم مما به قوام حالهم إلى انقضاء الأمد المحدود ومجيء اليوم الموعود ، واتبع هذا التعريف بما يجاري الجمل الاعتراضية حال الكلام مما يلائم ويناسب ذلك تعريفه بقوله : **((أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ))** فأعلم باعتراضه لخلق ذلك كله وتصرف أمره في الجميع بما شاء ، وأخبر بتعاليه وعظمته فقال : **((تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ))** وأمر عباده بالدعاء والتضرع إليه وحذرهم وذكرهم باستصحاب الخوف ، وتلك حال الموقنين إذ لا يؤمن مكره إلى التذكير بجليل المتوالي من إنعامه وعظيم ألطافه فقال : **((وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ))** ، فانتظم آخر الكلام بأوله ، وارتبط عوده ببدئه ، وتناسب أوضح التناسب بما يفهمه الفعل المضارع من التكرر من حيث لا يمنع ذلك ، ولو ورد هنا بلفظ الماضي لما ناسب لما يقتضيه الانقطاع إلا لحامل » [2].

ويقول عن السياق الدلالي في آية الفرقان « ورد قبلها ذكر هذه الدلالات وواضح هذه الشواهد وقد تقيد زمان خلقها وجعلها بالماضي في خمس كرات مع أنها مما يتكرر في الآيات ويتوالى ، وكذا في مطلع السورة وما وقع بعده مما يعتبر به وليس بإخبار أخروي فأتبع سبحانه ذلك بموافق مناسب فقال : **((وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً))** ، ولم يكن ورود المستقبل هنا ليناسب ، فجاء على ما يجب » [3].

في سورة يونس : **((وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ . وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ . أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ . ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ.**

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 589 – 590
[2] - ملاك التأويل 2 / 498
[3] - ملاك التأويل 2 / 501

وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ. وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)) : {46 – 54}.

وفي سورة الزمر : **((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ . وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ . وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ . قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ . وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))** :{ 67 – 75 }.

ذكر في سورة يونس : **((قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ))** ، وفي سورة الزمر : **((وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

ينظر ابن الزبير الغرناطي في اختلاف اللفظين أنه كان نتيجة للدلالة المعجمية في كل من الآيتين وعلاقة هذه الدلالة بما تقدمها ، وإن لفظ (القسط) في القرآن الكريم يراد به العمل والتسوية في الحكم ، فمظنة وروده حيث يراد موازنة الجزاء بالأعمال من غير زيادة . ولفظ (الحق) في القرآن الكريم يراد به الصدق ويرد حيث يراد تصديق وعيد أو إخبار متقدم . وإن الله سبحانه وعد المؤمنين بزيادة الأجور والإحسان بما يفوت الغايات ويفوق الحصر ، ولم يجعل جزاءهم على أعمالهم الدينية وفاقا لأعمالهم في مقادير الجزاء .

يقول في آيتي الزمر : « لما كان الوارد في آيتي الزمر منزلا على الحكم حقا بين النبيين والشهداء والملائكة قال تعالى : **((وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم))** ، وقال تعالى : **((وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم))** ، والضمير في الأولى إما أن يكون للنبيين والشهداء ولاشك في أن هؤلاء ممن يضاعف أجورهم فجيء بقوله : **(بِالْحَقِّ)** تصديقا لما وعدوا من الزيادة ، وليس موضع ورود **(القسط)** ، وإما أن يكون للخلق كافة وفيهم المؤمن والكافر فورد قوله : **(بِالْحَقِّ)** تصديقا لما ورد في حق الفريقين

من الزيادة في أجر المؤمن والعدل في حق الكافر ، فلا يظلم مثقال ذرة وإنما جزاؤه وفاق عمله ، ولا يصح هذا أن لو قيل : وقضي بينهم بالقسط، وعلى هذا يجري ما ورد في الآية الأخيرة من فروق » [1].

وفي آيتي يونس يقول « تقدم الأولى منهما غير ما آيات في تأنيس نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، وتعنيف كفار قريش ووعيدهم ، وتسليته (عليه السلام) في إبراهيم ألا ترى ختام الآي قبلها بقوله : **((وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ))** ، أي فسأجري تكذيبهم عيانا لا يجدون محيصا عنه ، ثم قال : **((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ))** أي حضرهم في القيامة وقد كذبوه في الدنيا قضي بينهم وبينه ، فصدق وكذب معانده فنجا المصدق وهلك المكذب .

ولما لم يقصد هنا تفصيل أحوال المصدقين ، بل لحظ الطرفان من التصديق والتكذيب كان موضع التعبير بالقسط الذي هو العدل بين المصدق والمكذب ، وإنما بناء الآي على إرغام المكذبين ولا يناسب هذا إلا ذكر العدل بحسب ما بنيت عليه الآي قبله . وأما قوله في الآية بعد : **((وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ))** فمسرو ندامتهم هم المكذبون وهم المشاهدون العذاب ، والضمير في قوله : **((وَقُضِيَ بَيْنَهُم))** عائد عليهم ، فليس موضع التعبير بقوله **(بِالْحَقِّ)** لما قد تبين » [2].

في سورة هود : **((قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللّهُ إِن شَاء وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ . وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ . وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ . وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ . وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ . حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ))** :{ 32 – 40 }.

وفي سورة المؤمنين : **((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ . فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ**

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 622 – 623
[2] - م . ن 1 / 623 – 624

فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ . قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ . فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ)) :{ 23 – 27 }.

ذكر في سورة هود : **((احْمِلْ فِيهَا))** ، وفي سورة المؤمنين : **((فَاسْلُكْ فِيهَا))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما .

ينظر ابن الزبير الغرناطي في المناسبة بين اللفظين من خلال الدلالة السياقية للقصص القرآني التي يحكمها الإجمال والتفصيل ، وعلاقة ذلك بالغرض الذي تتضمنه السورة ، أو الحشد الفني في كل ما سبق الآيتين ، فقصة نوح (عليه السلام) .

يقول الغرناطي : « وجه ورودها في سورة هود مناسبتها من حيث المعنى ومن حيث ما اقترن بها من لفظ **(قُلْنَا)** ، فطال الكلام لفظا .. ناسب مجموع هذه العبارة ما ورد في سورة هود من استيفاء قصة نوح (عليه السلام) وطول الكلام كذلك .

أما آية المؤمنين ففي قصة نوح فيها إيجاز وإجمال ، ألا ترى أنها في كلمها وعدد حروفها – أعني آية هود – على الضعف أو أطول مما في سورة المؤمنين ، فلذلك ورد في سورة المؤمنين لفظ **(اسْلُكْ)** لإيجازه من حيث معناه وعروه عن اقتران لفظ **(قُلْنَا)** أو غيره مما يحرز الطول ، بخلاف ما في سورة هود » [1].

في سورة هود : **((فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ))** : {116 – 117 }.

وفي سورة القصص : **((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ))** :{ 56 – 59 }.

ذكر في سورة هود : **((وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى))** ، وفي سورة القصص : **((وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

في الآية القرآنية من سورة هود لطيفة نحوية هي : أن الله تعالى نفى الظلم عن نفسه بأبلغ لفظ في النفي بـ(لام الجحد) والفعل المضارع الدال على الاستمرار ، ومعناه : ما فعلت

---

[1] - ملاك التأويل 2 / 654 – 655

فيما مضى ، ولا أفعل في الحال ولا في الاستقبال ، فكان الغاية في النفي . وليس كذلك ما في القصص ، إذ ليس فيها صريح ظلم، فاكتفى بذكر اسم الفاعل ، الدال على الثبات ، وهو لأحد الأزمنة غير معين ثم نفاه [1].

ينظر ابن الزبير الغرناطي في المناسبة بين اللفظ وسياقه ، فيرى أن ذلك مرتبط بدلالة الفعل ، ودلالة الاسم وما يكتنفهما من أفعال أو أسماء ، ويقول : « إن آية هود تقدمها قوله تعالى : **((فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ))** ، أي فهلا كان منهم خيار ينهون عن الفساد والظلم ، فلو كان منهم ذلك لما هلكوا: **((وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ))** أي ما كان ليفعل بهم ذلك وإن وقع منهم ظلم إذا كان فيهم مغير للظلم وناه عن الفساد ... وجيء بالفعل في قوله : **(لِيُهْلِكَ)** إشارة إلى التكرر بحسب ما يكون منهم ... ولم يكن الاسم ليعطي ذلك ...

وأما قوله في سورة القصص : **((وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً))** فإنه تقدم هذا قوله تعالى : **((وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))** ، أي أتبعنا ووالينا التذكار ... فلما أعلم سبحانه تتابع التذكار وتعاقب الإنذار قال : **((وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً))** ، وناسب هذا ذكر اسم الفاعل ؛ لأنه قصد ذكر الاتصاف بهذا ولم يقصد التكرر ولم يكن حاصله » [2].

في سورة الحجر : **((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))** :{ 10 – 11} . وفي سورة الزخرف : **((وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))** : { 6 – 7 }.

ذكر في سورة الحجر : **((مِّن رَّسُولٍ))** ، وفي سورة الزخرف: **((مِّن نَّبِيٍّ))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

ينظر ابن الزبير الغرناطي إلى ما ورد في آية سورة الزخرف فيراه متعلق بما تقدمه من صيغة التكثير في قوله **((شِيَعِ الأَوَّلِينَ))** . وما ورد في آية سورة الحجر ، وهو متعلق بما تقدمه أيضا ، ولم يتقدم هذه الآية ما يدل على صيغة التكثير .

يقول : « لما تقدم في آية الزخرف لفظ الخبرية وهي للتكثير ناسب ذلك ذكر من يوحي إليه من نبي مرسل أو نبي غير مرسل ، فورد هنا ما يعم الصنفين (عليهم السلام) .

أما آية الحجر فلم يرد فيها ولا قبلها ما يطلب بالتكثير مع ما تضمنت من قصد تأنيسه (عليه السلام) وتسليته ، فخصت بالتعبير باسم الرسالة تسلية له عن قولهم : **((إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ))**،

---

[1] - ينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل 1 / 522 – 523

[2] - ملاك التأويل 2 / 671 – 672

بما جرى للرسل قبل (عليه السلام) من مثل ذلك ، ومن البين أن موقع الرسل هنا أمكن في تسليته (عليه السلام) فجاء كل على ما يجب من المناسبة » [1].

في سورة الحجر : **((وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ . لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذاً مُّنظَرِينَ . إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))** :{ 6 – 11 }. وفي سورة الشعراء : **((أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ . فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ . كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ))** :{ 197 – 200 }.

ذكر في سورة الحجر: **((نَسْلُكُهُ))** ، وفي سورة الشعراء : **((سَلَكْنَاهُ))** . ويأتي السؤال ما وجه المناسبة في الآيات بين لفظهما وسياقهما ؟

يربط ابن الزبير الغرناطي ما ورد في الآيتين بما سبقهما من سياق قبلي وصيغة زمنية، ومقام الخطاب ، وفي آية سورة الحجر الخطاب مع كفار قريش وكان الخطاب معهم بصورة مباشرة وبحضورهم ، وفي زمن نزول الخطاب .

وما ورد في سورة الشعراء الخطاب يخص من ذكر من أقوام أنبياء سابقين ، وقد مضى زمن الخطاب .

يقول : « تقدم في آية الحجر قوله تعالى : **((يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ))**، وهو قول العتاة من كفار قريش وغيرهم الذين عنوا بقوله تعالى تهديدا ووعيدا : **((ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ))** سورة الحجر : 3، ولم يتقدم في هذه السورة إخبار بحال غيرهم من مكذبي الأمم سوى التعريف بأن كل قرية أهلكت فبأجل معلوم وكتاب سابق لا يتأخر عنه ولا يتقدم ، فحال هؤلاء كحال من تقدمهم ...

أما آية الشعراء فقد تقدمها ذكر قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم من الأمم المكذبين ، بعد سلوك ما ذكره سبحانه أنه زبر الأولين في قلوبهم ، فلما تقدم أمرها أولا، وانقطعت أزمانها ، وقعت العبارة بالماضي فقال تعالى : **(كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ)** ولم يناسب هنا غير الماضي » [2].

في سورة النحل : **((الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ . وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ**

---

[1] - م . ن 2 / 722 – 723
[2] - ملاك التأويل 2 / 723 – 725

وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ. جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)) :{ 28 – 34 }.

وفي سورة الزمر : **((وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون . فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاء سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ))** :{ 47 – 51 }.

ذكر في سورة النحل : **((مَا عَمِلُواْ))** ، وفي سورة الزمر : **((مَا كَسَبُوا))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيات بين لفظهما وسياقهما ؟

يرى ابن الزبير الغرناطي أن مناسبة اللفظ للسياق الذي ورد فيه ناسب استعمال (عمل) في سورة النحل ، لما اكتنفها من ترداد هذه الكلمة . واستعمال (كسب) في سورة الزمر ، مناسب لما اكتنفها من ترداد هذه الكلمة .

يقول : « ورد قبل آية النحل قوله تعالى مخبرا عن المشركين : **((الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))** ، ثم استمرت الآي إلى قوله : **((ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))** ، ثم صرف الكلام إلى كفار العرب في توقفهم عن الإيمان فقيل : **((هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ))** ، ثم قيل : **((كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ))** ، والمراد من قال : **((مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ))** ، ومن كان على مثل حالهم فقيل بناء على قولهم : **((مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ))** ، **((فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُواْ))** وتناسب هذا أبين تناسب .

وأما آية الزمر فقد وقع قبلها قوله : **((وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً))** ، إلى قوله : **((وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))** ، وبعد هذا: **((قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا**

يَكْسِبُونَ)) ، ثم قال: **((فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا))** والذين ظلموا من هؤلاء – يعني كفار العرب – سيصيبهم سيئات ما كسبوا ، فقد وضح وجه التناسب في الآيتين » [1].

في سورة طه : **((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى. فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى. قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى . قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى . فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى . إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى . قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى . قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى . قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى . قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى))** :{ 43 – 53 } .

وفي سورة الزخرف : **((أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَن كُنتُمْ قَوْماً مُّسْرِفِينَ . وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون . فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ . وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))** :{ 5 – 10 }.

ذكر في سورة طه : **((وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً))** ، وذكر في سورة الزخرف : **((وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

ينظر ابن الزبير الغرناطي إلى السياق والمقام في تحديد علاقة اللفظ بالسياق ، ويرى أن السياق في سورة طه متعلق بما ذكر من التلطف في الدعاء مع فرعون من قِبل موسى (عليه السلام) ومناسبته لـ(سلك) .

والسياق في سورة الزخرف متعلق بالتوبيخ للكفار ومناسبته لـ(جعل) ، يقول : « في آية طه مقصود بها التلطف بالدعاء إلى الله عز وجل على ما تقدم من أمر تعالى لموسى وهارون (عليهما السلام) في قوله تعالى : **((فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى))** ، ولا إشكال في أن هذا من التلطف والرفق في الدعاء ، ناسب ذلك العبارة بـ**(سلك)** عما أنهج تعالى من السبل والطرق لمرافق العباد ومصالحهم ، وهي منبئة عما تعطيه (جعل) في الآية الأخرى مع زيادة الوضوح وكمال التهيئة فهي أنسب لما قصد في هذه السورة ..

أما آية الزخرف فمبنية على توبيخ من كفر من العرب وتقريعهم .. فناسب هذا ما ينبئ عن الخلق والاختراع من غير زيادة فعبر هنا بـ(جعل) .. ولم يناسب هنا هذه المناسبة **لفظ (سلك) ، فجاء كل على ما يجب ويناسب »** [2].

---

[1] - ملاك التأويل 2 / 739 – 740
[2] - ملاك التأويل 2 / 823 – 825

في سورة الأنبياء : ((**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ . مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**)) : {1 -2 }.

وفي سورة الشعراء : ((**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ**)) :{ 3 – 5 }.

ذكر في سورة الأنبياء : ((**مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم**)) ، وفي سورة الشعراء : ((**وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ**)) . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

يرى الخطيب الإسكافي أن السياق الذي سبق (الرب والرحمن) كصفتين من صفات الله تعالى متعلق بمعنى كل منهما ، فمعنى (الرب) : القائم بمصالح الخلق من ابتداء التربية إلى آخر العمر، ويناسبه سياق رعاية مصالح الخلق وهو ما ورد في سورة الأنبياء . فضلا عن ورود (الرب) في الترغيب والترهيب ، أما الترغيب ففي الحث على الطاعة ، وأما الترهيب فحيث يرد معنى ملكيته سبحانه لهم ، وانفراده بإيجادهم ، وإدرار أرزاقهم ، وبيان انفراده تعالى بذلك ، ثم هم مع ذلك على كفرهم .

وما جاء في سورة الشعراء من ورود (الرحمن) فيها ، حيث يراد الإشارة إلى العفو والإحسان والرفق بالعباد والتلطف والتأنيس ؛ لأن (الرحمن) : وهو المنعم عليهم في الدنيا بما خلق فيها ، والمعرّض للنعيم الدائم بعدها ، وهو متعلق بما سبق ذكره من الأمم السابقة ، وختم كل قصة من قصصهم برحمة الله .

يقول الإسكافي : « أما اختصاص سورة الشعراء بـ(الرحمن) ؛ فلأن السورة مقصود بها ذكر الأمم الذين بعث إليهم الأنبياء (عليهم السلام) ، وختم على كل قصة من قصصهم بقوله : ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**)) {سورة الشعراء : 8 – 9 }، وأولاها قصة موسى (عليه السلام) : ((**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى**)) {سورة الشعراء :10 } فاتصف تعالى بـ((**الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ**)) لما يوجبانه من الخوف والرجاء اللذين بهما لزوم الطاعات ، والرغبة فيما علا من الدرجات ، وأراد بالرحمة أن هذه الأمم أمهلت لتقلع عن تمردها ، وتعود إلى ربها ، وتتوب من ذنبها ، فلما لم تفعل عوقبت في الدنيا سوى ما أعد لها في الأخرى . وقال في أول هذه السورة : ((**إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**)) ؛ لأنه أرد أن لا يكونوا كالملجئين في دينهم إلى اعتقاد ما يعتقدونه ، فأمهلهم رحمة منه بهم فقال : ((**وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ**)) فاختص هذا الوصف هنا لذلك .

وأما قوله في سورة الأنبياء : **((مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم))**؛ فلأنه عد إصلاح أبدانهم ، والرب : القائم بما يصلح العبد ، والدين أبلغ في إصلاحه مما يغذوه من طعامه ، وخص هذا الموضع بذكر (ربهم) ؛ لأنه قال : **((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ))** ، ولا يغفلون إلا إذا كانوا في رغد من عيشهم، ولا سبيل إليه إلا بمظاهرة النعمة من الله تعالى وفعله هذا بهم يقتضي وصفه بـ**(ربهم)** »[1].

وينظر ابن الزبير الغرناطي إلى ما تقدم كل من الآيتين من حيث الوعيد والتأنيس ، فيرى أنه سبق آية الأنبياء الوعيد والترهيب ، وسبق آية الشعراء التأنيس والتلطف .

ويقول : « لما تقدم قبل آية الأنبياء من الأخبار ما طيه وعيد وترهيب مع تلطفه سبحانه بهم بتذكيرهم لم يكن ليناسب ذلك ورود اسمه الرحمن ، ألا ترى أن قوله تعالى : **((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ))** ، أشد تخويفا للمخاطبين ، ثم لفظ الناس لفظ لا يخص به المؤمنون وإنما يرد حيث يرد عموم المخاطبين، ويكثر حيث يرد الوعيد والإنذار والتخويف والدعاء الأولي إلى العبادة والدخول في الإسلام ، وأما ما ذكر بعد وصفه بالغفلة والإعراض وما انجر مع ذلك فأهل الكفر والتكذيب ، والسورة مكية ولفظ الناس عام ..

أما آية الشعراء فمبنية على تأنيس النبي (صلى الله وسلم) وإعلامه أن توقف قومه عن الإيمان ، إنما هو بقدرته تعالى عليهم ، ولو شاء لأراهم آية تبهرهم كشق الجبل فوق بني إسرائيل ، وإلى هذه الإشارة بقوله تعالى : **((إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ))** ، ثم رجع الكلام إلى تعنيف المكذبين ، فلما كان بناء الآية على التأنيس والتلطف بنبينا (صلى الله عليه وسلم) وإعلامه بأن تأخير العذاب عنهم إنما هو إبقاء منه تعالى ليستجيب من قدر له الإيمان منهم ، فأشار إلى هذا وناسبه اسمه الرحمن »[2].

في سورة الروم : **((وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ . اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاء كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ))** :{ 46 – 48 }.

وفي سورة فاطر : **((الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . يَا أَيُّهَا**

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 961 – 964

[2] - ملاك التأويل 2 / 834

النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ . إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ . الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ . أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ)) :{ 1 – 9 }.

ذكر في سورة الروم : **((اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ))** ، وفي سورة فاطر: **((وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

ينظر ابن الزبير الغرناطي في علاقة اللفظ بالسياق إلى السياق القريب في سورة الروم الذي ورد فيه تكرار (يرسل) في الآية التي سبقت هذه الآية . وفي آية سورة فاطر يربط بين ما ورد في هذه الآية والسياق البعيد ، ويرى أن السورة افتتحت بصيغة أسماء أفعال (فاطر وجاعل) ، ولم يذكر فيه إرسال الرياح إلا في هذه الآية ، لذا وردت على الأفعال المنسوقة بها الآية ، وهي مما تمدح به جل وعلا صنعه فناسب اختيار الفعل الماضي .

يقول الغرناطي : « أما في سورة الروم فإن قبل الآية : **((وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))** ، فبنى قوله : **((اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ))** على البناء الذي جعل عليه ما هو من آياته ، فحث على الاعتبار بما يعتاد من فعله تبارك الله سبحانه وتعالى .

وأما في سورة الملائكة – فاطر – واختيار لفظ الماضي فيها على المستقبل ؛ فلأن أولها : **((الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً))** ، بمعنى فطر وجعل ، وخاتمة هذه العشر من مبتدأ السورة : **((وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ))** ، فلما افتتح العشر من أول السورة بالتمدح بما صنع أتبعه ما كان من جنسه مما فعل ، فكان اختيار لفظ الماضي ههنا لذلك » [1].

في سورة الزمر : **((وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))** :{ 47 – 48 }. وفي سورة الجاثية : **((وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم**

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 591 – 592

بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ . وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ . وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون)) :{ 28 – 33 }.

ذكر في سورة الزمر : **((وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا))** ، وفي سورة الجاثية : **((وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا))** . ويأتي السؤال : ما وجه المناسبة في الآيتين بين لفظهما وسياقهما ؟

ينظر الخطيب الإسكافي إلى اللفظ في السياق وعلاقته بالخبر ووقوعه ، ويرى أن في آية سورة الزمر إخبار عن وقوع الخبر في الظالمين ، وحصول الحساب ، وأنه لا تقبل من أي كان فدية أو غيرها ، بل وقع الجزاء ملازما للكسب .

وفي آية سورة الجاثية وقوع الخبر في الظالمين وبيان صحائف الأعمال ، فوقع الجزاء ملازما لما كان من اعمال .

يقول الإسكافي :« إنما جاء قوله : **(كَسَبُوا)** في هذه السورة بناء على ما وقع الخبر به عن الظالمين في الآية التي قبل هذه الآية حيث يقول : **((أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ))** سورة الزمر : 24 ، ثم اعترضت آيات تؤكد ما على الظالمين من الوعيد ، وتقوي ما للمصدقين من الوعد إلى أن انتهت إلى ذكر هؤلاء الظالمين الذين قيل لهم : **((ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ))** ، فقال تعالى : ((**وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ . وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون**)) ، فكان المعنى : ولو أن للظالمين الذين تقدم ذكرهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب ، ثم قال : ((**وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا**)) ، أي الجزاء على ما كسبوا من سيئاتهم ، كما قيل لهم : **((ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ))** ، أي جزاءه ، ثم تبعه ذكر الكسب في الآيات التي بعدها ...

أما الآية التي في سورة الجاثية فالطريق في اختيار **(عَمِلُوا)** فيها كالطريق في اختيار **(كَسَبُوا)** في سورة الزمر لأن قبلها قوله تعالى : **((وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))** ، وبعدها : **((هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))** ، في الموضعين ، وتبع ذلك قوله : **((وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا**

وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون)) فبنى **(عَمِلُوا)** على ما سبق ، كما بني هناك **(كَسَبُوا)** على ما تقدم »[1].

ويرى محمود الكرماني أن ما ورد في الآيتين محكوم بما اكتنافهما من سياق ، فسياق سورة الزمر ورد فيه (كسب) وما يدل عليه من العرض للحساب وعدم قبول الفدية . وسياق سورة الجاثية ورد فيه (عمل) وما يدل عليه من عرض الكتاب الذي ينطق بالحق .

يقول الكرماني : « علة الآية الأولى : لأن ما كسبوا في هذه السورة وقع بين ألفاظ الكسب ... وفي الجاثية وقع بين ألفاظ العمل ... فخصت كل سورة بما اقتضاه »[2].

وينظر ابن الزبير الغرناطي إلى ما ورد في الآيتين من زاوية تتمة السياق أو تأكيده لتجنب التكرار ، ويقول : « ما ورد في الزمر تتمة لما تقدم من قوله تعالى : **((وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ))** ، فقوله : **((مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ))** يتناول ما قدموه من سيء أعمالهم غافلين عنه وناسين إياه كان مما قصدوه فيه أنفسهم أو دون ذلك فقد حمل من هذا مع بعده ما تحصل من قوله : **((وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا))** وكان قوله مع ذلك : **((وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا))** كالتتمة المؤكدة ومتناولا ما قصدوه وأعملوا أنفسهم فيه ، حصل من مجموع ذلك المكتسب وغير المكتسب ، فلا فرق بين آية الزمر وآية الجاثية .

ولو قيل في آية الزمر : **(مَا عَمِلُوا)** لكان تكرارا ؛ لان ذلك حصل مما قبلها ، ولو قيل في آية الجاثية : **(مَا كَسَبُوا)** لما كان وافيا بما بينا قبل أنه مقصود الكلام، فتبين خصوص كل من الواردين بموضعه »[3].

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 3 / 1117 - 1118

[2] - البرهان في توجيه متشابه القرآن 167

[3] - ملاك التأويل 2 / 990 – 991

توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في التقديم والتأخير

يأتي التقديم والتأخير في الآيات القرآنية تبعا للمعنى المقتضي للتقديم ، وقد يكون في كل واحد من الشيئين صفة تقتضي التقديم فحينئذ يكون الترجيح لأهمها في ذلك المحل ، وإن كانت الأخرى أهم في محل آخر ، ومن هنا تأتي أهمية النظر والتبصر في التركيب والسياق لمعرفة المناسبة ، فما خولف الترتيب في التركيب إلا لمناسبة ؛ لأن ما يطرأ على التراكيب القرآنية من التنويع في الأساليب من حيث التشابه والاختلاف في التقديم والتأخير هو تنويع مقصود من وراءه أهداف ومناسبات تنبه لها علماء المناسبة وأشاروا إليها ، وتلك الإشارات تختلف عن إشارة علماء البلاغة الذين حصروا التقديم والتأخير بالاختصاص [1].

ويرتبط التقديم والتأخير في علم المناسبة بالسياق ، فالقرآن الكريم « دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة ، فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير ، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك ، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة » [2].

وقد رفض عبد القاهر الجرجاني ، وفي نظرية النظم أن يرجع التقديم والتأخير للعناية والاهتمام في كل الأحوال ، ويقول : « قد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال : (إنه قدم للعناية ؛ ولأنّ ذكره أهم) من غير أن يذكر ، من أين كانت تلك العناية ؟ وبِمِ كان أهم ؟ ولتخيُّلهم ذلك، قد صغر أمر (التقديم والتأخير) في نفوسهم ، وهوّنوا الخطب فيه ، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضربا من التكلف ، ولم تر ظنّا أزرى على صاحبه من هذا وشبهه »[3].

ولم يقتصر علماء المناسبة في بيان السر البلاغي على العناية والاهتمام ، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك في نظرية النظم ، وتوسع في إشارته علماء المناسبة وبحثوا في دواعي الاهتمام ، والأسرار التي وراءه ؛ لأن الاقتصار على القول بأن التقديم للاهتمام أو الاختصاص لا يفسر تلك الأسرار واللطائف التي يشع بها التعبير القرآني « فالاعتماد على بناء

---

[1] - ينظر : المثل السائر 2 / 172 ، ومفتاح العلوم 294
[2] - التعبير القرآني 53
[3] - دلائل الإعجاز 108

الجملة في دراسة النص وتفسيره لا محيد عنه ولا بديل له لمن يريد أن يقدم دراسة نصية مقنعة » [1].

في سورة البقرة : **((وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ . وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ))** :{ 60 – 61 }.

وفي سورة آل عمران : **((لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ . ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ))** :{ 111 – 112} .

ترتب في سورة البقرة الذلة ، المسكنة ، الغضب : **((وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ))** ، وترتب في سورة آل عمران : الذلة ، الغضب ، المسكنة : **((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ))** .

المناسبة بين قصتين مختلفتين : إن سياق سورة البقرة خطاب لبني إسرائيل المعاصرين للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعوهم فيه للإيمان ، ويحذرهم أن يحل بهم ما حل بأسلافهم من العقوبات ، ولهذا فقد جاء الترتيب في سورة البقرة بذكر الأشد عندهم ، لا الأشد في نفس الأمر ، وذلك أن الذي يرونه من حالهم ، ويقرون به جميعهم هو ما هم عليه من الذلة ، وأما المسكنة وهي الفقر ، وإن كانت شاملة لهم بالمعنى الأعظم ، وهو فقر القلوب إلا أنها أقل خطرا عندهم من الذلة .

والسياق في سورة آل عمران خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين ، وتبيّن حال هؤلاء اليهود للمؤمنين ، ولهذا فقد بدأت آياتها ببيان ضرب الذلة عليهم ، واستثنت منه حالة تضبط علاقة المؤمنين باليهود ، فقد كان لهذا القيد فائدته ، حيث كان يبين أمرا شرعيا وقدريا، لا بد أن يعلمه المؤمنون في شأن هؤلاء اليهود ، فكان البدء بالحكم الذي يمس المؤمنين ، وبهذا يتبين السر في البدء ببيان ضرب الذلة .

---

[1] - بناء الجملة العربية 307

وقد لحظ ابن الزبير الغرناطي أن التقديم والتأخير لغرض يناسب السياق ، وقال : «لما سألوا عن مأكلهم ما فيه خسّة وما يستلزم الذلة والعار والمهنة في التوصل إلى الانتفاع به وذلك ما طلبوه في قولهم : ((**فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**)) ، عوضا مما لا تكلف فيه ولا مشقة من المن والسلوى الذي كان ينزل عليهم عند الحاجة بغير مؤنة ، ولهذا قيل لهم : ((**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**)) ، فلما سألوا ما يستلزم مهنة النفس ودناءة الحال لما أجرى به الله تعالى العادة من أن الذي سألوه لا يتوصل إليه إلا بتكلف ومشقة ، فلما سألوا ما حاصله خسة وامتهان ناسب ذلك أن يناط به وينبئ عليه ذكر ضرب الذلة والمسكنة عليهم ثم أعقب ذلك ما باؤوا به من غضب الله الذي سبق به القدر عليهم .

ولما تقدم في آل عمران قوله تعالى : ((**لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ**)) ، ناسب هذا تقديم ما لا نصرة لهم معه ولا فلاح وهو ما باؤوا به من غضب الله عليهم فقال تعالى : ((**وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ**)) ، فجاء كل على ما يناسب ويلاءم»[1].

في سورة البقرة : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)) :{ 282 – 284 }.

وفي سورة آل عمران : ((**لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ.**

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 214

قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) :{ 28 – 29 }.

ذكر في سورة البقرة : **((وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ))** ، وفي سورة آل عمران : **((إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ))** . ما وجه المناسبة في التقديم والتأخير ؟

المناسبة في بيان الأحكام : السياق في سورة البقرة لبيان أحكام مخصوصة في معاملات مهمة ناسبها تقديم البدء وتأخير الإخفاء .

والسياق في سورة آل عمران متضمن النهي والزجر ، فناسبه تقديم الإخفاء وتأخير البدء . لذا يربط ابن الزبير الغرناطي ما كان من تقديم وتأخير بغرض مناسب للسياق فالسياق في سورة آل عمران يتحدث في المنافقين فناسبه تقديم الإخفاء ؛ لأن السياق ورد فيه الزجر والتهديد . والسياق في سورة البقرة لم يذكر فيها النفاق ولا صفة أهله فناسب تقديم البدء لأن السياق ورد فيه بعض المعاملات المخصوصة .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « قد تقدم آية آل عمران قوله تعالى ناهيا وزاجرا : **((لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ))** ، وحذر تعالى من ذلك أشد التحذير إلا عند التقية فقال تعالى : **((وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً))**، ثم اتبع تعالى بتأكيد التحذير فقال: **((وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ))** ، ثم قال : **((وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ))** ، فلما نهاهم عن المرتكب الذي به امتياز المنافقين كان آكد شيء وأهمه إعلامهم بأنه سبحانه يعلم ما يخفون كعلمه ما يبدون لبناء المنافقين كفرهم على ما جهلوه ما عليه سبحانه بخفيات ضمائرهم وإلحادهم في ذلك جهلا بما يجب لله سبحانه وتكذيبا لرسوله ، ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علاّم الغيوب ؟ فهذا وجه تقديم الإخفاء في آية آل عمران ...

أما آية البقرة فلم يجر فيها ذكر النفاق ولا صفة أهله وإنما الخطاب فيها ، وفي آية الدين قبلها وفيما أعقبت به بعد للمؤمنين فيما يخصهم من الأحكام فورد فيها قوله تعالى: **((وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ))** مقدما فيها بادي أعمالهم بناء على سلامة بواطنهم وتنزههم عن صفة المنافقين ... وهذا جار مطرد فيما يلحق بهذا الضرب كما أطرد البدء بالإخفاء على الإعلان حيث يتقدم ذكر أهل الكفر أو ينتظم الكلام بذكرهم .. فاطرد ما ذكرناه في الطرفين على رعي الإيمان والنفاق ، وجاء كل على ما يناسب » [1] .

وهذا تحليل لتركيب التقديم والتأخير لطيف جدا ، يدل على النظرة الشمولية للنص القرآني بحيث يرى ما اطرد من الأساليب فيربط بينه وبين ما كان من التقديم والتأخير .

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 280 – 283

في سورة البقرة : **((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ))** :{ 126 – 129} .

وفي سورة آل عمران : **((أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ . لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ))** :{ 162 – 164 }.

ذكر في سورة البقرة : **((يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ))** ، وفي سورة آل عمران : **((يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ))** . ما وجه المناسبة في التقديم والتـخير ؟

السياق في سورة البقرة يتحدث في إبراهيم (عليه السلام) ، متعلقا بالذرية المدعو لها بالهدية قبل الضلال .

والسياق في سورة آل عمران متعلق بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وقومه ووقوع الهداية لهم بعد الضلال . وهذا ما لحظه ابن الزبير الغرناطي فيما ورد من تقديم وتأخير ، ففي سورة البقرة ناسب الدعاء للذرية بالهدية قبل الضلال تأخر التزكية ، وفي سورة آل عمران ناسب الامتنان بالهداية تقدم التزكية .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما كانت دعوة إبراهيم (عليه السلام) قبل وجود الضلال في الذرية المدعو لها ، وإنما تحصل لهم تزكيتهم ورفع ضلالهم المتوقع وقوعه بما يمنحونه من التعليم وما يتلى عليهم من الآيات ؛ لأن ذلك هو السبب في حصول التزكية والسلامة من الضلال إذا وفقوا للانقياد له ، ألا ترى أن ارتباط التزكية بأعمال الطاعات .. وإنما كانت تزكية لهم بانقيادهم للطاعة فيما يطالبهم به من ذلك ويأخذه منهم ، فتأخر ذكر التزكية المسببة عما به تحصل وذلك بعد هدايتهم للإيمان ، فجاء على الترتيب من بناء المسبب على سببه .

ولما كان مقصود الآيتين الأخيرتين إنما هو ذكر الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال الذي كان قد وجد منهم والتعريف بإجابة دعوة إبراهيم (عليه السلام) ، أخر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلين لضلالهم ليكون تلوه ذكر الضلال الذي أنقذهم الله منه بما علمهم وأعطاهم

وأمتن عليهم ، وهو ثاني المسببين ، فكان الكلام في قوة أن لو قيل : ويعلمهم ما به زوال ضلالهم ، وأخر في هاتين الآيتين ذكر السبب ليوصل بمسببه الأكيد هنا الذي كان قد وقع وهو رفع ضلالهم من عظيم محنته ، ولو أخر ذكر التزكية لما أحرز هذا المعنى المقصود هنا ، فاختلاف الترتيب إنما هو بحسب اختلاف المقصودين ورعي ما ذكر ، فورد كل على ما يجب ويناسب » [1].

وما وجه به ابن الزبير الغرناطي تركيب التقديم والتأخير متعلق بالتلازم السببي في السياقين ، وهو أوسع من توجيه هذا التركيب بالاهتمام أو الاختصاص .

في سورة النساء : **((وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً . وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً . وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعاً حَكِيماً . وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً . وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً . إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً . مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً بَصِيراً . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً))** :{ 128 – 135 }.

وفي سورة المائدة : **((وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))** : { 7 – 8 } .

ذكر في سورة النساء : **((كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ))** ، وفي سورة المائدة : **((كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ))** . ما وجه التقديم والتأخير ؟

السياق في آية سورة النساء متعلق بما تقدم من ذكر النساء والنشوز والمصالحة بينهن وبين الأزواج . والسياق في سورة المائدة متعلق بذكر الميثاق والسمع والطاعة لله . وقد نظر الخطيب الإسكافي إلى السياق في سورة النساء وعلاقته بالقرب من الإنسان وهم ذوي القربى فناسب تقديم القيومية ، والسياق في سورة المائدة متعلق بالولاة فناسب تقديم القسط .

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 236 – 237

يقول الخطيب الإسكافي : « إن الآية الأولى في الشهادة أمرا لله عز وجل من عنده شهادة أن يقوم بالحق فيها ، ويشهد لله تعالى على كل من عنده حق لغيره يمنعه إياه حتى يصل إليه ، فقال : قوموا (**بِالْقِسْطِ**) ؛ لأنه من تمام (**قَوَّامِينَ**) إذ فِعلُه يتعدى إلى مفعوله بالباء. وأما (**شُهَدَاء**) فإنها إذا كانت حالا من الضمير في (**قَوَّامِينَ**) ، وكذلك إن كانت خبرا ثانيا ، وإن كانت صفة لـ(**قَوَّامِينَ**) فإن حقها أن تجيء بعدها . وأما قوله (**لِلّهِ**) بعد (**شُهَدَاء**) فلتعلقه بالشهادة ، كأنه قال : كونوا شهداء لله، لا للهو والميل إلى ذوي القربى ، والدليل على ذلك أنه قال : (**وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ**) وشهادة الإنسان على نفسه أن يقر بالحق لخصمه ، أي افعلوا ذلك لله وإن كان عليكم أو على الوالدين وذوي القربى منكم ...

وأما الآية التي في سورة المائدة فإن فحواها يدل على أنها للولاة فقال : (**كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ**) لا لنفع ، ويكون (**بِالْقِسْطِ**) متعلقا بـ(**قَوَّامِينَ**) أي : كونوا قوامين لأجل طاعة الله بالعدل والحكم به في حال كونكم (**شُهَدَاء**) أي : وسائط بين الخالق والخلْق ، أو بين النبي وأمته .. فالقائم بتنفيذ أحكام الله تعالى بين خلقه إذا وفّى ما عليه من حقه ، فهو شهيد على من وليه والرسول شهيد عليه بما نقله إليه ، والدليل على أن الخطاب لِولاة الأحكام قوله بعده : ((**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**)) ، وذلك عام في المخالفين من أهل الأديان والموافقين ممن حصلت لهم بغضة وعداوة ، أي : اعدلوا على الولي والعدو عدلا واحدا » [1].

ويرى محمود الكرماني أن القسط متعلق في السورتين بـ(قوامين) ، واختلف تعلق لفظ الجلالة (الله) ، في سورة النساء تعلق بـ(شهداء) ، وفي سورة المائدة تعلق بـ(قوامين) يقول : « قوامين فعله يتعدى إلى المفعول بالباء ، و(شهداء) يجوز أن يكون حالا من الضمير في قوامين ، ويجوز أن يكون خبرا ثانيا لـ(كان) ويجوز أن يكون صفة لـ(قوامين) ، و(لله) في هذه السورة متعلق بالشهادة ، وهي المراد من الآية بدليل قوله : ((**وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ**)) ، اشهدوا الله لا للميل إلى الأقربين .

و(لله) في المائدة متعلق بـ(قوامين)، والخطاب للولاة بدليل قوله : ((**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ**)) أي كونوا قوامين لله لا لنفع ، فإنكم شهداء على الناس » [2].

ويرى فخر الدين الرازي في تفسير آية سورة النساء أن اتصال هذه الآية بما قبلها من وجوه : « الأول : أنه لما تقدم ذكر النساء والنشوز والمصالحة بينهن وبين الأزواج عقبه بالأمر بأداء حقوق الله تعالى ، وبالشهادة لإحياء حقوق الله ..

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 1 / 419 – 424

[2] - غرائب التفسير وعجائب التأويل 1 / 309

الثاني : أن الله تعالى لما منع الناس عن أن يقصروا عن طلب ثواب الدنيا ، وأمرهم بأن يكونوا طالبين لثواب الآخرة ذكر عقيبه هذه الآية ..

الثالث : أنه تقدم في هذه السورة أمر الناس بالقسط .. وأمرهم بالإشهاد عند دفع أموال اليتامى إليهم ، وأمرهم بعد ذلك ببذل النفس والمال في سبيل الله » [1].

ويقول في تفسير آية سورة المائدة : « هذا أيضا متصل بما قبله ، والمراد حثهم على الانقياد لتكاليف الله تعالى » [2].

ووافق بدر الدين بن جماعة من تقدمه في توجيه التقديم والتأخير في سورة النساء ، واختلف معهم في اتصال سورة المائدة بما قبلها من أحكام تتعلق بالدين والوفاء بالعهود والمواثيق ، وقال : « إن الآية هنا – في سورة النساء – تقدمها نشوز الرجال وإعراضهم عن النساء والصلح على مالٍ ، وإصلاح حال الزوجين ، والإحسان إليهن وقوله تعالى **((وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء))** ، وقوله تعالى **((وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ))** ، وشبه ذلك فناسب تقديم القسط وهو العدل أي: كونوا قوامين بالعدل بين الأزواج وغيرهن ، واشهدوا لله لا لمراعاة نفس أو قرابة .

وآية المائدة : جاءت بعد أحكام تتعلق بالدين ، والوفاء بالعهود والمواثيق لقوله تعالى في أول السورة : **(أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ)** ، إلى آخره ، وقوله تعالى قبل هذه الآية : **(وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ)** ، ولما تضمنت الآيات قبلها من أمر ونهي ، فناسب تقديم (الله) أي كونوا قوامين بما أمرتم أو نهيتم لله ، وإذا شهدتم فاشهدوا بالعدل لا بالهوى » [3].

ورأي أبي حيان في التقديم والتأخير أنه جاء للتوسع في الكلام والتفنن في الفصاحة وقال : « يلزم مَن كان قائماً لله أن يكون شاهداً بالقسط ، ومَن كان قائماً بالقسط أن يكون قائماً لله ، إلا أنَّ التي في النساء جاءت في معرض الاعتراف على نفسه وعلى الوالدين والأقربين ، فبدئ فيها بالقسط الذي هو العدل ، والسواء من غير محاباة نفس ولا والد ولا قرابة .

وهنا – سورة المائدة – جاءت في معرض ترك العداوات والإحن ، فبدئ فيها بالقيام لله تعالى أولاً ؛ لأنه أردع للمؤمنين ، ثم أردف بالشهادة بالعدل ، فالتي في معرض المحبة والمحاباة بدئ فيه بما هو آكد ، وهو القسط ، وفي معرض العداوة والشنآن بدئ فيها بالقيام لله، فناسب كل معرض بما جيء به إليه . وأيضاً فتقدم هناك حديث النشوز والإعراض وقوله:

---

[1] - التفسير الكبير 11 / 73
[2] - م . ن 11 / 184
[3] - كشف المعاني في المتشابه 142 – 143

((وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُوا)) ، وقوله : **((فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا))** ، فناسب ذكر تقديم القسط ، وهنا تأخر ذكر العداوة ، فناسب أن يجاورها ذكر القسط » [1].

وأشار الطاهر بن عاشور إلى ارتباط التقديم والتأخير بالسياق ، في قوله : « ووجه ذلك أنّ الآية الّتي في سورة النّساء وردت عقب آيات القضاء في الحقوق المبتدأة بقوله : **((إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ))** {سورة النساء : 105} ، ثمّ تعرّضت لقضية بني أبيرق في قوله : **((وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً))** {سورة النساء : 105 }، ثمّ أردفت بأحكام المعاملة بين الرّجال والنّساء ، فكان الأهمّ فيها أمرَ العدل فالشهادة . فلذلك قدّم فيها **((كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ))** {سورة النساء : 135} ؛ فالقسط فيها هو العدل في القضاء ، ولذلك عدّي إليه بالباء إذ قال : **((كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ))** .

وأما الآية التي نحن بصدد تفسيرها – في سورة المائدة – فهي واردة بعد التذكير بميثاق الله ، فكان المقام الأوّل للحضّ على القيام لله ، أي الوفاء له بعهودهم له ، ولذلك عدّي قوله : **(قَوَّامِينَ)** باللام . وإذ كان العهد شهادة أتبع قولُه : **(قَوَّامِينَ لِلّهِ)** بقوله : **(شُهَدَاء بِالْقِسْطِ)** ، أي شهداء بالعدل شهادة لا حيف فيها ، وأولَى شهادة بذلك شهادتهم لله تعالى . وقد حصل من مجموع الآيتين : وجوب القيام بالعدل ، والشهادة به ، ووجوب القيام لله ، والشهادة له » [2].

في سورة النساء : **((وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قِرِيناً . وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيماً . إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً . فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً))** :{ 38 – 41} .

وفي سورة النحل : **((وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ . وَإِذَا رَأى الَّذِينَ ظَلَمُواْ الْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ . وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَاءهُمْ قَالُواْ رَبَّنَا هَـؤُلاء شُرَكَآؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوْ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ . وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ . الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ . وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ))** : {85 – 89 }.

---

[1] - البحر المحيط 3 / 454 – 455

[2] - التحرير والتنوير 6 / 134 – 135

ذكر في سورة النساء : **((وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً))** ، وفي سورة النحل : **((وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلاء))** . ما وجه التقديم والتأخير ؟

السياق في سورة النساء متعلق بالإنفاق رئاء وهي صفة المنافق . والسياق في سورة النحل في بعث الشهداء وهم الأنبياء في كل أمة . ويربط ابن الزبير الغرناطي بين تركيب التقديم والتأخير وما ناسبه من السياق .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « إن آية النحل تقدمها قوله تعالى : **((وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ))** ، فتقدم اسم الشهيد على المشهود عليه ، فورد ما نسق على ذلك من الإخبار بشهادته (عليه السلام) على أمته مرتبا على ما تقدمه من مقتضى النظم في التناظر والتناسب ، فقيل : وجئنا بك شهيدا على هؤلاء متوازنا مع قوله شهيدا عليهم ، وذلك على ما يجب .

أما آية النساء فلم يرد فيها إفصاح بذكر المشهود عليهم ولا كناية عنهم بضمير ولا اسم إشارة بل في آية النساء داع إلى تقدم المجرور بـ(على) ، وهو أنه لما تقدم قوله **((وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ))** ، وذلك من صفة المنافقين ، ناسب هذا تقديم المجرور في قوله : **((وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً))** حتى كأنه بحسب المفهوم لم يقصد به غيرهم ولا شهد على من سواهم .. وليس في آية النحل ما يقتضي ذلك بل مقتضاها إطلاق شهادته (عليه السلام) للجميع من صالح وطالح إذ لم يتقدم قبلها التقييد ، بل الظاهر مما تقدمها أن المراد جميع من بعث (صلى الله عليه وسلم) إليه ، فهذان حاملان من الآيتين على وجوب ورود النظم على ما ورد » [1].

في سورة المائدة : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ . وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** : 35 – 40 .

وفي سورة الفتح : **((بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْماً بُوراً . وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا**

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 342 – 343

لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً . وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً)) : 12 – 14 .

ذكر في سورة المائدة : **((يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ))** ، وفي سورة الفتح : **((يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ))** . ما وجه التقديم والتأخير ؟

السياق في آية سورة المائدة متعلق بما تقدم من ذكر السرقة وحدودها في الشريعة وما يترتب على إقامة الحدود الشرعية وما يستتبع ذلك من التعذيب والمغفرة بشرط التوبة . بينما السياق في سورة الفتح متعلق بما تقدم من ذكر الكفر والإيمان وما يستتبع ذلك من المغفرة والتعذيب .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « إنه لما تقدم آية المائدة قوله تعالى : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ))** ، وقوله : **((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ))** ، وقد وقع في الآيتين ذكر تنكيل الطائفتين ممن حارب أو سرق مقدما ، فقيل في الطائفة الأولى : **((أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ))** ، فهذا ما يجعل لهم في الدنيا ثم أعلم تعالى بوعيدهم الأخروي وجزائهم إن هم وافوا على فعلهم هذا مستحلين ذلك المرتكب أو غير مستحلين إن أنفذ الوعيد عليهم ، وأعقب تعالى بذكر إقالتهم إن تابوا قبل أن يقدر عليهم بما أعطاه الاستثناء ، وأشار إليه قوله تعالى : **((فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))** . وقيل في الطائفة الثانية : **((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا))** ، ثم قال : **((فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ))** ، إذ أشار إلى من أقلع منهم تائبا وأصلح فإن الله يتوب عليه ، فقد تقدم هاتين القصتين ذكر الامتحان قبل ما به رجاء الغفران وهذا في مآلهم الدنياوي ، ثم أعقب الآية التي أعلم فيها بإنفراده بملك السماوات والأرض ، وأنه تعالى يعذب من يشاء ، فقدم ذكر العذاب على المغفرة تنظيرا لما تقدم ومقابلة تطابق إذ كل ذلك بقدره تعالى وسابق مشيئته فهذا وجه تقديم التعذيب في آية المائدة .

وأما آية الفتح فقد تقدمها قوله تعالى : **((وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً))** ، وبالإيمان رجاء الغفران وهو متشبث به كما أن العذاب مرتبط بالكفر ومناط به ، فتقدم في هذه الآية مثمر الغفران وهو الإيمان ، وتأخر موجب التعذيب من الكفر والخذلان ، ثم أعقب تعالى بقوله : **((وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ))** ، فناسب بين الآيتين بالتناظر في الجزاءين من المغفرة لمن أناب والتعذيب لمن كفر وارتاب وبحسب مشيئته سبحانه ، وما قدر لكل من الفريقين أولا » [1].

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 386 – 387

ويرى الآلوسي أن التقديم والتأخير أما على الترتيب الوجود أو على ترتيب المقام ، وقال : « إن التعذيب للمصر على السرقة ، والمغفرة للتائب منها ، وقد قدمت السرقة في الآية أولاً ثم ذكرت التوبة بعدها فجاء هذا اللاحق على ترتيب السابق، أو لأن المراد بالتعذيب القطع ، وبالمغفرة التجاوز عن حق الله تعالى ، والأول : في الدنيا ، والثاني : في الآخرة ، فجيء به على ترتيب الوجود ، أو لأن المقام مقام الوعيد ، أو لأن المقصود وصفه تعالى بالقدرة ، والقدرة في تعذيب من يشاء أظهر من القدرة في مغفرته لأنه لا إباء في المغفرة من المغفور ، وفي التعذيب إباء بين »[1].

في سورة الأنعام : **((وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ . بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ))** :{ 100 – 102 }.

وفي سورة غافر : **((لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَّا تَتَذَكَّرُونَ . إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ . وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ . اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ . ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ))** :{ 57 – 62 }.

ذكر في سورة الأنعام : **((ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ))** ، وفي سورة غافر: **((ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ))** . ما وجه التقديم والتأخير ؟

ينظر الخطيب الإسكافي فيما ورد من تقديم وتأخير في الآيتين ويربطه بما تقدم كل آية ، وقال : « إن ما في هذه السورة – الأنعام – جاء بعد قوله تعالى : **((وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ))** ، فلما قال : **((ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ))** أتى بعده بما يدفع قول من جعل لله شريكا فقال : **((لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ))** ، ثم قال : **((خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ))** .

وفي سورة المؤمن – غافر – جاء بعد قوله تعالى : **((لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))**، فكان الكلام على تثبيت خلق الإنسان لا على نفي الشريك عنه هنا ، كما في الآية الأولى ، فكان تقديم **((خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ))** ههنا أولى »[2].

---

[1] - روح المعاني 6 / 135
[2] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 535 – 536

ويرى ابن الزبير الغرناطي أن غرض التقديم والتأخير مع علاقته بما تقدم كل آية جاء لبيان الأهم في سياقها ، وقال : « إن آية الأنعام لما تقدم فيها **((وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ))** .. كان الملائم نفي ما جعلوه وادعوه من الشركاء والصاحبة والولد ، فقدم ما الأمر عليه من وحدانيته سبحانه وتعاليه عن الشركاء والولد ، فقال : **((لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ))** ، وعرف العباد بعد بأن كل ما سواه سبحانه خلقه وملكه ، فقدم الأهم في الموضع .

أما آية غافر فتقدمها قوله تعالى : **((لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ))** فلما تقدم ذكر الخالق الأعظم ، ولم يتقدم هنا ما تقدم في آية الأنعام ما أتبع بالتنبيه على أنه سبحانه خالق كل شيء ، فكان تقديم هذا التعريف هنا أنسب وأهم ، ثم أعقبه بالتعريف بوحدانيته تعالى فجاء كل على ما يجب ويناسب » [1].

في سورة الأنعام : **((سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ . قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ . قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّهَ حَرَّمَ هَـذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ . قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))** :{ 148 – 151 }.

وفي سورة الإسراء : **((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً . رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً . وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً . وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً . وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً . إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً . وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً))** :{ 23 – 31 }.

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 468 – 469

ذكر في سورة الأنعام : **((نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ))** ، وفي سورة الإسراء : **((نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم))** . ما وجه التقديم والتأخير ؟

سياق آيات سورة الأنعام تحدث في النهي عن أكبر المحرمات وأشدها إفسادا للدنيا والآخرة ومخالفة للعقل والنقل ، ثم بدأ بأعظم الحقوق للخلق ، وهو حق الوالدين ، حيث إن عقوقهم من أكبر المحرمات بعد حق الله . وسياق الآيات في سورة الإسراء يتحدث في القضاء المبرم من الله بعدم عبادة غيره وعطف على عبادته طاعة الوالدين ؛ لأن طاعتهم جزء من العبادة .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « إن المخاطبين بآية الأنعام إنما كان فعلهم ذلك من أجل الفقر الحاصل حين فعلهم ذلك ، فالحاصل لهم على قتلهم قد كان حاصلا حال قتلهم فقيل من إملاق أي من أجل الإملاق الحاصل ثم قيل لهم : ((**نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**))، فقدم رزقه تعالى لهم لحصول فقرهم في الحال ليكون أمنع لهم ، وكأن السياق يشعر بتشفيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين ، فكأنه قيل لهم : إنما ترزقون بهم فلا تقتلوهم ، فتأكد تقديم ضمير الآباء لهذا الغرض .

وأما الآية الأخرى فقصد بها كفار العرب ، وكان وأدهم البنات خشية الفقر المتوقع والعجز عن مؤنتهن فيما يتوقعون مستقبلا فقيل : **((خَشْيَةَ إِمْلاقٍ))** ، فجعلت الخشية هي العلة في فعلهم ، فانتصبت على ذلك ، والمعلول الذي هو الإملاق لم يقع بعد وضمن تعالى لهم رزقهم ورزق أولادهم ودفع ذلك المتوقع ليرفع ذلك خشيتهم ، فلهذا قدم هنا ضمير الأولاد ثم عطف عليه ضمير الآباء ، وكان الأهم هنا فقدم ، فجاء كل في الموضعين على ما يجب ويناسب » [1].

في سورة الأعراف : **((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللّهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ . قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))** :{ 187 – 188 }.

وفي سورة يونس : **((وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ . وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ. وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ))** :{ 46 – 49}.

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 479 – 480

ذكر في سورة الأعراف : ((**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً**)) ، وقال في سورة يونس : ((**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً**)) . ما وجه التقديم والتأخير ؟

أكثر الآيات التي وردت في القرآن الكريم من لفظ الضر والنفع تقدم فيها الضر على النفع ؛ لأن العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولا ، ثم طمعا في ثوابه ثانيا ، ويتقدم النفع في سورة الأعراف لمناسبة ما قبله ، وفي سورة يونس لمناسبة ما قبله .

يقول محمود الكرماني : « حيث تقدم النفع على الضر تقدم لسابقة لفظ تضمن نفعا ، وذلك في ثمانية مواضع ثلاثة بلفظ الاسم وهي : ههنا والرعد وسبأ وخمسة بلفظ الفعل وهي : الأنعام ويونس والأنبياء والفرقان والشعراء أما في هذه السورة فقد تقدمه : ((**مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**)) {سورة الأعراف : 178}، تقدم الهداية على الضلال ، وبعد ذلك ((**لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**)) ، فقدم الخير على السوء ، فلذلك قدم النفع على الضر .

وفي يونس قدم الضر على الأصل ،ولموافقة ما قبلها : ((**مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ**)) {سورة يونس : 18 }، وفيها : ((**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ**)) سورة يونس :12، فيكون في الآية ثلاث مرات » [1].

ويربط ابن الزبير الغرناطي بين تقديم النفع وما سبق آية سورة الأعراف من السؤال عن الساعة . وتقديم الضر في آية سورة يونس وما سبقها من السؤال عن الوعد ، ويقول : « إنه لما تقدم سؤالهم عن الساعة ، وتكرر في قوله : ((**يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا**)) أي عالم بها ، وكان ظاهر السياق يشير إلى أنهم كانوا يظنون أنه (عليه السلام) يعلمها فطلبوا تعريفهم بها ، وأن يخصهم بذلك ولاشك أن العلم بالشيء نفع لصاحبه ، فعرفهم أنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وتقدم ذكر النفع ؛ لأنه مشيرا إلى ما ظنوه أنه عنده من علمها ، فأعلمهم أنه سبحانه استأثر بعلمها ، وأنه (عليه السلام) ، لا يملك من ذلك شيئا إلا ما شاء الله له مما عدى علم الساعة لانفراده سبحانه عن خلقه بعلمها .

وأما تأخير ما تقدم في الأعراف في سورة يونس .. فقدم الضر فللمتقدم قبله من قوله : ((**وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ**)) ، فطلبوا تعجيل العذاب استهانة وتكذيبا ، ولم يعلموا ما في مطلبهم من المحنة والمضرة العاجلة فقال لهم (عليه السلام) بأمر الله تعالى إني لا أملك الضر ولا النفع لنفسي ولا لكم فلا تستعجلوني ذلك فليس بيدي ، فقدم الضر ، لأجل ما تقدم من طلبهم إياه » [2].

---

1 - البرهان في توجيه متشابه القرآن 84 ، وينظر : البحر المحيط 4 / 433

2 - ملاك التأويل 1 / 577 – 578 ، ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 682 – 685

في سورة الأنفال : **((مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَـئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))** : {67 – 72 }.

وفي سورة التوبة : **((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ . إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ . أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ))** :{ 16 – 20 }.

ذكر في سورة الأنفال : **((وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ))** ، وفي سورة لتوبة : **((وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ))** . ما وجه التقديم والتأخير ؟

قدم في سورة الأنفال الأموال والأنفس على سبيل الله ؛ لأن آية الأنفال تقدمها ذكر المال والفداء والغنيمة فكان تقديم ذكر المال أليق . وسورة التوبة تقدمها ذكر الجهاد فقدم سبيل الله .

يقول الخطيب الإسكافي : « إن الآية الأولى في سورة الأنفال عقيب ما أنكره الله تعالى على من قال لهم : ((**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)) ، وهم أصحاب النبي لمّا أسروا المشركين ، ولم يقتلوهم طمعا في الفداء ، فقال تعالى : **((لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ))** .. ثم قال تعالى لما غفر لهم ما كان منهم من ترك القتل إلى الأسرى : ((**فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً**)) .. فعقب ذلك بهذه الآية التي مدح فيها من أنفق أمواله في سبيل الله ، لا من يجاهد طلبا للنفع العاجل ..

ولم تكن كذلك الآية في سورة براءة ؛ لأنها بعدما يوجب تقديم قوله : ((**فِي سَبِيلِ اللّهِ**)) على ذكر المال لأنه قال تعالى : ((**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ**)) ثم

قال في إبطال ما أتى به المشركون من عمارة المسجد الحرام ، وسقاية الحاج مع المقام على الكفر : **((أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ))** فكان المندوب إليه في هذه الآية بعد الإيمان بالله الجهاد في سبيل الله .. لمّا قدم ذكر ما اقتضى الموضع تقديمه ، وأن يجعل أهم إليهم من غيره ، فحالف هذا المكان قوله في سورة الأنفال ، فقدم فيه ما أخر هناك لذلك » [1].

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « إن آية الأنفال مقصود فيها مع المدحة تعظيم الواقع منهم من الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس ، وتغبيطهم بما منّ الله عليهم به من ذلك، وتفخيم فعلهم الموجب لمولاة بعضهم بعضا ، فقدم ذكر الأموال ، والأنفس تنبيها معرفا بموقع ذلك من النفوس وأنهم بادروا بها على حبها وشح الطباع بها .. وليس تأخير هذا المجرور كتقديمه ؛ لأنه إنما يقدم حيث يقصد اعتناء وتخصيص وتنبيه على موقعه ...

أما آية براءة فتعريف بأمر قد وقع ، مبني على التعريف بالمفاضلة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وبين من آمن وهاجر وجاهد في سبيل الله بماله ونفسه بقصد رد من ظن أن السقاية وعمارة المسجد الحرام أفضل ، وعرف أن الإيمان وما ذكر معه أعظم درجة عند الله ، فلم يعرض هنا داع إلى تقديم ما قدم في الأخرى ، فتمخضت فضيلة ذلك المجرور هنا فأخر » [2].

ويستدل أبو حيان في تفسيره دلالة التقديم والتأخير في آية سورة الأنفال بالسياق ومناسبة النزول ، فيقول : « قسّم الله المؤمنين إلى المهاجرين والأنصار والذين لم يهاجروا فبدأ بالمهاجرين لأنهم أصل الإسلام وأول من استجاب لله فهاجر قوم إلى المدينة وقوم إلى الحبشة وقوم إلى ابن ذي يزن ثم هاجروا إلى المدينة وكانوا قدوة لغيرهم في الإيمان وسبب تقوية الدّين . وثنّى بالأنصار لأنهم ساووهم في الإيمان وفي الجهاد بالنفس والمال لكنه عادل الهجرة بالإيواء والنصر وانفرد المهاجرون بالسبق وذكر ثالثاً من آمن ولم يهاجر ولم ينصر ففاتهم هاتان الفضيلتان وحرموا الولاية حتى يهاجروا » [3].

في سورة إبراهيم : **((قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ . اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ))** :{ 31 – 32 }.

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 696 – 698 ، وينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل 1 / 445
[2] - ملاك التأويل 1 / 581
[3] - البحر المحيط 4 / 517

وفي سورة النمل : ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ . أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**)) :{ 59 – 60 }.

ذكر في سورة إبراهيم : ((**وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ**)). وقوله تعالى ((**وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء**)) . ما وجه التقديم والتأخير؟

يرى ابن الزبير الغرناطي أن التقديم والتأخير مرتبط بما تقدم كل آية ، وقال : « إن آية إبراهيم قد تقدمها قوله تعالى : ((**قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ**)) ، وقد علم المؤمنون أن الله غني عن العالمين ، وأن المنزل من ماء السماء إنما هو رحمة للعباد وإحياء للأرض بعد موتها ، ليخرج ما بث فيها سبحانه من أنواع الحبوب والثمرات وغير ذلك مما به صلاح أحوال العباد وتتميم معائشهم ، ولم يغب عن المؤمنين المذكورين قبل أن ربهم غني عن ذلك كله ومنفرد بخلقه والإنعام به ، فلم يحتج إلى تنبيههم بأن ذلك لهم إذ حالهم التذكر وموالاة الاعتبار لا الغفلة ، وأخر ذكر ذلك إلى ذكر الرزق ليجري مع قوله في الزينة والطيب من الرزق ..

أما آية النمل فتقدم فيه قوله تعالى : ((**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**)) ، فلما تضمنت تعنيفا للمشركين على سوء مرتكبهم وعماهم عن التفكر والاعتبار قصد تحريكهم وإيقاظهم من رقدة الغفلة فقيل : (**وَأَنزَلَ لَكُم**) فحصل تنبيههم وإعلامهم أن إنزال الماء من السماء إنما هو لهم وإنه لا حاجة به سبحانه إليه ، فاستجر الكلام تعنيفهم ، ويشهد لهذا قوله تعالى عقب الآية ((**مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**)) ، أي يعدلون بربهم غيره ويعدلون بعبادته إلى عبادة غيره ، وكل هذا شرك لا فلاح معه ، فلما قصد في الآية ما ذكرنا قدم المجرور ، وشأنه أبدا إذا قدم إحراز معنى التنبيه حيث يقصد التحريك والإيقاظ لذي غفلة، أما إذا تأخر فلا يحرز هذا المعنى على الصفة التي يحرزه متقدما » [1].

في سورة الإسراء : ((**أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً**)) :{40 – 41 }.

وفي سورة الكهف : ((**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً . مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً. وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً . وَرَأَى**

---

[1] - ملاك التأويل 2 / 716 – 717

الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً)) : {50 – 54 }.

ذكر في سورة الإسراء : **((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ))** ، وفي سورة الكهف : **((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ))** . ما وجه التقديم والتأخير ؟

السياق في سورة الإسراء خاص بالكفار من العرب فناسب تقديم القرآن ؛ لأنهم قد كذبوا به . بينما السياق في سورة الكهف متعلق باتخاذ الشركاء من دون الله فناسب تقديم الناس .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « إن الأولى وقع قبلها : **((أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلآئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً))** ، وهذا خطاب مراد به كفار العرب ، فلم يذكر فيه لفظ الناس العام لهم ولغيرهم ، إذ الخطاب خاص بهم .

وأما آية الكهف فلم يقع قبلها ذكر الثقلين معا فيحتاج إلى ذكر تقديم الناس كما احتيج في الإسراء ، ألا ترى أن فصل آية الكهف : **((وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً))** ، فلم يرد فيها ما في الأخرى ، وكان الأهم ذكر القرآن الشافي لمعتبر ما صُرّف فيه من الأمثال »[1].

ويقول بدر الدين بن جماعة : « إن الأولى وردت بعد ما تقدم من الآيات من الوصايا والعظات والتخويفات ، ولذلك قال (**لِيَذَّكَّرُواْ**) أي يذكروه فيعملوا به ... وأما آية الكهف فوردت بعد ذكر إبليس وعداوته وذم اتخاذه وذريته أولياء ، فناسب تقديم ذكر القرآن الدال على عداوته ولعنه »[2] .

ويربط البقاعي بين مبنى سورة الإسراء وبين تقديم الناس : « لما كان مبنى السورة على بيان العناية بالناس الذين اتقوا والذين هم محسنون ، اقتضى المقام لمزيد الاهتمام تقديم قوله تعالى (**لِلنَّاسِ**)))[3].

ويربط بين مبنى سورة الكهف وبين تقديم القرآن : « لما كانت هذه السورة في وصف الكتاب ، اقتضى الاهتمام به تقديمه في قوله : **((فِي هَذَا الْقُرْآنِ))** »[4] .

وهذا لا يعني إن الناس أهم من القرآن في سورة الإسراء ، لذا يقول الطاهر بن عاشور : « ذكر القرآن أهم بالأصالة إلا أن الاعتبارات الطارئة تُقدّم في الكلام البليغ على الاعتبارات

---

[1] - ملاك التأويل 2 / 765 – 766
[2] - كشف المعاني في المتشابه 232 – 233
[3] - نظم الدرر 4 / 425
[4] - م . ن 4 / 481

الأصلية؛ لأن الاعتبارات الأصلية لتقررها في النفوس تصير متعارَفة فتكون الاعتبارات الطارئة أعز منالاً. ومن هذا باب تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر » [1].

في سورة المؤمنين : **((أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ. أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ . أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ . أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ . وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ . حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ . وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ . قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ))** : {80 – 83 }.

وفي سورة النمل : **((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ . لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ))** :{ 67 – 68 }.

ذكر في سورة المؤمنين : **((لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ))** ، وفي سورة النمل: **((لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ))** . ما وجه التقديم والتأخير ؟

السياق في سورة المؤمنين يستدعي لفت الانتباه إلى ما في الأرض من مخلوقات الله الدالة على عظمته والتفكر في عطايا ربوبيته ، والتي يتقلب فيها الإنسان ، وما خلقه الله من الموت والحياة ، وذكر سؤال الإنسان عن بعث الأولين ولم يرد ذكر للآباء . والسياق في سورة النمل سؤال عن البعث ولكن تقدمه ذكر الآباء .

يقول الخطيب الإسكافي : « لما كان الأول في حكاية تظاهرت فيها أفعال أسندت إلى فاعليها متصلة بها ، وهي : **((بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ))** ، فهذان فعلان تعلق بهما هذا المحكي ، وكل واحد منهما جاء بعده فاعله مواصلا له غير منفصل عنه، ثم بعده : **((قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا))** ، فكل هذه الأفعال قصد بها حكاية ما جاء بعدها ، فلما كان : ((**لَقَدْ وُعِدْنَا**)) وجب في البناء على الأفعال المتقدمة أن يتم حكم الفاعل ، وهو توكيده ، والعطف عليه ، فقدم ((**نَحْنُ وَآبَاؤُنَا**)) على المفعول الثاني ، وهو (**هَذَا**) لذلك ؛ ولأن الأصل إذا أجري عليه الشيء أولى من غيره .

---

[1] - التحرير والتنوير 15 / 204 – 205

وأما الآية الثانية من سورة النمل فإن الذي تقدمها : **((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا))** ، فأخر المعطوف على اسم (كان) الذي هو كالفاعل لها ، وهو قوله : **(وَآبَاؤُنَا)** عن المنصوب الذي هو كالمفعول لها وهو قوله : **(تُرَاباً)** فصار ما هو كالمفعول مقدما على ما هو معطوف على الفاعل ، فاقتضى البناء عليه تقديم المفعول ثم العطف على الفاعل المضمر فجاء : **((لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ))** لذلك » [1].

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « لما تقدم قبل آية المؤمنين قوله تعالى: **((أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءهُمُ الْأَوَّلِينَ))** ، فتقدم التعريف في هذه الآية أن آباءهم قد جاءتهم الرسل وأنذروا كما أنذر هؤلاء لهذا قالوا : **((لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ))** .

ولما لم يتقدم في آية النمل ذكر إنذار آبائهم كان أهم شيء ذكر الموعود به الذي هو**(هَذَا)** فقالوا : **(لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا)** » [2].

ويقول بدر الدين بن جماعة : « لما تقدم هنا ذكر آبائهم بقوله تعالى **((بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ))** ، وهو آباؤهم ناسب ذلك تقديم المؤكد وهو نحن ليعطف عليه **(الآباء)** المقدم ذكرهم ، ثم تأخير المفعول الموعود لهم جميعا وهو **(هذا)** .

وآية النمل لم يذكر فيها **(الْأَوَّلُونَ)** بل قال : **((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ))** ، فناسب تقديم المفعول لموعد ، ثم ذكر أولا ، وحاصله تقديم من تقدم ذكره أهم وأنسب ، وتقديم المفعول الموعود ، وتأخير من لم يذكر أهم وأنسب »[3].

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 943 - 945
[2] - ملاك التأويل 2 / 880
[3] - كشف المعاني 268

توجيه المعنى عند التشابه والاختلاف في الإيجاز والإطناب

الإيجاز والإطناب يقع في القصص القرآني الذي يعنى بذكر ما يتعلق الغرض به ، ويحذف ما يمكن أن تدل القرائن عليه ، أو ما ليس للنص غرض في ذكره « وقد رأينا الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي . وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا » [1].

ومن شروط الفصاحة والبلاغة « الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام ، حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة ، وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة عند أكثر الناس ، حتى إنهم إنما يستحسنون من كتاب الله تعالى ما كان بهذه الصفة » [2].

ويعلل الحذف في بعض المواضع بطول الكلام لأن التراكيب إذا طالت يعتريها بعض الثقل ، ويكون الحذف تخفيفا من الثقل والإيجاز يمنحها شيء من القوة ، والقصد من الإيجاز فيما حذف فيه حذف كثير ، حتى حذفت الأجوبة لدلالة الكلام عليها . وفي هذا الحذف في الكلام مع الدلالة على المراد فائدة ؛ لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ، ولو ورد ظاهرا في الكلام لاقتصر به على البيان الذي تضمنه ، فكان حذف الجواب أبلغ لهذه العلة .

ويعرف الرماني (ت 386 هـ) الإيجاز : « تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى ، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة ، فالألفاظ القليلة إيجاز »[3].

---

[1] - الصناعتين 144
[2] - سر الفصاحة 205
[3] - النكت في إعجاز القرآن 76

ويقسم الإيجاز على وجهين : « حذف وقِصر ، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام . والقِصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف . فمن الحذف : **((وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ))** {سورة يوسف : 82 } .

وأما الإيجاز بالقِصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف ، وإن كان الحذف غامضا للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لا يصلح فمن ذلك : **((وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ))** {سورة البقرة :179} » [1]. وهذا التقسيم منظور فيه إلى البعد التركيبي ، والرماني في ذلك مؤسس لهذه النظرة إلى الإيجاز كما يذكر ابن سنان الخفاجي [2].

ويفرق الرماني بين الإيجاز والإطناب من جهة وبين القِصر والتطويل من جهة ثانية: « الإيجاز بلاغة ، والتقصير عي ، كما أن الإطناب بلاغة والتطويل عي ، والإيجاز لا إخلال فيه بالمعنى المدلول عليه ، وليس كذلك التقصير ؛ لأنه لا بد فيه من الإخلال . فأما الإطناب فإنما يكون في تفصيل المعنى ، وما يتعلق به في المواضع التي يحسن فيها ذكر التفصيل ، فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعا يكون به أولى من الآخر ؛ لأن الحاجة إليه أشد والاهتمام به أعظم » [3].

ولعل مدار الفرق بين الإيجاز والقِصر ، والإطناب والتطويل ، هو علاقة المعنى بالسياق ، فالحذف الذي ينتج عنه الإيجاز هو إسقاط كلمة من السياق ، يحتاج إليها إتمام المعنى ، ويكون للمتلقي دور في الوصول على ذلك المعنى ، من خلال الربط بين النص موضع التحليل وما يسبقه من نصوص لها علاقة به .

بينما القِصر هو تقليل اللفظ دون العودة إلى السياق ومراعاة للمعنى فقط ، وقد لا يصل إليه المتلقي إلا الفطن، لهذا وصف الرماني حذف القِصر بشدة الغموض . فإذا كان إيجاز الحذف يحتاج في إدراكه إلى متلق من نوع خاص لما فيه من غموض ، فإن إيجاز القصِر لأشد حاجة إلى ذلك المتلقي الخبير بضروب الكلام وأساليبه . أما الإطناب فهو صنو الإيجاز ؛ لأن بلاغة الإيجاز مرتبطة ببلاغة الإطناب : « فإن لكل واحد من الإيجاز والإطناب موضعا يكون به أولى من الآخر ؛ لان الحاجة إليه أشد ، والاهتمام به أعظم » [4].

---

[1] - م . ن 76 – 77 ، وينظر : الصناعتين 131
[2] - ينظر : سر الفصاحة 211
[3] - النكت في إعجاز القرآن 78 – 79
[4] - م . ن 79

ويحتاج إلى الإيجاز والإطناب في جميع الكلام « الحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه : فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز ، واستعمل الإيجاز في موضع الأطناب اخطأ » [1].

لذلك جعل الرماني القِصر مقابلا للإيجاز ، والتطويل مقابلا للإطناب . يقول ضياء الدين ابن الأثير : « رأيت علماء البيان قد اختلفوا فيه – الإطناب – فمنهم من ألحقه بالتطويل الذي هو ضد الإيجاز ، وهو عنده قِسم غيره ، فأخطأ من حيث لا يدري ، كابي هلال العسكري والغانمي »[2].

ويقول أبو هلال العسكري متابعا الرماني : « الإطناب بلاغة ، والتطويل عي ؛ لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب . والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيدة نزه يحتوي على زيادة فائدة » [3].

ويقول ضياء الدين ابن الأثير (ت 637 هـ) في الإطناب : « هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة . فهذا حدّه الذي يميزه عن (التطويل) إذ التطويل هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير فائدة)) [4].

ونظر إلى فائدة لطيفة في باب الإطناب ، في قوله تعالى : **((فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ))** {سورة الحاقة : 13 } ، و**((وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً))** {سورة الحاقة : 14}. وفي قوله تعالى : **((وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى))** {سورة النجم :20 } . فوجدت ذلك غير مقيس على ما تقدم .

ويقول : ((إن قوله تعالى : **((وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى))** إنما جيء بها لتوازن الفقر التي نظمت السورة كلها عليها وهي : **((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى))** {سورة النجم :1} ، ولو قيل : **((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ))** {سورة النجم : 19 – 20} ، ولم يقل : **((الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى))** لكان الكلام عاريا عن الطلاوة والحسن . وكذلك لو قيل : (ومناة الأخرى) من غير أن يقال (الثالثة) ؛ لأنه نقص في الفقرة الثانية عن الأولى ، وذاك قبيح .. لكن التأكيد في هذه الآية جاء ضمنا لتوازن الفقر وتبعا .

وأما : **((نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ))** ، و**((دَكَّةً وَاحِدَةً))** ، فإنما جيء بلفظ الواحدة فيها – وقد علم أن النفخة هي واحدة والدكة هي واحدة – لمكان نظم الكلام ؛ لأن السورة التي هي (الحاقة) جارية على هذا المنهاج في توازنها السجعي ، ولو قيل : (نفخة) - من غير واحدة – و(دكة) – من

---

[1] - الصناعتين 142
[2] - المثل السائر : 2 / 342
[3] - الصناعتين 143
[4] - المثل السائر 2 / 342

غير واحدة – ثم قيل بعدهما : ((**فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ**)) {سورة الحاقة :15} ، لكان الكلام منثرا محتاجا إلى تمام . لكن التأكيد جاء فيها ضمنا وتبعا . هذا موضع من علم البيان كثيرة محاسنه ، وافرة لطائفه ، والمجاز فيه أحسن من الحقيقة ، لمكان زيادة التصوير في إثبات وصف الحقيقي للمجازي ونفيه عن الحقيقي » [1].

ومن هذه العلاقة بين الإيجاز والإطناب يظهر سؤال : هل بين الإيجاز والإطناب واسطة ، وهي المساواة أم لا ؟

يذهب أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) إلى وجود هذه المرتبة في قوله : «المساواة وهو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض ، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب)) [2].

بينما يذهب السكاكي (ت 626 هـ) إلى عدم وجود هذه المرتبة في قوله : « أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين ، لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي ، مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينها ، ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه ولنسمه : متعارف الأوساط، وأنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم » [3]. يقصد بمتعارف الأوساط المتعارف من كلام أوساط الناس الذين ليسوا في مرتبة البلاغة ، وفسروا الإيجاز بأداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف ، والإطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقا بالبسط [4].

ويمكن أن نتبين التناسب البلاغي المتحصل من الربط بين الآيات القرآنية المتتابعة في السورة المتشابه في الآيات عند علماء المناسبة ، ومن خلال إبرازهم للفائدة الدلالية من الحذف في الجملة ، وذلك من خلال النظر في السياق القبلي للآية موضع البحث ، وفائدة الذكر في الجملة ، وأيضا من خلال السياق القبلي للآية موضع البحث .

في سورة البقرة : ((**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ . أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ**

---

[1] - المثل السائر 2 / 349 – 350

[2] - الصناعتين 134

[3] - مفتاح العلوم 387

[4] - ينظر : الإتقان في علوم القرآن 5 / 1584 – 1585

قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) :{ 131 – 136 }.

وفي سورة آل عمران : **((وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ . فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ . قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ))** :{ 81 – 84 }.

ذكر في سورة البقرة : **((وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ))** ، وحذف في سورة آلا عمران **((وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ))** . ما وجه الذكر والحذف ؟

يرى ابن الزبير الغرناطي في الذكر والحذف وعلاقته بالسياق القبلي : أن ما ورد في سورة البقرة يذكّر به الله تعالى نبيه محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) بتاريخ أبي الأنبياء إبراهيم(عليه السلام) وما وصى إبراهيم (عليه السلام) بنيه وما وصى يعقوب بنيه .

وما ورد في سورة آل عمران يذكّر به الله تعالى نبيه محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) كذب أهل الكتاب وافتراءهم وتحريفهم للكتب السماوية ، وخيانتهم للعهد والميثاق ، وخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا .

يقول : « وجه ذلك أن الأمر في البقرة لما كان للرسل وللمؤمنين ناسبه تأكيد ذكر الإنزال على النبيين ؛ لأن المؤمنين لا يفرقون بين أحد منهم وقد فرق غيرهم ، فناسب حالهم وسجل إيمانهم بالجميع تأكيد مقالهم وتثبيت اعتقادهم فقالوا : **((وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ))** .

ولما كان توجه الأمر في السورة الأخرى ببادي الخطاب من قوله : **(قُلْ)** خاصا به وبعد ذلك وقع التعميم ناسبه عدم التأكيد لتنزه الرسول (عليه السلام) حالا ومقاما عن التفريق بين أحد من الرسل » [1].

ويقول بدر الدين بن جماعة : « إن آل عمران تقدم فيها : **((وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ))** ، فأغنى عن إعادة إيتائهم ثانيا ، ولم يتقدم مثل ذلك في البقرة ، فصرح فيه بإيتائهم ذلك » [2].

---

[1] - ملاك التأويل 1 / 240

[2] - كشف المعاني في المتشابه 108

ويقول زكريا الأنصاري : « ذكر **((وَمَا أُوتِيَ))** هنا ، وحذفها في آل عمران اختصار، كما هو الأنسب بالآخر ، أو لأن الخطاب هنا عام ، وثمَّ خاص كما مرَّ فكان الأنسب ذكره في الأول ، وحذفه في الثاني » [1].

في سورة المائدة : **((وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ . يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ))** :{ 18 – 20 }.

وفي سورة إبراهيم : **((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ . وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ))** :{ 4 – 6 }.

ذكر في سورة المائدة : **((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ))** ، وحذف في سورة إبراهيم: **((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ))** . ما وجه الذكر والحذف ؟

يرى الخطيب الإسكافي أن ما ورد من ذكر وحذف في الآيتين مرتبط بالسياق القبلي ففي سورة المائدة ذكّر قوم موسى (عليه السلام) بكثير من نعم الله عليهم ، إذ انتقى منهم فئة جعلها أنبياء تحمل رسالة الدعوة إلى الله ، وهذه منة ونعمة لا تتوفر لكل الخلق فكثر في بني إسرائيل الأنبياء لفسادهم وجعلهم ملوكا . وفي سورة إبراهيم يذكّر الله تعالى موسى (عليه السلام) أن أخبر قومك بأيام الله ونعمه عليهم ، ووقائعه بالكافرين ليشكروا نعمه وليحذروا عقابه ، فنعم الله وأياديه عليهم كثيرة لا يقف على جوهرها إلا من كان كثير الصبر على المحن والمنح .

ويكون ذلك من وجوه : « أحدهما : أن يقال : لما نبههم على ما خصهم به من الإكرام ليشكروه على هذه النعم العظام بأن جعل فيهم أنبياء مقيمين بين ظهرانيهم ، يدعونهم إلى طاعة ربهم ، ويثنون اعنتهم عن المحظور من شهواتهم، وأن جعلهم ملوكا حيث أغناهم بما أنزل من المن والسلوى عن الحاجة إلى الناس في التماس الرزق من أمثالهم ...

---

[1] - فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن 40

وجواب ثان : وهو أن المن والسلوى مما لم ينعم به على أحد قبلهم ولا بعدهم .. فإذا نبهوا على شكر نعمة خصوا بها دون الناس كلهم كانت المبالغة في ذلك أولى .

وجواب ثالث : وهو أن يقال : لما جعل الخطاب بعد قوله : ((**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**)) في آيتين ، وصدر المخاطبات نبه فيها المخاطبين بمناداتهم فيما حكى من أقوالهم (...) ولم يكن شيء من ذلك في الآية التي في سورة إبراهيم ، فلم يذكر هناك : ((**يَا قَوْمِ**)) لهذا » [1].

ويقول محمود الكرماني : « إن تصريح اسم المخاطب مع حرف الخطاب يدل على تعظيم المخاطب به ، ولما كان ما في هذه السورة نعما جسما ما عليها من مزيد ، وهو قوله : ((**جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكاً وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَ**)) صرح فقال : يا قوم ولموافقته ما قبله وما بعده من النداء ... ولم يكن ما في إبراهيم بهذه المنزلة فاقتصر على حرف الخطاب » [2].

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « لما اعتمد في آية المائدة تذكيرهم بضروب من الآلاء والنعم الجسام من جعل الأنبياء فيهم وجعلهم ملوكا وإعطائهم ما لم يعط غيرهم ، كان ذلك تعريفا باعتنائه سبحانه بهم وتفضيلهم على من عاصرهم وتقدمهم من أمم الأنبياء قبلهم فناسب ذلك نداء موسى (عليه السلام) إياهم بقوله : ((**يَا قَوْمِ**)) بالإضافة إلى ضمير إنباء بالقرب والمزية ، وناسب هذا النداء المنبئ بالاعتناء ما تقدم من تخصيصهم بما عقب به النداء من التشريف بما منحهم من الآلاء والنعم الجسام .

ولما قصد في آية سورة إبراهيم تذكيرهم بنجاتهم من آل فرعون وما كان يسومهم به من ذبح ذكور أبنائهم واستحياء نسائهم للمهنة ولم يذكر هنا سيء مما في آية المائدة لما اقتصر عليه هنا من التذكير بمجرد الإنجاء ، فناسب ذلك الاقتصار على خطابهم دون النداء رعيا للمناسبة » [3].

ويقول بدر الدين بن جماعة : « إن الخطاب بحرف النداء واسم المنادى أبلغ وأخص في التنبيه على المقصود ، وفيه دليل على الاعتناء بالمنادى ، وتخصيصه بما يريد أن يقوله له . فلما كانت آية المائدة في ذكر أشرف العطايا من النبوة والملك وإيتاء ما لم يؤت أحدا من العالمين وهو المن والسلوى ، وهو ملتبسون به حالة النداء حق لها وناسب مزيد الاعتناء بالنداء ، وتخصيص المنادى ، ولذلك أيضا قال : ((**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ**)) ؛ لأن ذلك من أعظم النعم عليهم ، فناسب التخصيص بذكر المنادى » [4].

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 1 / 453 – 454
[2] - البرهان في توجيه متشابه القرآن 58
[3] - ملاك التأويل 1 / 385
[4] - كشف المعاني في المتشابه 149

في سورة الأنعام : **((الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ . وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ . وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))** : {1 – 5 }.

وفي سورة الشعراء : **((طسم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))** : {1 – 6 }.

ذكر في سورة الأنعام : **((فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))** ، وحذف في سورة الشعراء : **((فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))** . ما وجه الذكر والحذف ؟

يرى الخطيب الإسكافي أن الحديث في سورة الأنعام عن موقف المشركين من الحقائق الدامغة والحجج البالغة بين امتراء وامتعاض ، وصدود وإعراض ، وغفلة وتكذيب ، وسخرية واستهزاء ، ثم أعقبه ذلك تقييد موقف المشركين بالحق وتكذيبهم به . بينما يتحدث في سورة الشعراء سبحانه وتعالى عن ترك الخلائق بعد إرسال الرسل مختارين حسب ما تمليه عليهم عقولهم ، مع قدرته على حملهم على الإسلام قسرا لو شاءت حكمته ذلك ، ثم أعقبه تهديدهم ووعيدهم .

يقول : « إن الآية الأولى قد وفي المعنى فيها حقه من اللفظ ؛ لأنها سابقة للثانية – وإن كانتا مكيتين – فأشبعت ألفاظ الأولى مستوفية لمعناها .

وفي الآية الثانية اعتمد على الاختصار لما سبق في الأولى من البيان فاقتصر على قوله : **((كَذَّبُوا))** وهذا اللفظ إذا أطلق كان لمن كذب بالحق .. وإذا قيد جاز أن يقول : كذب الكذب ، وكذب الصدق ، وكذب مسيلمة ، وكذب النبي (صلى الله عليه وسلم) ، إلا أنه إذا عري من التقييد لم يصح إلا لمن كذب بالحق ، فصار قوله تعالى في الشعراء من هذا القبيل بعد البيان الذي سبق في سورة الأنعام » [1].

ويقول محمود الكرماني : « إن سورة الأنعام متقدمة ، فقيد التكذيب بقوله : **((بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ))** ثم قال : **((فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ))** على التمام .

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 478 – 479

وذكر في الشعراء ((**فَقَدْ كَذَّبُوا**)) مطلقا؛ لأن تقييده في هذه السورة يدل عليه ، ثم اقتصر على السين هنا بدل سوف ليتفق اللفظان فيه على الاختصار » [1].

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « إن آية الأنعام لما ترتب على إطناب وبسط آيات من حمده سبحانه وانفراده بالخلق والاختراع (...) فلما تقدم هذا الإطناب ناسبه ما أتبع به من قوله تعالى : ((**فَقَدْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**)) فناسب الإطناب الإطناب .

وقال تعالى قبل آية الشعراء : ((**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**)) ، ثم اعترض بتسلية نبيه (صلى الله عليه وسلم) فقال : ((**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**)) ، وليس هذا المعترض به مما ذكروا به ، ثم قال بعد : ((**إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ**)) ، وهذا راجع إلى تسليته (عليه السلام) ، فلم يبق مجردا لتذكيرهم سوى قوله تعالى : ((**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ**)) ، وما بعد من وعيدهم وتهديدهم بقوله : ((**وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ**)) ، وهذا إيجاز فناسبه ما نيط به من قولهم : ((**فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون**)) إيجازا لإيجاز وإطنابا لإطناب » [2].

في سورة الأعراف : ((**وَجَاء السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالْواْ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإَنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالُواْ يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ . فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ . وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ . قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ . لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ**)) :{ 113 – 125 }.

وفي سورة الشعراء : ((**فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ . فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ . فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ. فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ . قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ . قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ . قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ**)) :{ 41 – 50 }

---

[1] - البرهان في توجيه متشابه القرآن 59 ، وينظر : غرائب التفسير وعجائب التأويل 352
[2] - ملاك التأويل 1 / 412 – 413

ذكر في سورة الشعراء : **((قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ))** ، وحذف في سورة الأعراف : **((قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ))** . ما وجه الذكر والحذف ؟

يرى الخطيب الإسكافي أن سورة الأعراف انفردت بالخبر عن السحرة وذلك بما سجلته من كامل الرد من السحرة على فرعون .

وسورة الشعراء أظهرت حفاوة السحرة بالهداية ، بما تميزت به من الزيادة عن الأعراف في قوله : **((لَا ضَيْرَ))** ، وبما فيها من تتمة حكاية أقوالهم ، واستدراكهم على ما قالوه لفرعون وقسمهم بعزته .

يقول : « إنهم قابلوا وعيده بما يهونه ويزيل ألمه من انتقالهم إلى ثواب ربهم مع المتحقق من منقلب معذبهم ، فجاء في سورة الشعراء – وهي التي قصد بها الاقتصاص الأكبر - **((لَا ضَيْرَ))** أي لا ضرر علينا ، فإن منقلبنا إلى جزاء ربنا فننعم أبدا ، وتعذب أنت أبدا ، فالضرر الذي تحاول إنزاله بنا ، بك نازل ، وعليك مقيم ، ونحن نألم ساعة لا يعتد بها مع دوام النعيم بعدها ، فكأنه لم يلحقنا ضرر .

وفي سورة الأعراف وقع الاقتصار على قوله : **((إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ))** وفيه كفاية وإبانة عن هذا المعنى ، ودلالة بناء على ما قصد فيها ممّا بُيّن وشُرح في سواها » [1].

ويقول محمود الكرماني : « زيادة **((لَا ضَيْرَ))** ؛ لأن هذه السورة اختصرت فيها هذه القصة، وأشبعت في الشعراء ، وذكر فيها أول أحوال موسى مع فرعون إلى آخرها، فبدأ بقوله : **((قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً))** {سورة الشعراء : 18 }، وختم بقوله : **((ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ))** {سورة الشعراء : 66} ، فلهذا وقع فيها زوائد لم تقع في الأعراف » [2].

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « إن قوله : **((لَا ضَيْرَ))** مقابل به ما تقدم من قوله : **((وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ))** ، لما اعتقدوا أولا أن له عزة ونسبوها إليه، فظنوا أنه يقدر على ما يريده ويستبد بفعله ، ثم لما وضح لهم الحق رجعوا عن اعتقادهم وظنهم وعلموا أن القدرة والعزة لله سبحانه وسلموا لخالقهم ولم يبالوا بفرعون وملئه فقالوا : **((لَا ضَيْرَ))** أي لا ضرر ولا خوف من فرعون إذ العزة لله وحده . ولما لم يقع من قولهم في الأعراف أولا مثل الواقع هنا لم يجيئوا في الجواب بما جاؤوا هنا ، فافترق الموضعان وجاء كل على ما يجب » [3].

ويقول بدر الدين بن جماعة : « لما كان الوعيد في الشعراء أشد ناسب مقابلتهم له بعدم التأثر به في مقابلة ما يرجونه عند الله تعالى » [4].

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 180 – 681

[2] - البرهان في متشابه القرآن 83

[3] - ملاك التأويل 1 / 476

[4] - كشف المعاني في المتشابه : 188

في سورة هود : **((وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ . وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ . قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ . قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ . قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ))** :{ 77 – 81 }.

وفي سورة الحجر : **((وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْراَهِيمَ . إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ . قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ . قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ . قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ . قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ . قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ . قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ . إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ . فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ . قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ . قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ . وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ))** :{ 51 – 65 }.

استثنى في سورة هود : **((وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ))** ، وحذف الاستثناء في سورة الحجر : **((وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ))** . وذكر في سورة الحجر: **((فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ))** ، وحذف في سورة هود : **((فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ))**. ما وجه الذكر والحذف ؟

ويرى الخطيب الإسكافي أن ما ورد في سورة هود حديث عن قوم لوط (عليه السلام) وقد علموا بأضيافه من الملائكة ، وصاروا يهرعون إليه طالبين الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين . وما ورد في سورة الحجر الحديث عن ضيف إبراهيم (عليه السلام) وخاطبتهم له ، ومن ثم مخاطبتهم للوط (عليه السلام) .

يقول : « الجواب عن المسالة الأولى : أن الاستثناء في سورة الحجر أغنى عنه قوله تعالى فيما حكى عن الرسل : **((قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ . إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ))** ، فهذا الاستثناء الذي لم يقع في سورة هود أغنى عن الاستثناء .. والجواب عن المسألة الثانية أن يقال : إنه لما اقتص في هذه السورة بعض ما اقتص في الأخرى ، فذكر أن الرسل قالوا له : **((إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ))** ، والمعنى : لن يصلوا إليك وإلى المؤمنين من أهلك ، قُيّد ذلك في قوله : **((فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ**

يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ)) ، بأن أمروه بإخراج أهله من بين أظهرهم ليلا من غير أن يعرّج أحد منهم على شيء خلفه يعوقه عن المضي إلى حيث ما أمر به .

ولما قال في سورة الحجر : **((إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ امْرَأَتَهُ))** ، إخبارا عن الرسل أنهم خاطبوا إبراهيم (عليه السلام) به ، ثم أخبر عن مخاطبتهم لوطا في هذه السورة بما يضاهي قولهم لإبراهيم (عليه السلام) ، أردفوا قولهم له : **((فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ))** بقولهم : **((وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ))** ؛ لأنه إذا ساقهم وكان من ورائهم كان تحقيقا لخبرهم أنهم منجوهم أجمعين، فزيد : **((وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ))** لتجاوب مخاطبتهم له مخاطبتهم لإبراهيم (عليه السلام) بسببه » [1].

يقول ابن الزبير الغرناطي : ((إن آية الحجر ورد قبلها قوله في قصة إبراهيم (عليه السلام) : **((قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ . قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ . إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ))** : 57 – 60 ، فلما ورد هنا استثناء المرأة وذكر حالها وقع بذلك الاكتفاء فلم يذكر في الآية بعد ، إذ ذلك كلام متصل بعضه ببعض ، ولم يتقدم لامرأة لوط (عليه السلام) ، في هود ذكر فاحتاج إلى استثناء)) [2].

في سورة يوسف : **((فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ . وَجَاؤُواْ أَبَاهُمْ عِشَاء يَبْكُونَ . قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ . وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ . وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَـذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ . وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ. وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ . وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ))** :{ 15 – 22 }.

وفي سورة القصص : **((وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ . وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى**

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 770 – 771

[2] - ملاك التأويل 2 / 665 – 666

أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ . فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)) :{ 7 – 14 }.

ذكر في سورة القصص : **((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى))** ، وحذف في سورة يوسف : **((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ))** . ما وجه الذكر والحذف ؟

يرى الخطيب الإسكافي أن ما ورد في سورة يوسف بيان نبوة ورسالة يوسف (عليه السلام) عند كمال قوته المعنوية والحسية ، وعند صلاحه لأن يتحمل الأحمال الثقيلة من النبوة والرسالة .

وما ورد في سورة القصص تأخر نبوة ورسالة موسى (عليه السلام) وكان تكليفه بالرسالة بعد أن أنهى العمل مع شعيب (عليه السلام) وقد أكتمل عقله وبلغ أشده ونمت قوته .

يقول : « الذي يفرق بين المكانين حتى لم ينتظر بيوسف (عليه السلام) الاستواء بعد بلوغ الأشد هو أن يوسف (عليه السلام) أخبر الله تعالى أنه أوحى إليه لما طرحه إخوته في الجب حيث قال : **((وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ))** ، وأراه عز وجل الرؤيا التي قصها على أبيه . وموسى (عليه السلام) لم يُفعل به شيء من ذلك إلى أن بلغ الأشد واستوى ؛ لأنه لم يعلم ما أريد به إلا بعد أن استأجره شعيب (عليه السلام) ، ومضت سنو إجارته وسار بأهله، فهناك آتاه الله ما آتاه من كرامة الله تعالى . وقيل : إنه بعد الأربعين فلم ينتظر بيوسف في إيتاء الحكم والعلم والتشريف بالوحي ما انتظر به في موسى » [1].

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « موسى (عليه السلام) إنما ابتدئ بالوحي وسماع الكلام بعد فراره خوفا من فرعون قال تعالى : **((فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ))** سورة الشعراء :21 ، وأفصحت آي القرآن أن ذلك كان بعد رجوعه ، وإنكاح شعيب (عليه السلام) إياه ابنته ، ولم يخرج من مصر حتى ائتمر به للقتل وبعد وكز الذي كان من عدوه وقضائه عليه ، ومجموع هذا إنما هو بخروجه (عليه السلام) عن سن الابتداء إلى استكمال الأشد وهو الاستواء فقيل في قصته : **((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى))** ، أي استكمل وانتهى إلى أحسن الحالات في السن .

وأما يوسف (عليه السلام) في الوحي إليه في الجب فحاله وإن بلغ ما يسمى أشدا غير حالة الاستواء ، فامتنع مجيء الاستواء في قصته وورد في قصة موسى » [2].

---

[1] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 798

[2] - ملاك التأويل 2 / 677

في سورة الحجر : **((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ . لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ))** : {87 – 88 }.

وفي سورة الشعراء : **((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ . وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))** : {214 – 215 }.

ذكر في سورة الحجر : **((لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ))** ، وحذف في سورة الشعراء : **((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))** . ما وجه الذكر والحذف ؟

يرى ابن الزبير الغرناطي أن ما ورد في سورة الحجر بيان أعطاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سبع آيات هي سورة الفاتحة أو سبع سور هي الطوال . ثم أعقب ذلك أمره سبحانه بأن لا ينظر نظر الطموح والراغب إلى ما أنعم به على أصناف الكفار من زينة الدنيا وزخرفها ، وأن لا يحزن لعدم أيمانهم ، وأن يتواضع للمؤمنين ويرفق بهم .

وما ورد في سورة الشعراء أمر الله لرسوله أن ينذر عشيرته الأقربين ، ليكونوا عبرة لمن سواهم ، لئلا يتهددهم العذاب لو بقوا على شركهم. ثم أعقبها أمر الله لرسوله اعتماد اللين والموادعة واللطيف من القول في دعوته .

يقول الغرناطي : « إنه لما لم يتقدم آية الحجر تخصيص بمدعو بل تقدمها خطابه (عليه السلام) بالتأنيس والتسلية عمن أعرض والرفق بمن آمن فقال تعالى : **((وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ))** ، لم يحتج هنا إلى زيادة .

ولما تقدم آية الشعراء قوله تعالى : **((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ))** ، والإنذار يستصحب التخويف والاستعلاء على من يخاطب به اتبع ذلك تعالى تلطفا وإنعاما على من آمن من عشيرته (عليه السلام) وغيره بقوله : **((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))** فقيل هنا : **((لِمَنِ اتَّبَعَكَ))** ليكون أنص في تعميم المؤمنين مطلقا من العشيرة وغيرهم ، ولو قيل هنا **((وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ))** لما كان نصا في التعميم بل كان يحتمل أن يراد به خصوص المؤمنين من عشيرته (عليه السلام) وكأنه قد قيل : واخفض جناحك لمن آمن منهم أي من العشيرة ؛ لأن لفظ المؤمنين هنا – وإن عم – فإنه مما تقدمه وبني عليه من قوله : **((وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ))** يشبه الوارد من العمومات على سبب خاص ، وذلك مما يكسر سورة عمومه ويدخله الخلاف ، فجيء بالمجموع من قوله : **((لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))** ليرفع ذلك الاحتمال ولا يبقى العموم كما في الآية الأخرى » [1].

---

[1] - ملاك التأويل 2 / 729 – 730

في سورة الكهف : **((قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِداداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً))** :{ 109 – 110 }.

وفي سورة الأنبياء : ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ . وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ . قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)) :{ 105 – 108 }.

ذكر في سورة الكهف : **((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ))** ، وحذف في سورة الأنبياء: **((قُلْ إِنَّمَا يُوحَى))** . ما وجه الذكر والحذف ؟

يرى ابن الزبير الغرناطي أن ما ورد في سورة الكهف بيان أن كلمات الله تعالى لا منتهى لها ، فهي بحر لا ساحل له ، فلو كانت كل قطرة من بحار الدنيا مدادا ، ولو استحالت جذور الأشجار وجذوعها وأغصانها أقلام ، لتكتب كلمات الله لنفد المداد والأقلام قبل أن تنفد كلمات الله ، أعقبها بيان بشرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومهمته ، أنه جاء بوحي من الله تعالى يهدف إلى تصحيح العقيدة وإخلاص الدين ، وإصلاح الدنيا . وما ورد في سورة الأنبياء بيان سنته في وراثة الأرض ، وهي مكتوبة في كتبه السابقة التوراة والزبور ، بأن هذه الأرض لا تكون عاقبة ميراثها إلا لعباد الله الصالحين ، ثم أعقب ذلك الحديث عن مسك الختام في سلسلة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، أشار إلى خصوصية الرسالة التي امتاز بها النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو الرحمة المهداة للعالم كله ، وقد تقدم ذكر بشرية الرسل قبل نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهو من جمل الرسل وخاتمهم .

يقول الغرناطي : « أنه لما تقدم في أول سورة الأنبياء إثبات كون الرسل (عليهم السلام) من البشر فيما حكاه تعالى من قول الكفار بعضهم لبعض : **((هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ))** :{ 3 }، ثم قال تعالى رادا لقولهم ، مثبتا كون الرسل من البشر : **((وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ))** :{ 7 }، ثم تتابع في السورة ذكر الرسل من البشر في عدة مواضع إفصاحا وإشارة ، آخرها قوله تعالى : **((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))**، والخطاب لنبينا (عليه السلام) ، قال تعالى بعد ذلك: **((قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ))** ، فلم يحتج هنا أن يذكر كونه (عليه السلام) من البشر ، إذ قد توالى ذكر جملة وتفصيلا .

أما سورة الكهف فلم يتقدم فيها مثل هذا ، فكان مظنة الإعلام بكونه (صلى الله عليه وسلم) من البشر إرغاما لأعدائه ، ولما في ذلك من تلطفه تعالى بالخلق ورحمته إياهم ... فكون

الرسل من البشر من أعم إنعامه سبحانه على الخلق ، وخصت آية الكهف بذكر بشريته (عليه السلام) لما بيناه ، وورد كل ذلك على ما يناسب » [1].

في سورة لقمان : **((وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))** :{ 6 – 7 }.

وفي سورة الجاثية : ((وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) :{ 7 – 8 }.

ذكر في سورة لقمان : **((كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً))** ، وحذف في سورة الجاثية : **((كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا))** . ما وجه الذكر والحذف ؟ مع إن القصتين متشابهتين .

يرى الخطيب الإسكافي أن سورة لقمان تصف صنف من الناس بأنه حين تتلى عليه آيات الله ليسمعها ويتبعها مؤمنا بها ، يتلقى هذه الدعوة بالإعراض والإدبار كأنه لم يسمعها ، بل كأن في أذنيه صمما فلا تصله الأصوات ولا تبلغه الآيات ، فسماع الآيات وعدمه في حقه سواء ! وهذا الصنف من الناس لا حيلة في هدايته ، فإعراضه عن كبر وإصرار على الغواية فحقه أن يبشر بما لا يسره من عذاب يؤلم بدنه ، ويحزن قلبه يكافئ استهزاءه وكبره .

وفي سورة الجاثية وصف لصنف من الناس كذاب ومبالغ في اقتراف الذنوب ، يسمع آيات الله تقرأ عليه ، وهي في دلائلها ووضوحها ظاهرة بينة ، ثم يستمر على كفره ، ويتمادى في غيه وضلاله ، مستكبرا عن آيات ربه كأن لم يسمعها ، فيتوعده الله بالعذاب الشديد الذي يستحقه .

يقول الغرناطي : « إن هذا الكافر لما أخبر الله تعالى عنه في سورة لقمان أنه يعرض عن القرآن إذا سمعه ، غير منتفع به حتى كأنه لم يسمعه ، وتستمر به هذه الحال كما تستمر بمن به صمم . وقوله في الجاثية : **((ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا))** يدل على ما دل عليه : **((كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً))** ؛ لأن الإصرار عزم لا يهم معه بإقلاع ، فإذا أصر على التصامم فهو كمن في أذنيه وقر ، فصار أحد اللفظين يغني عن الآخر ، ويقوم مقامه ، ويؤدي من المعنى أداءه ؛ فلذلك لم يجمع بينهما ، وكان الموضع الذي ذكر فيه : **((وَلَّى مُسْتَكْبِراً))** أحق بقوله : **((كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً))** والموضع الذي فيه الإصرار على ترك الاستمتاع أغنى عن ذكر **((كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً))** » [2].

---
[1] - ملاك التأويل 2 / 791 – 792
[2] - درة التنزيل وغرة التأويل 2 / 1184 – 1185

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « إن آية الجاثية لما تقدم فيها : ((**وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً**)) ، فوصفه بسماع آيات الله لم يكن ليطابقه ذكر الوقر في الأذن ؛ لأنه قد ذكر سماعه الآيات ، والوقر مانع من السمع، فلم يناسب الإعلام بالسماع ذكر الوقر المانع منه . فإن قيل : لو ذكر هنا الوقر في الأذنين لم يكن ليكون إلا تأكيد لبيان توليه وإعراضه فكان يناسب ، قلت لو وكد بذلك لاقتضى مقاربة عدم السماع ، وليس المراد – والله اعلم – إلا أنه سمع وأعرض ، فكأنه لم يسمع .

وإذا أريد إبقاء سماعهم ، ولم يرد منعه البتة ، لم يناسبه التأكيد المقرب من المنع من أن التنبيه الواقع مراد ، فحصل المقصود . ولما لم يقع ذكر سماع الآيات في آية لقمان ، وتقدم ذكر المشار إليه فيها بقوله : ((**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**)) ، وهذه زيادة مرتكب ، فناسبها ذكر زيادة الوقر ، مع أنه لم يرد فيها ذكر سماعه الآيات كما ورد في آية الجاثية ، فازداد وضوح التلاؤم » [1].

[1] - ملاك التأويل 2 / 941 - 942

جاء ترتيب السور القرآنية كما هي الآن في المصحف الشريف ترتيبا غاية في المناسبة وعجبا في التلاحم ، مع أن السور قد اختلفت في الترتيب الزماني ، فجاء هذا الترتيب مخالفا له غير متوافق مع ترتيب نزوله ، وبغض النظر عن كون الترتيب توقيفا – وهو ما نميل إليه – أو اجتهادا ، فإن الترتيب لا يخلوا من حكم وفوائد .

وأسرار الترتيب المصحفي تكلم فيها قديما قلة من العلماء وأخذ عنهم بعض المفسرين المهتمين بهذا الجانب من أسرار الذكر الحكيم ، وعلم المناسبة قد ساعد على إبراز ما في القرآن من لحمة متينة ، فإن بعضه آخذا بأعناق بعض من تأليف محكم ، حاله حال البناء المتلائم الأجزاء .

وأول من صرح بعلاقة المناسبات بمقصود السورة العام هو أبو الفضل المشذالي البجائي ، الذي أخذ عنه البقاعي المنهج الأمثل في التوصل إلى أوجه التناسب بين السور ، إذ قال : « الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات ، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له ، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عن الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع القرآن ، وإذا فعلته تبين لك -إن شاء الله - وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة سورة »[1]. ويتبين من قول البجائي ما يأتي :

1- يجب معرفة غرض السورة .
2- ما يحتاجه الغرض من مقدمات .
3- مراتب المقدمات من الغرض في القرب والبعد .
4- الأحكام واللوازم التابعة لذلك الغرض .

ويقول البقاعي : « إن كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ويستدل عليه فيها ، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج ، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل استدل عليه ، وهكذا في دليل الدليل ، وهلم جرا ، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتداء ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه على نهج آخر بديع ، ومرقى غير الأول منيع ... وآخر السورة قد واصل أولها كما لاحم انتهاؤها ما بعدها ، وعانق ابتداؤها ما قبلها ،

---

[1] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 1 / 11

فصارت كل سورة دائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغر ، البديعة النظم العجيبة الضم » [1]. ويتبين من قول البقاعي الأمور الآتية :

1 – يجب معرفة مقاصد السورة ومحاورها .

2 – بيان الصلة بين أول السورة ومقصودها .

3 – بيان الصلة بين أول السورة وخاتمتها .

ومن فوائد الاستبصار بمقصود السورة القرآنية استجلاء أسرار تكرار القصص واختلاف الآيات المتشابهة في التعبير .

وقد نبه البقاعي إلى ذلك فقال : « وبه يتبين لك أسرار القصص المكررات ، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة ، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض ، وتغيرت النظوم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة ، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها » [2].

ويقول السيوطي : « قد ظهر لي بحمد الله وجوه من المناسبات : أحدها : أن القاعدة التي استقرأتها من القرآن : كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها ، وشرح له ، وإطناب لإيجازه، وقد استمر ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها » [3]. أي أن علاقة السورة اللاحقة بالسورة السابقة علاقة تفصيل لما أجمل فيها .

ونقل السيوطي عن العلماء قولهم : « من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن ، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فق بسط في موضع آخر منه . وقد ألف ابن الجوزي كتابا فيما أجمل في القرآن في موضع ، وفسر في موضع آخر منه » [4].

ومن المتفق عليه بين المفسرين أن لكل سورة غرض خاص بها ، ويقول السيد محمد حسين الطباطبائي : « إن الأغراض والمقاصد المحصلة من السور مختلفة ، وأن كل واحدة منها مسوقة لبيان معنى خاص ، ولغرض محصل ، لا تتم السورة إلا بتمامه » [5]. وفي هذا الغرض تتوحد أجزاء السورة وتتآلف .

ومقاصد السورة عند أهل هذا العلم يعنى بها الموضوعات التي تدور عليها آيات سورة ما يعني أنّ سورة من السور التي في القرآن ، أو أنّ معظم السور لها موضوع تدور عليه

---

[1] - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور 1 / 149

[2] - نظم الدرر 1 / 8 ، وينظر : تناسق الدرر في تناسب السور 64 ، 65

[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 36

[4] - الإتقان في علوم القرآن 6 / 2274

[5] - الميزان في تفسير القرآن 1 / 16

الآيات والمعاني التي في هذه السورة إذا علم هذا المقصد أو الغرض أو الموضوع فإن فهم التفسير سيكون سهلا بل سيفهم المرء كلام المحققين بأكثر مما إذا أخذ الآيات مجردة عن موضوع السورة .

توجيه المعنى لبيان الترابط النصي بين السور

السورة في القرآن كلام منتظم يشتمل على فاتحة وخاتمة ، وقد نقل السيوطي عن الجعبري [1] قوله : « حد السورة قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة ، وأقلها ثلاث آيات»[2].

وإن لعلم المناسبة عناية ببيان علاقة السورة بما قبلها ، وجهود علماء المناسبة متفاوتة في بيان ذلك ، فمنهم من يكتفي ببيان علاقة ظاهر فاتحة السورة بخاتمة ما قبلها وكثيرا ما يقف عند التشابه اللغوي ، ومنهم من يتجاوز ذلك في لطف قد لا يتبين للمتعجل .

يقول الزركشي : « وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ، ويظهر أخرى » [3].

ويقول السيوطي : « إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد ، فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الاتحاد » [4]. والتلازم والاتحاد الذي يتحدث فيه السيوطي في نحو النص يسمى (الترابط النصي أو التماسك النصي) : « وهو وجود علاقة بين أجزاء النص أو جمل النص أو فقراته : لفظية أو معنوية ، وكلاهما يؤدي دورا تفسيريا ؛ لان هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص ، فالتماسك النصي هو علاقة معنوية بين عنصرين في النص وعنصر آخر يكون ضروريا لتفسير النص » [5].

وهذا التلازم والاتحاد يتوقف على تحديد خاتمة السورة ، ويرتبط تحديد خاتمة السورة بدرجة وعي المفسر فقد تكون الخاتمة آخر آية ، أو قد ترتبط آخر آية بالسياق الذي قبلها ، فحدود الخاتمة لا تقف عند الآية الأخيرة مباشرة ، وإنما قد تمتد إلى أكثر من آية ، وهذا يصدق على البداية أيضا .

الترابط بين سورة البقرة وسورة الفاتحة :

[1] - هو إبراهيم بن عمر بن إبراهيم أبو محمد برهان الدين الرّبعي الشافعي المقرئ (ت 732 هـ) ، ينظر غاية النهاية 1 / 211 ، الدرر الكامنة 1 / 51 .

[2] - الإتقان في علوم القرآن 2 / 347

[3] - البرهان في علوم القرآن 1 / 38

[4] - تناسق الدرر في تناسب السور 74

[5] - نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي 98

المناسبة بين افتتاح سورة البقرة وخاتمة سورة الفاتحة واضحة تمام الوضوح ، وقد أشار إليها جمع كبير من العلماء ، والربط بينها هو أن فاتحة الكتاب لما علّمت المؤمنين أن يسألوا الله عز وجل سلوك الطريق المستقيم ، ويجنبهم طريق المغضوب عليهم والضالين ، وهم اليهود والنصارى . جاءت سورة البقرة مفصلة لحال اليهود والنصارى .

يقول الخويي : « أوائل هذه السورة – البقرة – مناسبة لأواخر سورة الفاتحة ؛ لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى ، قال : قد أعطيتكم ما طلبتم : هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه ، وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسؤول » [1].

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « لما قال العبد بتوفيق ربه : **((اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ))** {سورة الفاتحة : 6 }، قيل له : **((ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ))** {سورة البقرة : 2 }، وهو مطلوبك وفيه أربك ، وهو الصراط المستقيم **((هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ))** القائلين : **((اهدِنَا الصِّرَاطَ))** والخائفين من حال الفريقين المغضوب عليهم والضالين ، فاتخذوا وقاية من العذاب خوف ربهم وتقواه بامتثال أمره ونهيه ، ثم أشير من الأعمال إلى ما يستحق سائرها من قبيلي البدنيات والماليات للصراط المستقيم » [2].

وفي ذلك أخبار بأن الصراط الذي سألوا الهداية إليه هو ما تضمنه الكتاب ، ويقول أبو حيان معلقا على رأي أستاذه ابن الزبير : « بهذا الذي ذكره الأستاذ تبين وجه ارتباط سورة البقرة بسورة الحمد ، وهذا القول أولى ؛ لأنه إشارة إلى شيء سبق ذكره لا إلى شيء لم يجر له ذكر » [3].

ويقول البقاعي : « أما مناسبة ما بعد ذلك – البقرة – للفاتحة فهو أنه لما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم ، الذي هو غير طريق الهالكين أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسؤول إنما هو في هذا الكتاب »[4].

ويربط محمود الآلوسي بين باطن طلب الهداية ، وبين باطن الحروف المقطعة : «في آخر الفاتحة طلب الهداية ، وكان وراء كل ظاهر باطن، افتتح هذه السورة – البقرة – بما بطن سره وخفي إلا من شاء الله تعالى أمره » [5].

الترابط بين سورة آل عمران وسورة البقرة :

اختتمت سورة البقرة بالتوحيد : **((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا**

---

[1] - تناسق الدرر في تناسب السور 65
[2] - البرهان في تناسب سور القرآن 78 ، 79 ، وينظر : تناسق الدرر في تناسب السور 45
[3] - البحر المحيط 1 / 159
[4] - نظم الدرر 1 / 32
[5] - روح المعاني 1 / 98

وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ . لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)) : {285 – 286 }. وافتتحت سورة آل عمران ببيان بعض صفات الله تعالى : **((اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ))** : {2}.

يقول ابن الزبير الغرناطي : « ما تبين في صدر السورة مما هو إحالة على ما ضمن في سورة البقرة بأسرها » [1]. أي إن سورة آل عمران افتتحت بالتوحيد ، وهو إحالة على كل ما جاء في سورة البقرة ، وأهم ما جاء فيها ما ذكر في خاتمتها من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله .

ويربط أبو حيان بين ختم سورة البقرة بالدعاء للنصر على الكافرين ، وبين ما ورد من افتتاح سورة آل عمران من التوكل على الله الواحد الأحد القيوم : « مناسبة هذه السورة لما قبلها واضحة لأنه ، لما ذكر آخر البقرة (**(أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)**) ناسب أن يذكر نصره تعالى على الكافرين ، حيث ناظرهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وردّ عليهم بالبراهين الساطعة ، والحجج القاطعة ، فقص تعالى أحوالهم ، وردّ عليهم في اعتقادهم، وذكر تنزيهه تعالى عما يقولون »[2].

ويربط البقاعي بين آية الكرسي التي يعتبرها خاتمة سورة البقرة ، وبين افتتاح سورة آل عمران بالتوحيد : « مناسبة هذا بالابتداء لآخر ما قبلها أنه لما كان آخر البقرة في الحقيقة آية الكرسي ، وما بعدها إنما هو بيان ؛ لأنها أوضحت أمر الدين بحيث لم يبق وراءها مرمى لمتعنت أو تعجب من حال من جادل في الإلهية أو استبعد شيئا من القدرة .. وتقرير أمر ملكه لما منه الإنفاق من السماوات والأرض ، والإخبار بإيمان الرسول وأتباعه بذلك ، وبأنهم لا يفرقون بين أحد من الرسل المشار إليهم في السورة .. لما كان ذلك على هذا الوجه ناسب هذا الاختتام غاية المناسبة ابتداء هذه السورة – آل عمران – بالذي وقع الإيمان به سبحانه وتعالى ووجهت الرغبات آخر تلك إليه » [3].

الترابط بين سورة النساء وسورة آل عمران :

اختتمت سورة آل عمران بالأمر بالتقوى : **((وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ**

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 84
[2] - البحر المحيط 2 / 389
[3] - نظم الدرر 2 / 4

تُفْلِحُونَ)) :{199 – 200} ، وهو خطاب للمؤمنين فناسب أن يوجه الخطاب في مفتتح سورة النساء : **((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً))** :{ 1 }.

يقول فخر الدين الرازي : « اعلم أن مطلع هذه السورة له نظم لطيف عجيب ؛ وذلك لأن أولئك النصارى الذين نازعوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كأنه قيل لهم : إما أن تنازعوه في معرفة الإله ، أو في النبوّة ، فإن كان النزاع في معرفة الإله وهو أنكم تثبتون له ولداً وأن محمداً لا يثبت له ولداً فالحق معه بالدلائل العقلية القطعية ، فإنه قد ثبت بالبرهان أنه حي قيوم، والحي القيوم يستحيل عقلاً أن يكون له ولد وإن كان النزاع في النبوّة ، فهذا أيضاً باطل؛ لأن بالطريق الذي عرفتم أن الله تعالى أنزل التوراة والإنجيل على موسى وعيسى فهو بعينه قائم في محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وما ذاك إلا بالمعجزة وهو حاصل ههنا ، فكيف يمكن منازعته في صحة النبوّة » [1] .

ويقول أبو حيان : « مناسبة هذه السورة لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أحوال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب والمؤمنين أولي الألباب ، ونبه تعالى بقوله : **((أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم))** {سورة آل عمران :195 }، على المجازاة . وأخبر أنَّ بعضهم من بعض في أصل التوالد ، نبه تعالى في أول هذه السورة على إيجاد الأصل ، وتفرَّع العالم الإنساني منه ليحث على التوافق والتواد والتعاطف وعدم الاختلاف ، ولينبه بذلك على أنّ أصل الجنس الإنساني كان عابداً لله مفرده بالتوحيد والتقوى ، طائعاً له ، فكذلك ينبغي أن تكون فروعه التي نشأت منه »[2].

ويرى السيوطي أن ختم سورة آل عمران بالأمر بالتقوى ، وافتتاح سورة النساء به وذلك « من أكبر وجوه المناسبات في ترتيب السور ، وهو نوع من أنواع البديع يسمى تشابه الأطراف » [3].

الترابط بين سورة المائدة وسورة النساء :

اختتمت سورة النساء بآية الكلالة ، وورّث الله تعالى أخوانه وأخوته الأشقاء ، **((يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))** :{ 176} ، فكان

---

[1] - التفسير الكبير 7 / 168

[2] - البحر المحيط 3 / 161 – 162

[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 76

البيان بهذا التشريع الذي قسم به هذا الميراث . وافتتح سورة المائدة بقوله تعالى : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ))** : {1 }، فختم سورة النساء بالتشريع . وافتتحت سورة المائدة بالتشريع تتميما لما بدأه في تلك فناسب ختام تلك افتتاح هذه .

يقول أبو حيان : « ومناسبة افتتاحها لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر استفتاءهم في الكلالة وأفتاهم فيها ، ذكر أنه يبين لهم كراهة الضلال »[1].

ويقول البقاعي : « لما أخبر تعالى في آخر سورة النساء أن اليهود لما نقضوا المواثيق التي أخذها عليهم حرم عليهم طيبات أحلت لهم من كثير من بهيمة الأنعام .. واستمر تعالى في هتك أستارهم ، وبيان عوارهم إلى أن ختم بآية في الإرث الذي افتتح بالإيصاء وختمها بأنه شامل العلم ، ناسب افتتاح هذه بأمر المؤمنين الذين أشتد تحذيره لهم منهم بالوفاء الذي جلّ مبناه القلب »[2].

الترابط بين سورة الأنعام وسورة المائدة :

اختتمت سورة المائدة بقوله تعالى : **((لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** :{ 120} ، ناسب ذلك بيان تقرير تفرده تعالى بهذا الملك ؛ لأنه تعالى خالق السماوات والأرض وما فيهن ، وناسب أن يبين سبب تلك الملكية ومنشأها . وافتتحت سورة الأنعام بقوله تعالى : **((الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ))** :{ 1} .

يقوا أبو حيان : « مناسبة افتتاح هذه السورة لآخر المائدة أنه تعالى لما ذكر ما قالته النصارى في عيسى وأمه من كونهما إلهين من دون الله ، وجرت تلك المحاورة وذكر ثواب ما للصادقين ، وأعقب ذلك بأن له ملك السموات والأرض وما فيهنّ وأنه قادر على كل شيء ذكر بأن الحمد له المستغرق جميع المحامد فلا يمكن أن يثبت معه شريك في الإلهية فيحمد ، ثم نبه على العلة المقتضية لجميع المحامد والمقتضية كون ملك السموات والأرض وما فيهنّ له بوصف **((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ))** لأن الموجد للشيء المنفرد باختراعه له الاستيلاء والسلطنة عليه ، ولما تقدّم قولهم في عيسى وكفرهم بذلك وذكر الصادقين وجزاءهم أعقب **((خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ))** **((وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ))** فكان ذلك مناسباً للكافر والصادق»[3].

ويقول البقاعي : « لما ختم تلك – سورة المائدة – بتحميد عيسى (عليه السلام) لجلاله في ذلك اليوم في ذلك الجمع ، ثم تحميد نفسه المقدس بشمول الملك والقدرة ، إذ الحمد هو

---

[1] - البحر المحيط 3 / 427
[2] - نظم الدرر 2 / 384
[3] - البحر المحيط 4 / 72

الوصف بالجميل ، افتتح سبحانه وتعالى هذه السورة بالإخبار بأن ذلك الحمد وغيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دائما قبل إيجاد الخلق وبعد إيجاده » [1].

ويقول السيوطي : « مناسبة هذه السورة لآخر المائدة : أنها افتتحت بالحمد ، وتلك ختمت بفصل القضاء وهما متلازمتان .. لما ذكر في آخر المائدة : **((لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ))** :{ 120} ، على سبيل الإجمال ، افتتح هذه السورة بشرح ذلك التفصيل . فبدأ بذكر : أنه خلق السماوات والأرض ، وضم إليه أنه جعل الظلمات والنور ، وهو بعض ما تضمنه قوله : (**وَمَا فِيهِنَّ**) في آخر المائدة . وضمن قوله : (**الْحَمْدُ لِلّهِ**) أول الأنعام أن له ملك جميع المحامد ، وهو بسط : **((لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ))** في آخر المائدة»[2].

الترابط بين سورة الأعراف وسورة الأنعام :

اختتمت سورة الأنعام بقوله تعالى : **((وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))** :{ 155} ، إلى قوله : **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ))** :{165 }. وافتتحت سورة الأعراف : **((كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ))** :{ 2} . وقد جاء في ختام سورة الأنعام الحديث عن الصراط المستقيم الذي يمثل الدين الخالص والمنهج الصافي الذي لا يقبل عند الله سواه ، إنه ملة إبراهيم (عليه السلام) حنيفا ، وما كان من المشركين **((قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ))** :{ 161 } .

وجاء في أول سورة الأعراف الأمر بإتباع الدين الحق ، والتحذير من الشرك واتخاذ الأولياء من دون الله تعالى : **((اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ))**:{ 3 }. وجاء في أواخر سورة الأنعام الحديث عن المعاد والمصير إلى الله تعالى: **((قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ))** : {164} .

وفي أول الأعراف بيان لما يتم في ذلك اليوم من سؤال للعباد ، وإنبائهم بما كان منهم ووزن لأعمالهم: **((فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ . فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ . وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))**:{ 6 – 8 }. وجاء في أواخر سورة الأنعام بيان أن الله سبحانه استخلف الناس في هذه الأرض ، وجعلهم أمما تتلاحق ، ويخلف بعضها بعضا : **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**

---

[1] - نظم الدرر 2 / 579

[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 83

لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ)): {165 }. وفي أوائل سورة الأعراف حديث عن الأرض وخلق آدم وتصويره وإسكانه هو وزوجه الجنة ، ثم الهبوط إلى الأرض للعيش فيها : **((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ))** :{ 11}.

يقول أبو حيان : « واعتلاق هذه السورة بما قبلها هو أنه لما ذكر تعالى قوله **((وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ))** واستطرد منه لما بعده وإلى قوله آخر السورة **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ))** وذكر ابتلاءهم فيما آتاهم وذلك لا يكون إلا بالتكاليف الشرعيّة ذكر ما يكون به التكاليف وهو الكتاب الإلهي وذكر الأمر بإتباعه » [1].

ويقول البقاعي : « لما ذكر سبحانه في آخر التي قبلها أنه أنزل إليهم كتاباً مباركاً ، وأمر بإتباعه وعلل إنزاله ، وذكر ما استتبعه ذلك مما لا بد منه في منهاج البلاغة وميدان البراعة ، وكان من جملته أن أمر المدعوين به ليس إلا إليه ، إن شاء هداهم وإن شاء أضلهم، واستمر فيما لا بد منه في تتميم ذلك إلى أن ختم السورة بما انعطف على ما افتتحت به ، فاشتد اعتناقه له حتى صارا كشيء واحد ، أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب وما تقدمه » [2].

ويقول السيوطي : « أما وجه ارتباط هذه السورة بآخر الأنعام فهو : أنه قد تقدم هناك: **((وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ))** :{ 153} . وقوله : **((وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ))** : {155 }. فافتتح هذه السورة أيضا بإتباع الكتاب في قوله : **((كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ))** :{ 2 } إلى : **((اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ))** :{ 3 } » [3].

الترابط بين سورة الأنفال وسورة الأعراف :

اختتمت سورة الأعراف : **((وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ . إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ))** :{ 205 – 206 }.

وافتتحت سورة الأنفال : **((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ))** : { 2} .

---

[1] - البحر المحيط 4 / 266

[2] - نظم الدرر 3 / 3

[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 88

ونهايات سورة الأعراف تتحدث في نهايات قصة موسى (عليه السلام) مع قومه . وبدايات سورة الأنفال تتحدث في طرف من قصة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع قومه .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما قص سبحانه على نبيه (عليه السلام) في سورة الأعراف أخبار الأمم ، وقطع المؤمنين من مجموع ذلك بأنه لا يكون الهدى إلا بسابقة السعادة لافتتاح السورة من ذكر الأشقياء بقصة بلعم ، وكلاهما كفر على علم ، ولم ينفعه ما قد كان حصل عليه ، ونبه تعالى عباده على الباب الذي أتي منه على بلعم .. فأشار سبحانه إلى أن إتباع الأهواء أصل كل ضلال ، نبهوا على ما فيه من الحزم من ترك الأهواء جملة»[1].

ويقول البقاعي : « أما مناسبة أولها لآخر تلك فقد تبين أن آخر الأعراف آخر قصة موسى (عليه السلام) المختتمة بقصة بلعام ، وإن ما بعد ذلك تتمات لما تقدم لا بد منها وتتمات للتتمات ، حتى كان آخر ذلك مدح من أهلهم لعنديته سبحانه بالإذعان وتمام الخضوع ، فلما أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية ، اقتضى ذلك سؤالا عن حال الذين عند المخاطب (صلى الله عليه وسلم) فأجيب بقوله : **(يَسْأَلُونَكَ)** أي الذين عند ربك هم الذين هزموا الكفار في الحقيقة ، فهم المستحقون للأنفال وليس لهم إليها التفات وإنما همهم العبادة والذين عندك إنما جعلتهم آلة ظاهرة ، ومع ذلك يسألون عن الأنفال » [2].

الترابط بين سورة التوبة وسورة الأنفال :

اختتمت سورة الأنفال : **((وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))** :{ 75 }. وافتتحت سورة التوبة : **((بَرَاءةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ))** :{ 1 }.

يقول البقاعي : « لما ذكر في آخر التي قبلها أمر العهد تارة بنبذه إلى من خيفت خيانته كائنا من كان .. وتارة بالتمسك به عند الأمن من ذلك .. وبين من يصلح للموالاة ومن لا يصلح ، وختمت بالإخبار بشمول علمه . ابتدئت هذه السورة بالأمر بالنبذ إلى ناس بأعيانهم نقضوا أو خيف منهم ذلك » [3].

الترابط بين سورة يونس وسورة التوبة :

اختتمت سورة التوبة : **((لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ . فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ))** :{ 128 – 129} . وافتتحت سورة يونس: **((أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى**

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 100
[2] - نظم الدرر 3 / 182 ، 183
[3] - م . ن 3 / 261

رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ)) :{ 2 }. فقد ختمت التوبة بذكر الرسول وابتدأت يونس به .

يقول أبو حيان : « مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما أنزل : **((وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ))** : {127} ، وذكر تكذيب المنافقين ثم قال : **((لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ))** وهو محمد (صلى الله عليه وسلم) أتبع ذلك بذكر الكتاب الذي أنزل ، والنبي الذي أرسل ، وأن ديدن الضالين وأحد متابعيهم ومشركيهم في التكذيب بالكتب الإلهية وبمن جاء بها ، ولما كان ذكر القرآن مقدّماً على ذكر الرسول في آخر السورة . جاء في أول هذه السورة كذلك فتقدم ذكر الكتاب على ذكر الرسول »[1].

ويرى البقاعي علاقة المناسبة بين مطلع سورة يونس وما قبلها في سورة الأعراف وسورة الأنفال وسورة التوبة : « لما قدم في أول الأعراف الحث على إبلاغ النصيحة بهذا الكتاب ، وفرغ مما اقتضاه السياق من التحذير من مثل وقائع الأولين ومصارع الماضين ، ومما استتبع ذلك من توصيل القول في ترجمة النبي الكريم مع قومه في أول أمره وأثنائه وآخره في سورتي الأنفال وبراءة ، وختم ذلك بأن سور الكتاب تزيد كل أحد مما هو ملائم له متهيئ لقبوله وتبعده عما هو منافر له بعيد من قبول ملاءمته .

أعاد سبحانه القول في شأن الكتاب الذي افتتح به الأعراف وختم به سورة التوبة ، وزاده وصف الحكمة ، وأشار بأداة البعد إلى أن رتبته فيها بعيدة المنال بديعة المثال فقال : **(تِلْكَ)** أي الآيات العظيمة جدا التي اشتملت عليها هذه السورة »[2].

الترابط بين سورة هود وسورة يونس :

اختتمت سورة يونس : **((وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ))**:{ 109 }، وهو إيماء بأن الله ناصر رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين على الذين كذبوا وعاندوا . وافتتحت سورة هود : **((الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ))** :{ 1 } ، لبيان صفة الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليبلغ دعوة ربه بالنذارة والبشارة . أول سورة هود تفصيل لخاتمة سورة يونس .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « تأمل تلاؤم صدر السورة لقوله : **((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ))**:{ 108 } . فاتبع قوله تعالى : **(قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ)** بقوله في

---

[1] - البحر المحيط 5 / 125

[2] - نظم الدرر 3 / 412

صدر سورة هود : ((**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ**)) : {1 }، فكأنه في معرض بيان الحق والموعظة وهدى ورحمة للمؤمنين » [1].

ويقول البقاعي : « لما ختمت السورة التي قبلها بالحث على إتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال . ابتدئت هذه بوصفه بما يرغب فيه » [2].

الترابط بين سورة يوسف وسورة هود :

اختتمت سورة هود : ((**وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ . وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ . وَلِلّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**)) : {120 – 123 } ، فالآية ترد الأمور إلى الله وحده سبحانه ، وأن الغيب لا يعلمه إلا هو ، والله جل جلاله لا يغفل عن شيء، فأمر بعبادته ، والتوكل عليه وحده دون غيره . وافتتحت سورة يوسف : ((**الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**)) :{ 1 – 3 } ، التركيز على الوحدانية من خلال أحسن القصص ، قصة يوسف ، وحسن توكل يعقوب ويوسف (عليهما السلام) على الله كما توكل هود (عليه السلام) من قبل ، وأحداث قصة يوسف (عليه السلام) ، فناسب ما ختم به سورة هود (**وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) .

يقول أبو حيان : « ووجه مناسبتها لما قبلها وارتباطها أن في آخر السورة التي قبلها : ((**وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**)) {سورة هود :120} ، وكان في تلك الأنباء المقصوصة فيها ما لاقى الأنبياء من قومهم ، فاتبع ذلك بقصة يوسف ، وما لاقاه من أخوته ، وما آلت إليه حاله من حسن العاقبة ، ليحصل للرسول صلى الله عليه وسلم التسلية الجامعة لما يلاقيه من أذى البعيد والقريب . وجاءت هذه القصة مطولة مستوفاة، فلذلك لم يتكرر في القرآن إلا ما أخبر به مؤمن آل فرعون في سورة غافر » [3].

ويقول البقاعي : « وأما مناسبة الأول للآخر فإنه تعالى لما أخبر في آخر تلك بتمام علمه وشمول قدرته . دل على ذلك أهل السبق من الفصاحة والفوت في البلاغة في أول هذه بما فعل في كلامه من أنه تعالى يقدر على أن يأتي بما تذهب الأفهام والعقول – على كرِّ الأزمان وتعاقب الدهور وتوالي الأيام وتمادي الليالي – في معناه كل مذهب وتطير كل مطار مع توفر

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 225
[2] - نظم الدرر 3 / 498
[3] - البحر المحيط 5 / 278

الدواعي واستجماع القوى ، ولا تقف من ذلك على أمر محقق ، ولا مراد معلوم ، وعلى أن يأتي بما يفهم بأوائل النظر أدنى معناه فهما يوثق بأنه مراد ، ثم لا يزال يبرز منه من دقائق المعاني كلما كرر التأمل ، وتغلغل الفهم إلى حد يعلم أنه معجوز عن كل ما فيه من جليل معانيه ولطيف مبانيه »[1].

الترابط بين سورة الرعد وسورة يوسف :

اختتمت سورة يوسف : **((وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ . وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ . أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ))** :{ 105 – 107}. وافتتحت سورة الرعد: **((اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ . وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ))** :{ 2 – 4 }.

يقول ابن الزبير الغرناطي : « هذه السورة – الرعد – تفصيل لمجمل قوله سبحانه في خاتمة يوسف (عليه السلام) »[2].

ويقول البقاعي : « لما ختم التي قبلها بالدليل على حقيقة القرآن ، وأنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون ، بعد أن أشار إلى كثرة ما يحسونه من آياته في السماوات والأرض مع الإعراض . ابتدأ هذه بذلك على طريق اللف والنشر المشوش ؛ لأنه أفصح للبداءة في نشره بالأقرب فالأقرب »[3].

ويقول السيوطي : « ذكر الآيات السمائية والأرضية مجملة . ثم فصل في مطلع هذه السورة »[4].

الترابط بين سورة إبراهيم وسورة الرعد :

اختتمت سورة الرعد : **((وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ . يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ**

---

[1] - نظم الدرر 4 / 4
[2] - البرهان في تناسب سور القرآن 115
[3] - نظم الدرر 4 / 117
[4] - تناسق الدرر في تناسب السور 95

وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ . وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ . أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلّهِ الْمَكْرُ جَمِيعاً يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ . وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)) :{ 37 – 43 } . وافتتحت سورة إبراهيم : **((الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ))** {1}.

يقول أبو حيان : « ارتباط أول هذه السورة بالسورة قبلها واضح جداً ، لأنه ذكر فيها : **((وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً))** : {31 } ثم :**((وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً))** :{ 37 }، ثم : **((وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ))** :{43} ، فناسب هذا قوله **((الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ))** . وأيضاً فإنهم لما قالوا على سبيل الاقتراح **((لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ))** :{ 27} ، وقيل له : **((قُلْ إِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ))** :{ 27 } . أنزل **((الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ))** ، كأنه قيل : أو لم يكفهم من الآيات كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات هي الضلال ، إلى النور وهو الهدى » [1].

ويقول البقاعي : « لما ختم الرعد بأنه لا شهادة تكافئ شهادة من عنده علم الكتاب . إشارة إلى أن الكتاب هو الشاهد بإعجازه ، ببلاغته ، وما حوى من فنون العلوم » [2].

الترابط بين سورة الحجر وسورة إبراهيم :

اختتمت سورة إبراهيم : **((وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ . فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ . يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ . سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ . لِيَجْزِي اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ))** :{ 46 – 52 }. وافتتحت سورة الحجر : **((الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ . رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ))** : {1 – 2 }.

يقول أبو حيان : « ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما ذكر في آخر السورة قبلها أشياء من أحوال القيامة من تبديل السموات والأرض ، وأحوال الكفار في ذلك اليوم ، وأنّ ما أتى به

---

[1] - البحر المحيط 5 / 392

[2] - نظم الدرر 4 / 165

هو على حسب التبليغ والإنذار . ابتدأ في هذه السورة بذكر القرآن الذي هو بلاغ للناس وأحوال الكفرة ، وودادتهم لو كانوا مسلمين » [1].

ويقول البقاعي : « لما ختم التي قبلها بعنوان الكتاب . ابتدأ هذه بشرح ذلك العنوان ، وأوله وصفه بأنه جامع ، والخير كله في الجمع والشر كله في الفرقة » [2].

ويقول السيوطي : « ظهر لي وجه اتصال أول هذه السورة بآخر سورة إبراهيم فإنه تعالى لما قال هناك في وصف يوم القيامة : **((وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ . سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ))** : {48 – 50} . قال هنا : **((رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ))** :{ 2 } . فأخبر أن المجرمين المذكورين إذا طال مكثهم في النار ورأوا عصاة المؤمنين الموحدين قد أخرجوا منها ، تمنوا أن لو كانوا في الدنيا مسلمين . وذلك وجه حسن في الربط مع اختتام آخر تلك بوصف الكتاب وافتتاح هذه به ، وذلك من تشابه الأطراف »[3].

الترابط بين سورة النحل وسورة الحجر :

اختتمت سورة الحجر : **((فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ . الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللّهِ إِلـهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ))** :{ 92 – 99 } . وافتتحت سورة النحل : **((أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ))** : {1 – 2 }.

يقول أبو حيان : « ووجه ارتباطها بما قبلها أنه تعالى لما قال : **((فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ))** ، كان ذلك تنبيهاً على حشرهم يوم القيامة ، وسؤالهم عما أجرموه في دار الدنيا ، فقيل : **((أَتَى أَمْرُ اللّهِ))** ، وهو يوم القيامة » [4].

ويقول البقاعي : « لما ختم الحجر بالإشارة إلى إتيان اليقين ، وهو صالح لموت الكل، ولكشف الغطاء بإتيان ما يوعدون مما يستعجلون به استهزاء من العذاب في الآخرة بعد ما يلقون في الدنيا ، ابتدأ هذه بمثل ذلك سواء ، غير أنه ختم تلك باسم الرب المفهم للإحسان لطفاً بالمخاطب . وافتتح هذه باسم الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء لأن ذلك أليق بمقام التهديد ،

---

[1] - البحر المحيط 5 / 432
[2] - نظم الدرر 4 / 199
[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 97
[4] - البحر المحيط 5 / 458

ولما ستعرفه من المعاني المتنوعة في أثناء السورة ، وسيكرر هذا الاسم فيها تكريراً تعلم منه صحة هذه الدعوى ، وعبر عن الآتي بالماضي إشارة إلى تحققه تحقق ما وقع ومضى ، وإلى أن كل آتٍ ولا بد قريب » [1].

ويقول السيوطي : « وجه وضعها بعد سورة الحجر أن آخرها شديد الالتئام بأول هذه فإن في آخر تلك : **((وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ))** ، الذي هو مفسر بالموت ، ظاهر المناسبة لقوله هنا : **((أَتَى أَمْرُ اللّهِ))** . أنظر كيف جاء في المقدمة بيأتيك اليقين ، وفي المتأخر بلفظ الماضي ؛ لأن المستقبل سابق على الماضي » [2].

الترابط بين سورة الإسراء وسورة النحل :

ورد في سورة النحل : **((إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ . وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ . وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ . إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ))**: {120 – 128} . افتتحت سورة الإسراء : **((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ . وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً))** : {1 – 2 }.

يقول أبو حيان : « ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه تعالى لما أمره بالصبر ونهاه عن الحزن عليهم وأن يضيق صدره من مكرهم ، وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب والسحر والشعر وغير ذلك مما رموه به . أعقب تعالى ذلك بذكر شرفه وفضله واحتفائه به وعلو منزلته عنده » [3].

ويقول البقاعي : « لما كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص ، والاتصاف بالكمال المنتج ؛ لأنه قادر على الأمور الهائلة ، ومنها جعل الساعة كلمح البصر أو أقرب ، وختمها بعد تفضيل إبراهيم (عليه السلام) والأمر بإتباعه بالإشارة إلى نصر

---

[1] - نظم الدرر 4 / 243

[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 97

[3] - البحر المحيط 6 / 5

أوليائه – مع ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم – على أعدائه على كثرتهم وقوتهم ، وكان ذلك من خوارق العادات ونواقص المطردات ، وأمرهم بالتأني والإحسان .

افتتح هذه بتحقيق ما أشار الختم إليه بما خرقه من العادة في الإسراء ، وتنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك ، تنبيهاً على أنه قادر على أن يفعل الأمور العظيمة الكثيرة الشاقة في أسرع وقت ، دفعاً لما قد يتوهم أو يتعنت به من يسمع نهيه عن الاستعجال وأمره بالصبر ، وبياناً لأنه مع المتقي المحسن ، وتنويهاً بأمر محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وإعلاماً بأنه رأس المحسنين وأعلاهم رتبة وأعظمهم منزلة ، بما آتاه من الخصائص التي منها المقام المحمود ، وتمثيلاً لما أخبر به من أمر الساعة » [1].

ويقول السيوطي : « وقد ظهر لي في وجه اتصالها بسورة النحل : أنه سبحانه لما قال في آخر النحل : **((إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ))** . فسّر في هذه شريعة أهل السبت وشأنهم ، فذكر فيها جميع ما شرع لهم في التوراة » [2].

الترابط بين سورة الكهف وسورة الإسراء :

اختتمت سورة الإسراء : **((وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً . قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً . وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً . قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً . وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً))** :{ 105 – 111} .

افتتحت سورة الكهف : **((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا. قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً. مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً))** : {1 – 3 } .

يقول أبو حيان : « مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما قال : **((وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ))** ، وذكر المؤمنين به أهل العلم وأنه يزيدهم خشوعاً ، وأنه تعالى أمر بالحمد له وأنه لم يتخذ ولداً أمره تعالى بحمده على إنزال هذا الكتاب السالم من العوج القيم على كل الكتب لمنذر من اتخذ ولداً ، المبشر المؤمنين بالأجر الحسن » [3] .

---

[1] - نظم الدرر 4 / 328

[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 99

[3] - البحر المحيط 6 / 93

ويقول البقاعي : « لما ختمت تلك بأمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالحمد عن التنزه عن صفات النقص ؛ لكونه أعلم الخلق بذلك . بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص ، منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون وعجز عن معارضته الأولون والآخرون، الذي هو الدليل على ما ختمت به تلك من العظمة والكمال ، والتنزه والجلال ، فقال ملقنا لعباده حمده ، معلما لهم كيف يثنون عليه ، مفقها لهم في اختلاف العبارات باختلاف المقامات » [1].

ويذكر السيوطي أن سورة الإسراء ختمت بالتحميد في قوله تعالى : **((وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً))** : { 111} . وبدئت الكهف بقوله تعالى : **((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا))** : { 1 } ، « وذلك من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف » [2].

الترابط بين سورة طه وسورة مريم :

اختتمت سورة مريم : **((فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً))** :{ 97 – 98} . افتتحت سورة طه : **((طه . مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى))** {1 – 3}

يقول أبو حيان : « مناسبة هذه السورة لآخر ما قبلها أنه تعالى لما ذكر تيسير القرآن بلسان الرسول (صلى الله عليه وسلم) أي بلغته وكان فيما علل به قوله **((لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً))** . أكد ذلك بقوله **((مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى))** ، والتذكرة هي البشارة والنذارة ، وإن ما ادعاه المشركون من إنزاله للشقاء ليس كذلك بل إنما نزل تذكرة » [3].

وربط البقاعي بين سورة طه وسورة مريم برابطة صوتية ، فقال : « لما كان ختام سورة مريم حاملا على الخوف من أن تهلك أمته (صلى الله عليه وسلم) ، قبل ظهور أمره الذي أمر الله به واشتهار دعوته ، لقلة من آمن به منهم ، ابتدأه سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذي هو من رأس اللسان وأصول الثنيتين العليين إلى قوة أمره وانتشاره وعلوه وكثرة أتباعه؛ لأن هذا المخرج أكثر المخارج حروفا وأشدها حركة ، وأوسعها انتشارا ، وبما فيها من صفات الجهر والإطباق والاستعلاء والقلقلة إلى انقلاب ما هو فيه من الإسرار جهرا ، وما هو فيه من

---

[1] - نظم الدرر 4 / 441
[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 99
[3] - البحر المحيط 6 / 211 – 212

الرقة فخامة ؛ لأنها من حروف التفخيم . وأنه يستعلي أمره وينتشر ذكره ، حتى يطبق جميع الوجود ويقلقل سائر الأمم » [1].

الترابط بين سورة الأنبياء وسورة طه :

اختتمت سورة طه : **((قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى))** :{ 135 } . وافتتحت سورة الأنبياء : **((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ . مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ))**:{ 1 – 2 }.

يقول أبو حيان : « مناسبة هذه السورة لما قبلها أنه لما ذكر **((قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا))** ، قال مشركو قريش : محمد يهددنا بالمعاد والجزاء على الأعمال وليس بصحيح ، وإن صح ففيه بعد . فانزل الله تعالى : **((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ))** » [2].

ويقول البقاعي : « لما ختمت طه بإنذارهم بأنهم سيعلمون الشقي والسعيد ، وكان هذا العلم تارة يكون في الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان ، وتارة بمعانية ظهور الدين وتارة بإحلال العذاب بإزهاق الروح بقتل أو غيره ، وتارة ببعثها يوم الدين ، افتتحت هذه بأجلى ذلك وهو اليوم الذي يتم فيه كشف الغطاء فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين وهو يوم الحساب » [3].

ويقول السيوطي : « ظهر لي في اتصالها بآخر طه : أنه سبحانه لما قال : **((قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا))** :{ 135 }. وقال في مطلع هذه : **((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ))** :{ 1 } ، إشارة إلى قرب الأجل ، ودنو الأمل المنتظر » [4].

الترابط بين سورة الحج وسورة الأنبياء :

اختتمت سورة الأنبياء : **((حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ . إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ . إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ . لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ . لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ))**:{ 96 - 103 }.

وافتتحت سورة الحج : **((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ))**:{ 1 } .

---

[1] - نظم الدرر 5 / 3

[2] - البحر المحيط 6 / 274

[3] - نظم الدرر 5 / 63

[4] - تناسق الدرر في تناسب السور 103

يقول أبو حيان : « مناسبة أول هذه السورة لما قبلها أنه ذكر تعالى حال الأشقياء والسعداء وذكر الفزع الأكبر وهو ما يكون يوم القيامة ، وكان مشركو مكة قد أنكروا المعاد وكذّبوه بسبب تأخر العذاب عنهم . نزلت هذه السورة تحذيراً لهم وتخويفاً لما انطوت عليه من ذكر زلزلة الساعة وشدّة هولها ، وذكر ما أعد لمنكرها وتنبيههم على البعث بتطويرهم في خلقهم ، وبهمود الأرض واهتزازها بعد بالنبات » [1].

ويقول البقاعي : « لما ختمت التي قبلها بالترهيب من الفزع الأكبر ، وطي السماء وإتيان ما يوعدون ، والدينونة بما يستحقون ، وكان أعظم ذلك يوم الدين ، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم » [2].

ويقول السيوطي : « وجه اتصالها بسورة الأنبياء : أنه ختمها بوصف الساعة في قوله: **((وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا))** . وافتتح هذه بذلك ، فقال: **((إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى))** » [3].

الترابط بين سورة المؤمنين وسورة الحج :

اختتمت سورة الحج: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))** :{ 77 } . وافتتحت سورة المؤمنين : **((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ))** :{ 1} .

يقول أبو حيان الأندلسي : « مناسبتها لآخر السورة ما قبلها ظاهرة ؛ لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله (**(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا)**) الآية وفيها (**(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**) وذلك على سبيل الترجية فناسب ذلك قوله **((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ))** ، إخباراً بحصول ما كانوا رجوه من الفَلاح » [4].

ويقول البقاعي : « لما ختمت الحج بنداء الذين آمنوا وأمرهم بأمور الدين خاصة وعامة ، وختم بالصلاة والزكاة ، والعصمة به سبحانه موصوفا بما ذكر ، أوجب ذلك توقع المنادين كل خير . فابتدأت هذه بما يثمر الاعتصام به سبحانه في الصلاة وغيرها من خلال الدين في الدارين » [5].

الترابط بين سورة النور وسورة المؤمنين :

---

[1] - البحر المحيط 6 / 324
[2] - نظم الدرر 5 / 129
[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 103
[4] - البحر المحيط 6 / 365
[5] - نظم الدرر 5 / 182

اختتمت سورة المؤمنين : **((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ))**:{115}. افتتحت سورة النور : **((سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))** :{ 1} .

يقول أبو حيان : « لما ذكر تعالي مشركي قريش ولهم أعمال من دون ذلك أي أعمال سيئة هم لها عاملون ، واستطرد بعد ذلك إلى أحوالهم ، واتخاذهم الولد والشريك ، وإلى مآلهم في النار كان من أعمالهم السيئة أنه كان لهم جوارٍ بغايا يستحسنون عليهن ويأكلون من كسبهم من الزنا . فأنزل الله أول هذه السورة تغليظاً في أمر الزنا وكان فيما ذكر وكأنه لا يصح ناس من المسلمين هموا بنكاحهن » [1].

ويقول البقاعي : « لما تقدم في التي قبلها تحريم الزنى والحث على الصيانة ، وختم تلك الآية بذكر الجنة المتضمن للبعث استدل عليه ، وذكر ما يتبعه من تهديد ، وعمل إلى أن فرغت السورة وأخبر في آخرها بتبكيت المعاندين يوم الندم .. فابتدأ سبحانه هذه السورة بأنه منّ على المخاطبين ببيان ما خلقوا له من الأحكام ؛ لأنهم لم يخلقوا سدى ، بل لتكاليف تعبدهم بها ترفع التنازع وتحسم مادة الشر » [2].

الترابط بين سورة الفرقان وسورة النور :

اختتمت سورة النور : **((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))** :{ 62 – 64 }. وافتتحت سورة الفرقان : **((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً))** :{ 1 }.

يقول أبو حيان الأندلسي : « مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه لما ذكر وجوب مبايعة المؤمنين للرسول وأنهم إذا كانوا معه في أمر مهم توقف انفصال واحد منهم على إذنه وحذر من يخالف أمره وذكر أن له ملك السموات والأرض وأنه تعالى عالم بما هم عليه ومجازيهم على ذلك ، فكان ذلك غاية في التحذير والإنذار . ناسب أن يفتتح هذه السورة بأنه

---

[1] - البحر المحيط 6 / 392
[2] - نظم الدرر 5 / 229

تعالى منزه في صفاته عن النقائص كثير الخير ، ومن خيره أنه **((نَزَّلَ الْفُرْقَانَ))** على رسوله منذراً لهم فكان في ذلك أطماع في خيره وتحذير من عقابه » [1].

ويقول البقاعي : « لما ختم سبحانه تلك بسعة الملك ، وشمول العلم ، وتعظيم الرسول، والتهديد لمن تجاوز الحد . افتتح هذه بمثل ذلك على وجه – مع كونه أضخم منه – هو برهان عليه » [2].

الترابط بين سورة الشعراء وسورة الفرقان :

اختتمت سورة الفرقان : **((قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً))** : {77 }. وافتتحت سورة الشعراء : **((لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ . وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))**{ 3 – 6}

يقول أبو حيان : « مناسبة أولها لآخر ما قبلها أنه قال تعالى : ((**فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً**)) ، ذكر تلهف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على كونهم لم يؤمنوا ، وكونهم كذبوا بالحق ، لما جاءهم . ولما أوعدهم في آخر السورة بقوله : ((**فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً**)) أوعدهم في أول هذه فقال في إثر إخباره بتكذيبهم ((**فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاء مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون**))» [3].

الترابط بين سورة النمل وسورة الشعراء :

لما ورد في أواخر سورة الشعراء : **((وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ . إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ))** : {210 – 212 }. افتتحت سورة النمل : **((طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ . هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ))** : {1 – 2 }.

يقول أبو حيان : « مناسبة أول السورة لآخر ما قبلها واضحة ، لأنه قال : ((**وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ**)) . وقال هنا : **((طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ))** : أي الذي هو تنزيل رب العالمين » [4].

ويقول البقاعي : « لما ختم التي قبلها بتحقيق أمر القرآن ، وأنه من عند الله ، ونفي الشبه عنه ، وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول فيه بالنسبة إلى السحر والأضغاث والافتراء والشعر ، الناشئ كل ذلك عن أحوال الشياطين . وابتدأ هذه بالإشارة إلى أنه من الكلام القديم المسموع المطهر عن وصمة تلحقه من شيء من ذلك ، تلاه بوصفه بأنه كما أنه منظوم

---

[1] - البحر المحيط 6 / 440
[2] - نظم الدرر 5 / 291
[3] - البحر المحيط 7 / 5
[4] - البحر المحيط 7 / 51

مجموع لفظا ومعنى لا فصم فيه ولا خلل ولا وصم ولا زلل ، فهو جامع لأصول الدين ناشر لفروعه » [1].

الترابط بين سورة القصص وسورة النمل :

اختتمت سورة النمل : **((وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ . وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ))** :{ 92 – 93 } . وافتتحت سورة القصص : **((طسم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ . نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ))** :{ 1 – 3 }.

يقول أبو حيان : « مناسبة أول هذه السورة لآخر السورة قبلها أنه أمره تعالى بحمده، ثم قال : **((سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ))** ، وكان مما فسر به آياته تعالى معجزات الرسول ، وأنه أضافها تعالى إليه ، إذ كان هو المخبر بها على قدمه فقال : **((تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ))** ، إذ كان الكتاب هو أعظم المعجزات وأكبر الآيات البينات » [2].

ويقول البقاعي : « لما ختم تلك بالوعد المؤكد بأنه يظهر آياته فتعرف ، وأنه ليس بغافل عن شيء ، تهديدا للظالم ، وتثبيتا للعالم ، وكان من الأول ما يوحيه في هذه الأساليب المعجزة من خفايا علوم أهل الكتاب ، فلا يقدرون على رده ، ومن الثاني ما صنع بفرعون وآله . قال أول هذه (طسم) » [3].

الترابط بين سورة العنكبوت وسورة القصص :

اختتمت سورة القصص : **((إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ . وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))** :{ 85 – 88 } . وافتتحت سورة العنكبوت : **((الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ))** :{ 1 – 2 } .

يقول فخر الدين الرازي : « تعلق أول هذه السورة بما قبلها ، وفيه وجوه الأول : لما قال الله تعالى قبل هذه السورة : **((إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ))** :{ 85} ، وكان المراد منه أن يرده إلى مكة ظاهراً غالباً على الكفار ظافراً طالباً للثأر ، وكان فيه احتمال مشاق القتال صعب على البعض ذلك فقال الله تعالى : **((الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا))** ولا يؤمروا بالجهاد . الوجه الثاني : هو أنه تعالى لما قال في أواخر السورة

---

[1] - نظم الدرر 5 / 405 ، 406
[2] - البحر المحيط 7 / 99
[3] - نظم الدرر 5 / 460

المتقدمة **((وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ))** ، وكان في الدعاء إليه الطعان والحراب والضراب ؛ لأن النبي (عليه السلام) وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد إن لم يؤمن الكفار بمجرد الدعاء فشق على البعض ذلك فقال : **((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا))** . الوجه الثالث : هو أنه تعالى لما قال في آخر السورة المتقدمة ((**هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**)) ذكر بعده ما يبطل قول المنكرين للحشر فقال : **((لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))** ، يعني ليس كل شيء هالكاً من غير رجوع بل كل هالك وله رجوع إلى الله » [1].

ويقول البقاعي : « لما ختم السورة الماضية بالحث على العمل للدار الآخرة ، وأن كل أحد من محسن ومسيء مجزي بعمله ، وبالإخبار بأنه سبحانه عالم بالسر والعلن ، وبالأمر بالاجتهاد في الدعاء إليه ، وقصر الهمم عليه وإن أدى ذلك إلى الملال وذهاب النفس والأموال .. قال أول هذه (الم) » [2] .

الترابط بين سورة الروم وسورة العنكبوت :

اختتمت سورة العنكبوت : **((وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ))** :{ 69 } . وافتتحت سورة الروم : **((الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ))** : { 1 – 4 } .

يقول فخر الدين الرازي : « وجه تعلق أول هذه السورة بما قبلها يتبين منه سبب النزول ، فنقول لما قال الله تعالى في السورة المتقدمة **((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ))** {سورة العنكبوت : 46 } ، وكان يجادل المشركين بنسبتهم إلى عدم العقل .. وكان أهل الكتاب يوافقون النبي في الإله كما قال : **((وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ))**{سورة العنكبوت: 46 } وكانوا يؤمنون بكثير مما يقوله بل كثير منهم كانوا مؤمنين به كما قال : **((فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ))** {سورة العنكبوت : 47} ، أي أبغض المشركون أهل الكتاب وتركوا مراجعتهم وكانوا من قبل يراجعونهم في الأمور ، فلما وقعت الكرة عليهم حين قاتلهم الفرس المجوس فرح المشركون بذلك . فأنزل الله تعالى هذه الآيات لبيان أن الغلبة لا تدل على الحق بل الله تعالى قد يريد مزيد ثواب في المحب فيبتليه ويسلط عليه الأعادي ، وقد يختار تعجيل العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر قبل يوم الميعاد للمعادي » [3].

ويقول ابن الزبير الغرناطي : « لما عنف سبحانه أهل مكة ونعى عليهم قبح صنيعهم في التغافل عن الاعتبار بحالهم وكونهم مع قلة عددهم قد منع الله بلدهم عن قاصد نهبه ، وكف

---

[1] - التفسير الكبير : 25 / 26

[2] - نظم الدرر 5 / 533

[3] - التفسير الكبير 25 / 96

أيدي العتاة والمرتدين عنهم مع تعاور أيدي المنتهبين من حولهم ، وتكّرر ذلك واطراده صونا منه لحرمه وبيته فقال تعالى : **((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ))** {سورة العنكبوت : 67 } . أعقبه بذكر طائفة هم أكثر منهم وأشد قوة وأوسع بلادا ، وقد أيد غيرهم ولم يغن عنهم انتشارهم وكثرتهم فقال : **((الم . غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ))** ، فذكر تعالى غلبة غيرهم لهم ، وأنهم ستكون لهم كرة ثم يغلبون ، وما ذلك إلا بنصر الله من شاء من عبيده ينصر من يشاء » [1].

ويقول البقاعي : « لما أشير في آخر تلك بأمر الحرم إلى أنه سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وختم بمدح المجاهدين فيه ، وأنه سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وختم بمدح المجاهدين فيه ، وأنه سبحانه لا يزال مع المحسنين ، وكانت قد افتتحت بأمر المفتونين » [2].

الترابط بين سورة لقمان وسورة الروم :

اختتمت سورة الروم : **((وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ . كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ . فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ))** :{ 58 – 60 }. وافتتحت سورة لقمان : **((الم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ))** : {1 – 2 } .

يقول فخر الدين الرازي : « وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر ما قبلها هو أن الله تعالى لما قال : **((وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ))** ، إشارة إلى كونه معجزة وقال : **((وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ))** ، إشارة إلى أنهم يكفرون بالآيات . بيّن ذلك بقوله : **((الم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ))** ، ولم يؤمنوا بها ، وإلى هذا أشار بعد هذا بقوله : **((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً))** {سورة لقمان : 7} » [3].

ووافقه في هذا التوجيه أبو حيان : « مناسبتها لما قبلها أنه قال تعالى : **((وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ))** ، فأشار إلى ذلك بقوله : **((الم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ))** ، وكان في آخر تلك : **((وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ))** وهنا : **((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً))** ، وتلك إشارة إلى البعيد ، فاحتمل أن يكون ذلك لبعد غايته وعلو شأنه » [4].

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 146 – 147
[2] - نظم الدرر 5 / 582
[3] - التفسير الكبير : 25 / 140
[4] - البحر المحيط 7 / 178

ويقول البقاعي : « لما ختم الروم بالحث على العلم ، وهو ما تضمنه هذا الكتاب العظيم ، والأمر بالصبر والتمسك بما فيه من وعد ، والنهي عن الإطماع لأهل الاستخفاف في المقاربة لهم في شيء من الأوصاف ، وكان ذلك هو الحكمة ، قال أول هذه : (آلم) » [1].

الترابط بين سورة السجدة وسورة لقمان :

تظهر صلة سورة السجدة بسورة لقمان من ناحية اشتمال كل منهما على أدلة التوحيد وهو الأصل الأول للعقيدة ، وبعد أن ذكر الله تعالى في سورة لقمان الأصل الثاني وهو الحشر أو المعاد ، وختم تلك السورة بهذين الأصلين : **((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ . إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))** : {33 – 34 } . وبدأ سورة السجدة ببيان الأصل الثالث وهو الرسالة أو النبوة : **((الم . تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ))** :{ 1 – 3 } .

يقول أبو حيان : « لما ذكر تعالى ، فيما قبلها ، دلائل التوحيد من بدء الخلق ، وهو الأصل الأول؛ ثم ذكر المعاد والحشر، وهو الأصل الثاني ، وختم به السورة . ذكر في بدء هذه السورة الأصل الثالث ، وهو تبيين الرسالة » [2].

ويقول البقاعي : « لما كان المقصود في التي قبلها إثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب الذي هو بيان كل شيء الملزوم لتمام العلم وكمال الخبرة ، الذي ختمت به بعد أن أخبر أنه سبحانه مختص بعلم المفاتيح ، بعد أن أنذر بأمر الساعة فثبت بذلك ، وما قبله أنه ما أثبت شيئا فقدر غيره من أهل الكتاب ولا غيرهم على نفيه ، ولا نفى شيئا دقيقها وجليلها إلا يعلمه سبحانه وتعالى . وأجل ذلك إنزال هذا الذكر الحكيم الذي فيه إثبات هذه العلوم مع شهادة العجز عن معارضته له بأنه من عند الله » [3].

الترابط بين سورة الأحزاب وسورة السجدة :

اختتمت سورة السجدة : **((وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ . فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ))** :{ 28 – 30 } . وافتتحت سورة الأحزاب : **((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً))** :{ 1} .

---

[1] - نظم الدرر 6 / 3 – 4
[2] - البحر المحيط 7 / 191
[3] - نظم الدرر 6 / 42

يقول أبو حيان : « مناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة ، وهو أنه حكى أنهم يستعجلون الفتح ، وهو الفصل بينهم ، وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم . فأمره في أول هذه السورة بتقوى الله ، ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به . **((إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً))** ، عليماً بالصواب من الخطأ ، والمصلحة من المفسدة ، حكيماً لا يضع الأشياء إلا مواضعها منوطة بالحكمة ، أو عليماً حيث أمر بتقواه ، وأنها تكون عن صميم القلب ، حكيماً حيث نهى عن طاعة الكفار والمنافقين » [1].

ويقول البقاعي : « لما ختمت التي قبلها بالإعراض عن الكافرين ، وانتظار ما يحكم به فيهم رب العالمين ، بعد تحقيق أن تنزل الكتاب من عند المدبر لهذا الخلق كله ، والنهي عن الشك في لقائه . افتتح هذه بالأمر بأساس ذلك . والنهي عن طاعة المخلفين مجاهرين كانوا أو مساترين ، والأمر بإتباع الوحي الذي أعظمه الكتاب تنبيها على أن الإعراض إنما يكون طاعة لله مع مراعاة تقواه »[2].

الترابط بين سورة سبأ وسورة السجدة :

اختتمت سورة الأحزاب : **((لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً))** :{ 73 }. وافتتحت سورة سبأ : **((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ))** :{ 1 } . إهلاك الظالمين نعمة تحتاج إلى حمد وشكر .

الترابط بين سورة فاطر وسورة سبأ :

اختتمت سورة سبأ : **((وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ . وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ . وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ . وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ))**{51 – 54 } . وافتتحت سورة فاطر : **((الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** :{1} .

يقول أبو حيان : « ولما ذكر تعالى في آخر السورة التي قبلها هلاك المشركين أعداء المؤمنين ، وأنزلهم منازل العذاب ، تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه ووصفه بعظيم آلائه ... فأول هذه السورة متصل بآخر ما مضى ، لأن كما فعل بأشياعهم من قبل بيان

---

[1] - البحر المحيط 7 / 206

[2] - نظم الدرر 6 / 67

لانقطاع رجاء من كان في شك مريب . ولما ذكر حالهم ذكر حال المؤمن وبشره بإرسال الملائكة إليهم مبشرين ، وأنه يفتح لهم أبواب الرحمة » [1].

ويقول البقاعي : « ولما أثبت سبحانه في التي قبلها الحشر الذي هو الإيجاد الثاني ، ودل عليه بجزئيات من القدرة على أشياء في الكون ، إلى أن ختم بأخذ الكفار أخذاً اضطرهم إلى الإيمان بظهور الحمد لهم أتم الظهور ، وبالحيلولة بينهم وبين جميع ما يشتهون كما كانوا متعوا في الدنيا بأغلب ما يشتهون من كثرة الأموال والأولاد ، وما مع ذلك من الراحة من أكثر الأنكاد ، وكان الحمد يكون بالمنع والإعدام ، كما يكون بالإعطاء والإنعام ، قال تعالى ما هو نتيجة ذلك : (الحمد) أي الإحاطة بأوصاف الكمال إعداماً وإيجاداً (لله) أي وحده » [2].

الترابط بين سورة يس وسورة فاطر :

الرابطة قوية وواضحة بين افتتاح سورة يس واختتام سورة فاطر . جاء في نهاية سورة فاطر : **((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً . وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً))** :{ 44 – 45 } . وجاء في أول سورة يس : **((يس . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ))** :{ 1 – 2 } .

يقول البقاعي : « ولما كان قد ثبت في سورة الملائكة – فاطر – أنه سبحانه الملك الأعلى ، لما ثبت له من تمام القدرة وشمول العلم ، وكان من أجلّ ثمرات الملك إرسال الرسل إلى الرعايا بأوامر الملك وردهم عما هم عليه مما دعتهم إليه النفوس ، وقادتهم إليه الشهوات والحظوظ ، إلى ما يفتحه لهم من الكرم ، ويبصرهم به من الحكم ، وكانت الرسالة أحد الأصول الثلاثة التي تنقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان ، وكانت هي المنظور إليها أولاً لأنها السبب في الأصلين الآخرين ، وكانوا قد ردوا رسالته نفوراً واستكباراً . قال مقدماً لها تقديم السبب على مسببه على وجه التأكيد البليغ مع ضمير الخطاب الذي لا يحتمل لبساً : **((إنك لمن المرسلين))** أي الذين حكمت عقولهم على دواعي نفوسهم ، فصاروا – بما وهبهم الله القوة النورانية – كالملائكة الذين قدم في السورة الماضية أنهم رسله وفي عدادهم بما تخلقوا به من أوامره ونواهيه وجميع ما يرتضيه » [3].

الترابط بين سورة الصافات وسورة يس :

---

[1] - البحر المحيط 7 / 284
[2] - نظم الدرر 6 / 200
[3] - نظم الدرر 6 / 243

اختتمت سورة يس ببيان قرته تعالى على المعاد : **((وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ . أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ . إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))** :{ 78 – 83 }. وافتتحت سورة الصافات بذكر الدليل على ذلك : **((وَالصَّافَّاتِ صَفّاً . فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً . إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ))** :{ 1 – 4 } .

يقول أبو حيان : « مناسبة أولها لآخر يس أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى ، وأنه هو منشئهم ، وإذا تعلقت إرادته بشيء ، كان ذكر تعالى وحدانيته ، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة وجوداً وعدماً إلا بكون المريد واحداً .. أقسم تعالى بأشياء من مخلوقاته »[1].

ويقول البقاعي : « لما كان الانفراد بالملكوت لا يكون إلا مع الوحدانية بالذات ، وفي ذلك استحقاق الاختصاص بالإلهية ، وكان ذلك – مع انه بحيث لا يخفى على ذي لب – عندهم في غاية البعد ، ولذلك لا يسلمون ما يتعلق بالملكوت وينكرونه غاية الإنكار، ناسب أن يقسم عليه »[2].

الترابط بين سورة ص وسورة الصافات :

الصلة قوية وواضحة بين مطلع سورة ص ، وخاتمة سورة الصافات ، ففي نهاية سورة الصافات : **((أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ . فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ . وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ . سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))** :{ 176 – 179 } . وفي أول سورة ص : **((ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ . كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ))** :{ 1 – 3 } .

يقول أبو حيان : « مناسبتها لآخر ما قبلها أنه لما ذكر عن الكفار أنهم كانوا يقولون : **((لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنْ الْأَوَّلِينَ))** :{ 168 } ، لأخلصوا العبادة لله . وأخبر أنهم أتاهم الذكر فكفروا به . بدأ في هذه السورة بالقسم بالقرآن ، لأنه الذكر الذي جاءهم ، وأخبر عنهم أنهم كافرون ، وأنهم في تعزز ومشاقة للرسول الذي جاء به ، ثم ذكر من أهلك من القرون التي شاقت الرسل ليتعظوا »[3].

---

[1] - البحر المحيط 7 / 337

[2] - نظم الدرر 6 / 289

[3] - البحر المحيط 7 / 366

ويقول البقاعي : « ولما نزه ربنا سبحانه نفسه الأقدس في ختام تلك عن كل شائبة نقص ، وأثبت له كل كمال ناصاً على العزة وأوجب للمرسلين السلامة . افتتح هذه بالإشارة إلى دليل ذلك بخذلان من ينازع فيه » [1].

الترابط بين سورة الزمر وسورة ص :

ختمت سورة ص: **((قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ . وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ))** : {86 – 88} . وافتتحت سورة الزمر: **((تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ))** :{ 1 }.

يقول أبو حيان : « مناسبتها لآخر ما قلبها : أنه ختم السورة المتقدمة بقوله : **((إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ))** . وبدأ هنا : **((تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ))** » [2].

ويقول البقاعي : « لما تبين من التهديد في (ص) أنه سبحانه قادر على ما يريد ، ثم ختمها بأن القرآن ذكر للعالمين ، وأن كل ما فيه لا بد أن يرى ؛ لأنه واقع لا محالة لكن من غير عجلة ، فكانوا ربما قال متعنتهم : ما له إذا كان قادراً لا يعجل ما يريده بعد حين . علل ذلك بأنه (تنزيل) ، أي بحسب التدريج لموافقة المصالح في أوقاتها وتقريبه للأفهام على ما له من العلو حتى صار ذكراً للعالمين ، ووضع موضع الضمير » .

الترابط بين سورة غافر وسورة الزمر :

العلاقة بين السورتين واضحة ، فقد اختتمت سورة غافر : **((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاء فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))** : {73 – 75 } . وافتتحت سورة الزمر : **((حم . تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ))** : {1 – 3 } .

يقول أبو حيان : « مناسبة أول هذه السورة لآخر الزمر أنه تعالى لما ذكر ما يؤول إليه حال الكافرين وحال المؤمنين . ذكر هنا أنه تعالى : **((غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ))** ، ليكون ذلك استدعاء للكافر إلى الإيمان ، وإلى الإقلاع عما هو فيه ، وأن باب التوبة مفتوح . وذكر شدة

---

[1] - نظم الدرر 6 / 357

[2] - البحر المحيط 7 / 379

عقابه وصيرورة العالم كلهم فيه ليرتدع عما هو فيه ، وأن رجوعه إلى ربه فيجازيه بما يعمل من خير أو شر » [1].

ويقول البقاعي : « لما كان ختام التي قبلها إثبات الكمال لله بصدقه في وعده ووعيده بإنزال كل فريق في داره التي أعدها له ، ثبت أن الكتاب الذي فيه ذلك منه ، وأنه تام العزة كامل العلم جامع لجميع صفات » [2] .

الترابط بين سورة فصلت وسورة غافر :

اختتمت سورة غافر : **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون . فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ))** :{ 82 – 85 } . وافتتحت سورة فصلت : **((حم . تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ))** :{ 1 – 4 } .

يقول أبو حيان : « مناسبتها لما قبلها ، أنه قال في آخر ما قبلها : **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ))** إلى آخرها ، فضمن وعيداً وتهديداً وتقريعاً لقريش . فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر ، فذكر أنه نزل كتاباً مفصلاً آياته ، بشيراً لمن اتبعه ، ونذيراً لمن أعرض عنه .. فكان هذا كله مناسباً لآخر سورة المؤمن من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس بهم العذاب ، وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والأسر والنهب والسبي ، واستئصال أعداء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما حل بعاد وثمود من استئصالهم » [3].

ويقول البقاعي : « لما ختمت غافر بأن الكفرة جادلوا في آيات الله بالباطل ، وفرحوا بما عندهم من علم ظاهر الحياة الدنيا ، وأنهم عند البأس انسلخوا عنه وتبرؤوا منه ورجعوا إلى ما جاءت به الرسل فلم يقبل منهم ، فعلم أن كل علم لم ينفع عند الشدة والبأس فليس بعلم، بل الجهل خير منه ، وكان ذلك شاقا على النبي (صلى الله عليه وسلم) خوفا من أن يكون آخر أمر أمته الهلاك ، مع الإصرار على الكفر إلى مجيء البأس ، وأن يكون أغلب أحواله (صلى الله عليه وسلم) النذارة .

---

[1] - م . ن 7 / 429
[2] - نظم الدرر 6 / 482 – 483
[3] - البحر المحيط 7 / 462

افتتح سبحانه هذه السورة بأن هذا القرآن رحمة لمن كان له علم وله قوة توجب له القيام فيما ينفعه ، وكرر الوصف بالرحمة في صفة العموم وصفة الخصوص إشارة إلى أن أكثر الأمة مرحوم)) [1].

الترابط بين سورة الشورى وسورة فصلت :

الصلة قوية بين مطلع سورة الشورى وخاتمة سورة فصلت ، ففي نهاية سورة فصلت: **((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ))**{52} . وافتتحت سورة الشورى : **((كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))** :{ 3 } .

يقول أبو حيان : « مناسبة أول السورة لآخر ما قبلها أنه قال : **((قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ))** الآية ، وكان في ذلك الحكم عليهم بالضلال لما كفروا به . قال هنا : **((كَذَلِكَ))** أي مثل الإيحاء السابق في القرآن الذي كفر به هؤلاء ، **((يُوحِي إِلَيْكَ))** : أي إن وحيه تعالى إليك متصل غير منقطع ، يتعهدك وقتاً بعد وقت » [2].

ويقول البقاعي : « ولما كانت هذه الحروف – والله أعلم – مشيرة إلى الاجتماع كما أشار إليه آخر السورة الماضية ، قال الله سبحانه وتعالى : (كذلك) ، أي مثل هذا الإيحاء العظيم الشأن الذي أخبرك به ربك صريحاً أول (فصلت) من أن الإله إله واحد وآخرها من أنه ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ومن أنه يجمع أمتك على هذا الدين بما يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق بما يريهم من الآيات البينات والدلالات الواضحات في الآفاق وفي أنفسهم وبشهادته سبحانه بإعجاز القرآن لجميع الإنس والجان ولا سيما إذا أقدم ضال على معارضته كمسيلمة فإنه يتبين لهم الأمر بذلك غاية البيان (وبضدها تتبين الأشياء) ، ورمز لك به سبحانه تلويحاً أول هذه السورة بهذه الأحرف المقطعة التي هي أعلى وأغلى من الجواهر المرصعة » [3].

الترابط بين سورة الزخرف وسورة الشورى :

الصلة قوية بين مطلع سورة الزخرف وخاتمة سورة الشورى ، ففي نهاية سورة الشورى حديث عن القرآن : **((وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))** :{ 52} .

---

[1] - نظم الدرر 6 / 548
[2] - البحر المحيط 7 / 486
[3] - نظم الدرر 6 / 596 – 597

وفي مطلع سورة الزخرف حديث عن القرآن : **((حم . عسق . كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ))** :{ 1 – 4 } .

الترابط بين سورة الدخان وسورة الزخرف :

اختتمت سورة الزخرف : **((فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ . وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاء إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ . وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ . وَقِيلِهِ يَارَبِّ إِنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ . فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ))** :{ 83 – 89 } . وناسب افتتاح سورة الدخان : **((حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ))** :{ 1 – 3 } .

يقول أبو حيان : « مناسبة هذه السورة أنه ذكر في أواخر ما قبلها : **((فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ))** ، فذكر يوماً غير معين ، ولا موصوفاً . فبيّن في أوائل هذه السورة ذلك اليوم »[1].

الترابط بين سورة الجاثية وسورة الدخان :

اختتمت سورة الدخان بأن الله تعالى أنزل القرآن عربيا بلسان النبي (صلى الله عليه وسلم) ولسان قومه : **((فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ))** :{ 58 – 59 } . فناسب ابتداء هذه السورة بأن نزول القرآن الكريم من الله تعالى للحث على إتباعه والإيمان به : **((حم . تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ))** :{ 1 – 2 } .

يقول أبو حيان: « مناسبة أولها لآخر ما قبلها في غاية الوضوح . قال : **((فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ))** ، وقال : **((حم . تَنزِيلُ الْكِتَابِ))** »[2].

الترابط بين سورة الاحقاف وسورة الجاثية :

وجه اتصال سورة الأحقاف بخاتمة سورة الجاثية أنه تعالى ختم الجاثية بذكر التوحيد وذم الشرك : **((ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ . فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))** :{ 35 – 37 } .

---

[1] - البحر المحيط 8 / 32
[2] - م . ن 8 / 42

وافتتح الأحقاف بالتوحيد ، ثم بالتوبيخ لأهل الشرك من العبيد : **((حم . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ))** : { 1 – 3 } .

يقول أبو حيان : « مناسبة أولها لما قبلها ، أن في آخر ما قبلها : **((ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً))** وقلتم : إنه (عليه الصلاة والسلام) اختلقها . فقال تعالى : **((حم . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ))** ، وهاتان الصفتان هما آخر تلك ، وهما أول هذه » [1].

الترابط بين سورة محمد وسورة الأحقاف :

المناسبة بين افتتاحية سورة محمد وخاتمة سورة الأحقاف واضحة جلية ، فهناك اتصال وتلاحم بينهما بحيث لو سقطت من البين البسملة ، لكانا كالآية الواحدة آخذا بعضها بعنق بعض . اختتمت سورة الأحقاف : **((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ))** : {35 } . وافتتحت سورة محمد : **((الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ))** : {1} .

يقول فخر الدين الرازي : « أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة فإن آخرها قوله تعالى : **((فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ))** ، فإن قال قائل كيف يهلك الفاسق وله أعمال صالحة كإطعام الطعام وصلة الأرحام وغير ذلك ؟ مما لا يخلو عنه الإنسان في طول عمره فيكون في إهلاكه إهدار عمله ... قال تعالى : **((الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ))** ، أي لم يبق لهم عمل ولم يوجد فلم يمتنع الإهلاك » [2].

الترابط بين سورة الفتح وسورة محمد :

إنه لما تقدم قوله تعالى : **((هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ))** :{ 38 } . وهي خطاب لكفار قريش أخبر سبحانه رسوله (صلى الله عليه وسلم) بالفتح العظيم : **((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً))** : {1} .

يقول أبو حيان الأندلسي : « مناسبتها لما قبلها أنه تقدم : **((وَإِن تَتَوَلَّوْا))** الآية ، وهي خطاب لكفار قريش ، أخبر رسوله بالفتح العظيم ، وأنه بهذا الفتح حصل الاستبدال ، وآمن كل من كان بها ، وصارت مكة دار إيمان . ولما قفل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من صلح

---

[1] - م . ن 8 / 55

[2] - التفسير الكبير 28 / 36

الحديبية ، تكلم المنافقون وقالوا : لو كان محمد نبياً ودينه حق ، ما صد عن البيت ، ولكان فتح مكة . فأكذبهم الله تعالى ، وأضاف عز وجل الفتح إلى نفسه ، إشعاراً بأنه من عند الله » [1].

الترابط بين سورة الحجرات وسورة الفتح :

اختتمت سورة الفتح : **((مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً))** :{ 29 } . وافتتحت سورة الحجرات: **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))** :{ 1 } .

يقول أبو حيان الأندلسي : « مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة ، لأنه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم قال : **((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ))** فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي أن ينهى عنه ، فقال تعالى : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ))** . وكانت عادة العرب ، وهي إلى الآن الاشتراك في الآراء ، وأن يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب ، فجرى من بعض من لم يتمرن على آداب الشريعة بعض ذلك » [2].

الترابط بين سورة ق وسورة الحجرات :

اختتمت سورة الحجرات : **((إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))** : {18} . وافتتحت سورة ق : **((ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ))** :{ 1 – 2 } .

يقول أبو حيان الأندلسي : « مناسبتها لآخر ما قبلها ، أنه تعالى أخبر أن أولئك الذين قالوا آمنا ، لم يكن إيمانهم حقاً ، وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال : **((بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ))** . وعدم الإيمان أيضاً يدل على إنكار البعث ، فلذلك أعقبه به » [3].

الترابط بين سورة الذاريات وسورة ق :

---

[1] - البحر المحيط 8 / 89

[2] - البحر المحيط 8 / 105

[3] - م . ن 8 / 120

اختتمت سورة ق ببيان حشر الناس وجمعهم في موقف الحساب في قوله تعالى : **((يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ . نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ))** :{ 44 – 45 } . وافتتحت سورة الذاريات: **((وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً . فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً . فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً . فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً . إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ . وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ))** :{ 1 – 6 } .

يقول فخر الدين الرازي : « أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها ؛ وذلك لأنه تعالى لما بيّن الحشر بدلائله وقال : ((**ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**)) ، وقال : **((وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ))** ، أي تجبرهم وتلجئهم إلى الإيمان إشارة إلى إصرارهم على الكفر بعد إقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق إلا اليمين فقال : ((**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً . فَالْحَامِلَاتِ وِقْراً . فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً . فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً . إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ**)) » [1].

ويقول أبو حيان الأندلسي : « مناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال : **((فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ))** . وقال أول هذه بعد القسم : ((**إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ . وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**)) » [2].

الترابط بين سورة الطور وسورة الذاريات :

اختتمت سورة الذاريات : **((فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ . فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ))** :{ 59 – 60 } ، وافتتحت سورة الطور : **((وَالطُّورِ . وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ . وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ . وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ. وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ . إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ))** : {1 – 7 } .

يقول أبو حيان : « مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة ، إذ في آخر تلك : **((فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ))** {سورة الذاريات :59} ، وقال هنا : **((إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ))** » [3] .

الترابط بين سورة النجم وسورة الطور :

اختتمت سورة الطور بالحديث عن النجوم: ((**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**)){49} وافتتحت سورة النجم : **((وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى))** : {1 – 2 } .

يقول فخر الدين الرازي : « أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لفظاً ومعنى ، أما اللفظ فلأن ختم الطور بالنجم ، وافتتاح هذه بالنجم مع واو القسم ، وأما المعنى فنقول : الله تعالى

---

[1] - التفسير الكبير 28 / 193

[2] - البحر المحيط 8 / 132

[3] - م ن 8 / 143

لما قال لنبيّه (صلى الله عليه وسلم) **((وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ))** ، بيّن له أنه جزأه في أجزاء مكايدة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، بالنجم » [1].

ويقول أبو حيان : « مناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة ؛ لأنه قال : **((أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ))** {سورة الطور : 33} ، أي اختلق القرآن ونسبوه إلى الشعر ، وقالوا كاهن ومجنون فاقسم تعالى أنه (صلى الله عليه وسلم) ما ضل ، وأن ما يأتي به هو وحي من الله» [2].

الترابط بين سورة القمر وسورة النجم :

الصلة بين سورة القمر وسورة النجم صلة جلية ، فقد اختتمت سورة النجم : **((أَزِفَتْ الْآزِفَةُ . لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ . أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنتُمْ سَامِدُونَ . فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا))** :{ 57 – 62 } . وافتتحت سورة القمر : **((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ))** :{ 1 } .

يقول أبو حيان : « مناسبة أول السورة لآخر ما قبلها ظاهرة ، قال : **((أَزِفَتْ الْآزِفَةُ))** وقال : **((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ))** » [3]. فأزف بمعنى اقترب .

الترابط بين سورة الرحمن وسورة القمر :

الصلة بين السورتين صلة قوية وواضحة ، فسورة القمر اختتمت : **((فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ))** :{ 55 } . وافتتحت سورة الرحمن : **((الرَّحْمَنُ))** :{ 1 } .

يقول فخر الدين الرازي : « إن أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها حيث قال في آخر تلك السورة : ((**عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**)) ، والاقتدار إشارة إلى الهيبة والعظمة وقال ههنا : **((الرَّحْمَنُ))** أي عزيز شديد منتقم مقتدر بالنسبة إلى الكفار والفجار ، رحمن منعم غافر للأبرار » [4].

ويقول أبو حيان : « مناسبة هذه السورة لما قبلها : أنه لما ذكر مقر المتقين ، في جنات ونهر ، عند مليك مقتدر، ذكر شيئا من آيات الملك وآثار القدرة ، ثم ذكر مقر الفريقين على جهة الإسهاب إذ كان في آخر السورة ذكره على جهة الاختصار والإيجاز » [5].

الترابط بين سورة الواقعة وسورة الرحمن :

قسمت سورة الرحمن الناس إلى ثلاث أصناف في اليوم الآخر ، الصنف الأول المجرمون المكذبون بالبعث ، ومصيرهم إلى جهنم ، والثاني السابقون وهم أهل التقوى ، ولهم

---

[1] - التفسير الكبير 28 / 277
[2] - البحر المحيط 8 / 154
[3] - البحر المحيط 8 / 171
[4] - التفسير الكبير 29 / 83
[5] - البحر المحيط 8 / 186

جنتان ، والثالث : أهل اليمين ، ولهم جنتان أدنى من جنتي السابقين . وافتتحت سورة الواقعة بذكر الأصناف الثلاثة المذكورة في سورة الرحمن .

يقول فخر الدين الرازي : « أما تعلق هذه السورة بما قبلها ، فذلك من وجوه أحدها :

أن تلك السورة مشتملة على تعديد النعم على الإنسان ومطالبته بالشكر ومنعه عن التكذيب كما مر ، وهذه السورة مشتملة على ذكر الجزاء بالخير لمن شكر وبالشر لمن كذب وكفر .

ثانيها : أن تلك السورة متضمنة للتنبيهات بذكر الآلاء في حق العباد ، وهذه السورة كذلك لذكر الجزاء في حقهم يوم التناد .

ثالثها : أن تلك السورة سورة إظهار الرحمة وهذه السورة سورة إظهار الهيبة على عكس تلك السورة مع ما قبلها .

وأما تعلق الأول بالآخر ففي آخر تلك السورة إشارة إلى الصفات من باب النفي والإثبات ، وفي أول هذه السورة إلى القيامة وإلى ما فيها من المثوبات والعقوبات ، وكل واحد منهما يدل على علو اسمه وعظمة شأنه ، وكمال قدرته وعز سلطانه » [1].

ويقول أبو حيان الأندلسي : « مناسبتها لما قبلها أن ما قبلها تضمن العذاب للمجرمين والنعيم للمؤمنين ، وفاضل بين جنتي بعض المؤمنين ، وجنتي بعض ، بقوله (من دونهما جنتان) فانقسم العالم بذلك إلى كافر ومؤمن مفضول ومؤمن فاضل . وهكذا جاء ابتداء هذه السورة من كونهم أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة ، وسباق وهو المقربون ، وأصحاب اليمين والمكذبون المختتم بهم آخر هذه السورة » [2].

الترابط بين سورة المجادلة وسورة الحديد :

ختم الله سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء من عباده : **((لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ))** :{ 29} .

وافتتح سورة المجادلة ببيان فضله في إجابة الدعوة : **((قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))** :{ 1 } .

---

[1] - التفسير الكبير 29 / 140

[2] - البحر المحيط 8 / 202

يقول البقاعي : « لما ختم الحديد بعد إثبات عجز الخلق بعظيم الفضل له سبحانه ، وكان سماع أصوات جميع الخلائق من غير أن يشغل صوت عن صوت وكلام عن كلام من الفضل العظيم » [1].

الترابط بين سورة الحشر وسورة المجادلة :

في آخر سورة المجادلة بيّن الله غلبته ورسوله لأعدائهم وامتناع المؤمنين من موالاتهم: **((لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))** : {22} . وفي أول الحشر ذكر ما يدل على هذه الغلبة : **((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ))** :{ 1 – 2 } .

يقول أبو حيان : « مناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر حال المنافقين واليهود ، وتولي بعضهم بعضا ، ذكر أيضا ما حل باليهود من غضب الله عليهم ، وجلائهم ، وإمكان الله تعالى رسوله (صلى الله عليه وسلم) ممن حاد الله ورسوله ، ورام الغدر بالرسول وأظهر العداوة بحلفهم مع قريش » [2].

الترابط بين سورة الممتحنة وسورة الحشر :

اشتمل آخر الحشر على إبراز أسماء الله الحسنى وصفاته العليا : **((هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))**{24} . وأول سورة الحشر حرمة موادة من لم يعترف بتلك الأسماء : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ))** :{1} . يقول فخر الدين الرازي : « وأما تعلق الأول بالآخر فظاهر ، لما أن

---

[1] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 7 / 474

[2] - البحر المحيط 8 / 241

آخر تلك السورة يشتمل على الصفات الحميدة لحضرة الله تعالى من الوحدانية وغيرها ، وأول هذه السورة مشتمل على حرمة الاختلاط مع من لم يعترف بتلك الصفات)) [1].

ويقول أبو حيان : ((مناسبة هذه السورة لما قبلها : أنه لما ذكر فيما قبلها حالة المنافقين والكفار ، افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودّد إليهم » [2].

الترابط بين سورة الصف وسورة الممتحنة :

اختتمت سورة الممتحنة بالنهي عن مولاة أعداء الله : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ))** :{ 13 }.
وافتتحت سورة الصف ببيان ما يقتضيه التخلي عن تلك الموالاة وهو التنزيه لله عز وجل : **((سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))** :{ 1 } .

يقول فخر الدين الرازي : « كأنه قال : إن كان الكفرة بجهلهم يصفون لحضرتنا المقدسة بما لا يليق بالحضرة فقد كانت الملائكة وغيرهم من الإنس والجن يسبحون لحضرتنا»[3]. ويقول أبو حيان الأندلسي : « مناسبتها الآخر السورة قبلها أن في آخر تلك : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ))** ، فاقتضى ذلك إثبات العداوة بينهم ، فحض تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم » [4].

الترابط بين سورة التحريم وسورة الطلاق :

المناسبة بين السورتين جلية فكلتا السورتين تتناولان مشكلات الزوجية وعلى الأخص مشكلة الطلاق ، يقول فخر الدين الرازي : « أما التعلق بما قبلها ، فذلك لاشتراكهما في الأحكام المخصوصة بالنساء ، واشتراك الخطاب بالطلاق في أول تلك السورة مع الخطاب بالتحريم في أول هذه السورة لما كان الطلاق في الأكثر من الصور أو في الكل كما هو مذهب البعض مشتملاً على تحريم ما أحل الله ، وأما الأول بالآخر ، فلأن المذكور في آخر تلك السورة ، يدل على عظمة حضرة الله تعالى ، كما أنه يدل على كمال قدرته وكمال علمه، لما كان خلق السموات والأرض وما فيهما من الغرائب والعجائب مفتقراً إليهما وعظمة الحضرة مما ينافي القدرة على تحريم ما أحل الله » [5].

الترابط بين سورة المطففين وسورة الانفطار :

الاتصال بينهما واضح وهو أن سورة الانفطار ختمت بصفة حال يوم القيامة ، وافتتحت سورة المطففين بذكر المقادير والحساب ، يقول فخر الدين الرازي : « اتصال أول هذه السورة

[1] - التفسير الكبير 29 / 297
[2] - البحر المحيط 8 / 250
[3] - التفسير الكبير 29 / 311
[4] - البحر المحيط 8 / 258
[5] - التفسير الكبير 30 / 41

بآخر السورة المتقدمة ظاهر ؛ لأنه تعالى بين في آخر تلك السورة أن يوم القيامة يوم من صفته أنه **((يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ))** : 19 ، وذلك يقتضي تهديداً عظيماً للعصاة ، فلهذا أتبعه بقوله : **((وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ))** : 1 ، والمراد الزجر عن التطفيف »[1]. ويقول البقاعي : « لما ختم الانفطار بانقطاع الأسباب وانحسام الأنساب يوم الحساب وأبلغ في التهديد بيوم الدين ، وأنه لا أمر لأحد معه ، وذكر الأشقياء والسعداء، وكان أعظم ما يدور بين العباد المقادير » [2].

الترابط بين سورة الزلزلة وسورة البينة :

لما ختم الله تعالى سورة البينة بجزاء الصالح والطالح في دار البقاء على ما عملوه في موطن الفناء ، ويبين فخر الدين الرازي ارتباط السورتين من وجهين : « أحدها : أنه تعالى لما قال : **((جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ))** سورة البينة : 8 ، فكأن المكلف قال : ومتى يكون ذلك يا رب فقال : **((إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا))** سورة الزلزلة : 1 ، فالعالمون كلهم يكونون في الخوف ، وأنت في ذلك الوقت تنال جزاءك وتكون آمناً فيه ..

وثانيها : أنه تعالى لما ذكر في السورة المتقدمة وعيد الكافر ووعد المؤمن أراد أن يزيد في وعيد الكافر ، فقال : أجازيه حين يقول الكافر السابق ذكره : ما للأرض تزلزل »[3]. والوجه الأول ذهب إليه أبو حيان [4].

توجيه المعنى لبيان الاتحاد الموضوعي بين السور

من المواضع التي أولاها علماء المناسبة العناية مناسبة كل سورة للسورة السابقة عليها ، وبيان علاقة مقاصد السور بعضها ببعض وتصاعد معانيها ، وهذا يدل على أن الترابط القائم بين سور القرآن الكريم ليس ترابطا منحصرا في مناسبة أول السورة مع خاتمة ما قبلها، بل الأمر أكبر من ذلك . وقد ابتدأ القرآن بسورة الفاتحة وهي أم الكتاب ، وبعدها سورة البقرة التي نفى فيها الريب عن هذا الكتاب ، وأنه هدى للمتقين في قوله تعالى : **((ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ))** :{ 2 } .

واستدل على ذلك فيما تبعها من السور : سورة آل عمران ، وسورة النساء ، وسورة المائدة ، وسورة الأنعام ، وسورة الأعراف ، وسورة الأنفال ، وسورة التوبة . ثم ابتدأ مرحلة جديدة في سورة يونس بقوله تعالى : **((الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ))** :{ 1 } ، بإثبات حكمته

---

[1] - م . ن 31 / 88
[2] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 8 / 354
[3] - التفسير الكبير 32 / 57
[4] - البحر المحيط 8 / 496

وسورة هود في قوله تعالى : **((الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ))** : {1 } واتبع ذلك دليله : في سورة يوسف ، وسورة الرعد وسورة إبراهيم ، وسورة الحجر ، وسورة النحل ، وسورة الإسراء ، وسورة الكهف ، وسورة مريم ، وسورة طـه ، وسورة الأنبياء ، وسورة الحج ، وسورة المؤمنين ، وسورة النور ، وسورة الفرقان ، وسورة الشعراء، وسورة النمل ، وسورة القصص ، وسورة العنكبوت ، إلى أن ختم في سورة الروم .

وابتدأ دورا جديدا على وجه أضخم من الأول ، فوصف الكتاب في سورة لقمان بما وصفه في سورة يونس وقال : **((الم . تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ . هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ))**:{1-3} والتالية لها سورة السجدة في قوله تعالى : **((الم . تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ . أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ))** : {1 – 3} ، أثبتت تنزيله ، ونفي الريب عن أنه من عنده ، وأثبتت أنه الحق ، واستمر فيما بعد هذا من السور مناظرا في الأغلب لما مضى كما يعرف ذلك بالإمعان في التذكر والتأمل والتدبر [1].

وهذا التتابع بين السور يدل على تتابع الموضوعات المطروحة في كل سورة ، وارتباطه بالتجاور بين السور ، وقد تكون السورة المتقدمة مكية والسورة التي بعدها مدنية .

ويضع السيوطي قاعدة للتناسب المعنوي بينها : « إذا وقعت سورة مكية بعد سورة مدنية ، افتتح أولها بالثناء على الله ، كالأنعام بعد المائدة ، والإسراء بعد النحل ، والفرقان بعد النور ، وسبأ بعد الأحزاب ، والحديد بعد الواقعة ، وتبارك بعد التحريم ، لما في ذلك من الإشارة إلى نوع استقلال ، وإلى الانتقال من نوع إلى نوع » [2].

موضوعات سورة البقرة وسورة الفاتحة

هناك مناسبة ظاهرة بين سورة الفاتحة وسورة البقرة ، فسورة الفاتحة اشتملت على أحكام الإلوهية والعبودية ، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، وجاءت سورة البقرة ففصلت مقاصد سورة الفاتحة ، وأوضحت ما اشتملت عليه :

1- أجمل الحمد في سورة الفاتحة : **((الْحَمْدُ للّهِ))** :{ 2 } ، وفصّل في سورة البقرة ، في قوله تعالى : **((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ))**: {186} . وفي قوله تعالى : **((لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً**

[1] - ينظر : نظم الدرر 6 : 3
[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 106

كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)) .

2- أجمل في سورة الفاتحة : **((رَبِّ الْعَالَمِينَ))** :{ 2 } ، وفصّل في سورة البقرة ، الدلائل المشاهدة ، في قوله تعالى : **((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ))**:{ 20 – 21 }. وهذه الدلائل هي : جعل الأرض فراشا والسماء بناء ، وإنزال الماء ، وإخراج النبات ، وذلك كله أمر مشاهد يصل إليه كل عاقل بالتفكر أنه خاضع لرب العالمين [1].

3 – أجمل في سورة الفاتحة : **((الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ))** :{ 3 } ، وأشار إليه سبحانه وتعالى في سورة البقرة في قصة موسى : **((وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))** :{ 54} ، وأعاد الآية بجملتها في قوله : **((وَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ))** :{ 163} .

4 – أجمل في سورة الفاتحة : **((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))** :{ 4 }، وفصّل في سورة البقرة في قوله تعالى : **((لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))**:{ 284 }. وذكر ابتداء خلق آدم (عليه السلام) إذ من البدأة تعلم العودة لمن تدبر [2].

5 – أجمل في سورة الفاتحة : **((إِيَّاكَ نَعْبُدُ))** :{ 5 } ، مجمل شامل لجميع أنواع الشريعة الفروعية ، وقد فصّل في البقرة أبلغ تفصيل .

6 – أجمل في سورة الفاتحة : **((وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ))** :{ 5 } ، وفصّلت الاستعانة في سورة البقرة في : الصبر والتوبة والشكر والرضى والتفويض والذكر والمراقبة والخوف وإلانة القول .

7 – أجمل في سورة الفاتحة : **((اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ))** :{ 6- 7 } ، وفصّل في سورة البقرة تحديد القبلة في قوله : **((سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**

---

[1] - ينظر : البرهان في تناسب سور القرآن 79

[2] - ينظر : البرهان في تناسب سور القرآن 80

يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) :{ 142 } ، تنبيها على أنها الصراط . وقد بين أحوال المصطفين من أهل الصراط المستقيم فأنباء تعالى بحال إبراهيم وابتلاءه [1].

يرى ابن الزبير الغرناطي أن المتحصل من سورة البقرة هو أن السورة بأسرها «بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء والكمال أخذا وتركا ، وبيان شرف من أخذ به ، وسوء من تنكب عنه » [2]. لهذا دار الكلام في السورة على الطوائف الثلاث : المتقون والمنافقون والكافرون . ومن وجوه الاتصال بين السورتين :

أولا : تضمنت سورة الفاتحة : الإقرار بالربوبية ، والإلتجاء إليها في دين الإسلام ، والصيانة عن دين اليهود والنصارى ، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين [3].

وثانيا : ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة : فذكر الذين على هدى من ربهم ، وهم المنعم عليهم . والذين اشتروا الضلالة بالهدى ، وهم الظالمون . والذين باءوا بغضب من الله وهم المغضوب عليهم [4].

وثالثا : إن سورة الفاتحة كما ختمت بالدعاء للمؤمنين بألا يسلك بهم طريق المغضوب عليهم ولا الضالين إجمالا . ختمت سورة البقرة بالدعاء بألا يسلك بهم طريقهم في المؤاخذة بالخطأ والنسيان ، وحمل الإصر ، وما لا طاقة لهم به تفصيلا [5].

موضوعات سورة آل عمران وسورة البقرة

السورتان متلازمتان من حيث المضمون ، كأنهما سورة واحدة وقد جمع رسول الله بينهما في الفضل والذكر وأشركهما بالتسمية بالزهراوين [6] . وإن سورة آل عمران فصلت كل ما أجملته سورة البقرة [7]:

1 – أجمل في سورة البقرة : **((ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ))** :{ 2 }، وفصل في سورة آل عمران نفي الريب في قوله : **((نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ))** :{ 3 } . وقد أجمل ذكر الكتاب في سورة البقرة ، وقسمه في سورة آل عمران إلى آيات محكمات ومتشابهات ، وفي هذا التقسيم بيان لقوله تعالى في سورة البقرة : **((إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ**

---

[1] - ينظر : م . ن 80
[2] - م . ن 83
[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 63
[4] - م . ن 65
[5] - المصدر السابق 70
[6] - ينظر : تناسق الدرر في تناسب السور 79
[7] - ينظر : م . ن 70 – 72

أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ)) : {26 } .

2 – أجمل في سورة البقرة : **((وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ))** :{4 }.

وفصل في سورة آل عمران : **((وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ . مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ))** { 3 – 4} .

3 – أجمل ذكر القتال في سورة البقرة : **((وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ))** :{ 190 } ، وقوله تعالى : **((وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))** :{ 244 } . وفصلت سورة آل عمران قصة أحد .

4 – أجمل في سورة البقرة ذكر المقتولين : **((وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ))** {154} .

وفصل وزاد في سورة آل عمران : **((وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ))** : {169 – 170 }.

5 – أجمل في سورة البقرة إيتاء الملك : **((وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))** :{247 } . وفصل وزاد في سورة آل عمران : **((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** :{ 26 } .

6 – حذر من الربا في سورة البقرة : **((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))** :{ 275 } . وفصل وبين في سورة آل عمران : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))** :{ 130 } .

7 – أجمل وجوب الحج في سورة البقرة : **((وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))** :{ 196 } . وفصل في سورة آل عمران : **((فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ))** :{ 97 } .

يرى ابن الزبير الغرناطي أن هناك تناظرا بين سورة البقرة وسورة آل عمران في القصص : « قصة عيسى (عليه السلام) وابتداء أمره من غير أب ، والاعتبار به نظير الاعتبار بآدم (عليه السلام) .. كما أتبعت قصة آدم بذكر بني إسرائيل لوقوفهم من تلك القصة على ما لم تكن العرب تعرفه ، وأنذروا وحذروا ، وأتبعت أيضا قصة عيسى (عليه السلام) بذكر الحواريين وأمر النصارى إلى آية المباهلة » [1].

ويرى السيوطي إن بين سورة آل عمران وسورة البقرة إتحادا ، وتلاحما متأكدا ، في بيان الأحكام ، ففي سورة آل عمران إزالة الشبهة التي كانت في سورة البقرة : « البقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به اليهود . فأوجب الحج في آل عمران ، وأما في البقرة فذكر أنه مشروع ، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه . وكان خطاب النصارى في آل عمران ، كما أن خطاب اليهود في البقرة أكثر ؛ لأن التوراة أصل ، والإنجيل فرع لها » [2].

ويرى أن من أوجه الاتصال اقتران المطالع بالحروف المقطعة ، وهي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ، أما الرسول فلا رواية أنبأت بعلم رسول الله ، ولا رسول الله نفسه بيّن هذا ، فربما علمه ولم يعلّمه أحدا إلا الإمام ، ولم يعلّم الإمام احدا أو ربما لم يعلّمه الله هذا .

ويقول السيوطي : « اشتراكها مع البقرة في الافتتاح بإنزال الكتاب ، وفي الافتتاح بـ(الم) ، وسائر السور المفتتحة بالحروف المقطعة كلها مقترنة » [3].

موضوعات سورة النساء وسورة آل عمران

من وجوه الاتصال بين سورة النساء وسورة آل عمران :

1 – في سورة آل عمران ذكر قصة أحد مستوفاة . وفي سورة النساء ذكر ذيلها ، وهو قوله تعالى : **((فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً))** :{ 88 } .

2 – وفي سورة آل عمران ذكر الغزوة التي بعد احد في قوله تعالى : **((الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ . إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ))** :{ 172 – 175 } .

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 84
[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 63
[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 79

وأشير إليها في سورة النساء بقوله سبحانه : **((وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً))** : {104} .

3 – ذكر في سورة آل عمران قصة خلق عيسى (عليه السلام) بلا أب ، خلافا لما زعم اليهود ، وما ادعته النصارى . وذكر في سورة النساء الرد على الفريقين . ورد على اليهود في قوله تعالى : **((وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً))** :{156} . وعلى النصارى بقوله تعالى : **((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً))** :{171} .

يرى ابن الزبير الغرناطي أن وجه الاتصال بين سورة النساء وما تقدمها مرتبط بما تضمنته ، وقد تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق وإيجاد آدم (عليه السلام) من غير أب ولا أم وأعقبت بسورة آل عمران وخلق عيسى (عليه السلام) من غير أب ، أعلم سبحانه في سورة النساء بأن من عدا المذكورين سبيلهم بسببية الأبوين لأن بناء هذه السورة على التواصل والائتلاف ، ورعي حقوق ذوي الأرحام ، وحفظ ذلك كله إلى حالة الموت المكتوب علينا [1].

ويرى البقاعي أن الوجه للاتصال بين هذه السورة وما تقدمها هو أن « مقصودها الاجتماع على التوحيد الذي هدت إليه آل عمران ، والكتاب الذي حدّت عليه البقرة لأجل الدين الذي جمعته الفاتحة ... لما تقرر أمر الكتاب الجامع الذي هو الطريق ، وثبت الأساس الحامل الذي هو التوحيد احتيج إلى الاجتماع على ذلك ، فجاءت هذه السورة داعية إلى الاجتماع والتواصل والتعاطف والتراحم » [2].

موضوعات سورة المائدة وسورة النساء

هناك أوجه شبه بين سورة المائدة وبين سورة النساء ، لاشتمال كل منهما على عدةٍ من عهود وعقود وأحكام ونقاش وحوار لأهل الكتاب والمشركين والمنافقين ، يقول ابن الزبير الغرناطي : « تحصل مما تقدم أن أسوأ حال المخالفين حال من غضب الله عليه ولعنه ، وأن ذلك ببغيهم وعدوانهم ونقضهم العهود : **((فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ))** {سورة المائدة : 13} وكأن النقض يشمل كل مخالفة .. لأن اليهود والنصارى إنما أتي عليهم من عدم الوفاء ونقض العهود ، فحذر المؤمنون ، ولهذا الغرض .. ذكر هنا العهد المشار إليه » [3].

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 86 – 87
[2] - نظم الدرر 2 / 204 – 205
[3] - البرهان في تناسب سور القرآن 88

وقد أكد السيوطي هذا الرأي وجعله من أسباب اعتلاق السورتين ، وعده وجها بديعا : « أما اعتلاقها بسورة النساء ، فقد ظهر لي فيه وجه بديع جدا ، وذلك أن سورة النساء اشتملت على عدة عقود صريحا وضمنا ، فالصريح : عقود الأنكحة ، وعقد الصداق ، وعقد الحلف .. وعقد الإيمان .. وبعد ذلك عقد المعاهدة والأمان . والضمني عقد الوصية ، والوديعة ، والوكالة ، والعارية، والإجارة ، وغير ذلك .. فناسب أن يعقب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود » [1].

1- ففي سورة النساء الكلام على عقود الزواج : **((وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً))** :{ 127 } . وعقود الأمان والحلف والمعاهدة ، والوصايا والودائع والوكالات والإجارات . وابتدأت سورة المائدة بالأمر بالوفاء بالعقود : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ))** :{ 1 } .

2 - مهدت سورة النساء لتحريم الخمر ، في قوله تعالى : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوّاً غَفُوراً))** :{43 }. وحرمتها سورة المائدة بنحو قاطع في قوله تعالى : **((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))** :{ 90 }.

3 - جاء في سورة النساء قوله تعالى : **((إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً))** :{ 105 } . وفصل في سورة المائدة أحكام السراق : **((وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))** :{ 38 } .

موضوعات سورة الأنعام وسورة المائدة

تضمنت كل من سورتي المائدة والأنعام محاجة أهل الكتاب في مواقفهم وعقائدهم ، فضلا عن أنّه ذكر فيهما أحكام المطعومات المحرّمة والذبائح ، والرد على أهل الجاهلية بتحريم بعض الأنعام تقرّبا إلى الأوثان . والتشابه في المضمون ، من حيث الردّ على كثير من الانحرافات العقدية التي ضلّ بها الكافرون ودحض شبهاتهم ، وتفنيد مزاعمهم : ففي سورة

---

[1] - تناسق الدرر في تناسب السور 81

المائدة يأتي الحديث موجها إلى أهل الكتاب مع بيان بعض ضلالات المشركين ، وفي سورة الأنعام تبين السورة ما عليه أهل الشرك من أباطيل وأوهام ، مع بعض الإشارات إلى ضلالات أهل الكتاب .

ويرى ابن الزبير الغرناطي أن سبحانه وتعالى لما بين مآل المتقين وحال من تنكب عنهم من اليهود والنصارى في سورة المائدة « انجر مع ذلك ذكر مشركي العرب ، وصممهم عن الداعي ، وعماهم عن الآيات فكانوا أشبه بالبهائم منهم بالأناسي ، أعقب تعالى ذلك بالإشارة إلى طائفة أومأت إلى الاعتبار ، والنظر فلم توفق لإصابة الحق ، وقصرت عن الاستضاءة بأنوار الهدى .. وهم المجوس ، وسائر الثنوية ، ثم كان قصارى أمرهم نسبة الفعل إلى النور والإظلام ، ولم يكن تقدم لهؤلاء ذكر ولا إخبار بحال »[1].

ويربط البقاعي بين هذه السورة وما تقدمها من حيث المقصد ، فيرى أن مقصود سورة الأنعام « الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد بأنه الحاوي لجميع الكمالات من الإيجاد والإعدام والقدرة على البعث وغيره »[2].

وشرع يفصل فيما أشار إليه ابن الزبير الغرناطي ، في حديثه عمّن لم يرد من الطوائف المذكورة فيما تقدم هذه السورة : « لما تكفلت السور المتقدمة بالرد على مشركي العرب واليهود والنصارى مع الإشارة إلى إبطال جميع أنواع الشرك ، سيق مقصود هذه السورة في أساليب متكفلة بالرد على بقية الفرق ، وهم الثنوية من المجوس القائلون بإلهين اثنين وبأصلين : النور والظلمة ، ويقرون بنبوة إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) فقط . والصابئة القائلون بالأوثان السماوية والأصنام الأرضية متوسطين إلى رب الأرباب ، وينكرون الرسالة في الصورة البشرية . وأصحاب الروحانيات، أعني مدبرات الكواكب والأفلاك ، وينتسبون إلى ملة إبراهيم (عليه السلام) ، ويدعون أنه منهم ، وقد أعاذه الله من ذلك . والسمنية القائلون بإلهية الشمس مع تأكيد الرد على الفرق المتقدمة »[3].

هذه الطائفة يقرون بنبوة إبراهيم (عليه السلام) ، لأنه نظر في ملكوت السماوات والأرض وأشار إلى ما صدر عنه النور في قوله تعالى : ((**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**)) : {سورة الأنعام : 76 } .

يربط السيوطي بين هذه السورة وما تقدمها من حيث الإجمال والتفصيل : « إنه لما ذكر في سورة المائدة : ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**)) :{ 87 } ، فأخبر عن الكفار أنهم حرموا أشيئا مما رزقهم الله افتراء

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 90
[2] - نظم الدرر 2 / 578
[3] - م . ن 2 / 580 – 581

عليه ، وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئا مما أحل الله ، فيشابهوا بذلك الكفار في صنيعهم وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز.

ساق هذه السورة لبيان ما حرمه الكفار في صنيعهم ، فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل ، ثم جادلهم فيه ، وأقام الدلائل على بطلانه ، وعارضهم وناقضهم ، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة ، فكانت هذه السورة شرحا لما تضمنته المائدة من ذلك على سبيل الإجمال ، وتفصيلا وبسطا ، وإتماما وإطنابا » [1].

موضوعات سورة الأعراف وسورة الأنعام

تضمنت سورة الأعراف قصص الأمم السابقة ؛ لأن سورة الأنعام إحالة إلى النظر والاعتبار بهم في قوله تعالى : ((**أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ**)) :{ 6 } . وقوله تعالى : ((**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ**)) :{130} .

يرى ابن الزبير الغرناطي أن الترابط بين السورتين كان في عنصر الإحالة البعدية الذي نبهت عليه سورة الأنعام : « استدعت الإحالة والتسلية بسط أخبار الأمم السالفة وهلاك تلك القرون الماضية ، والإعلام بصبر الرسل (عليهم السلام) وتلطفهم في دعائه ، ولم يقع في السور الأربع قبل سورة الأنعام مثل هذه الإحالة والتسلية .. بسط تعالى حال من وقعت عليه واستوفى الكثير من قصصهم إلى آخر سورة هود » [2].

ويرى البقاعي أن الرابط لهذه السورة بما تقدمها الإنذار بمآل من سيذكرون في هذه السورة : « مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السورة الماضية من التوحيد والاجتماع على الخير والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الأنعام وتحذيره بقوارع الدارين » [3].

ويرى السيوطي أن الرابط بين السورتين هو الإجمال والتفصيل : « إن سورة الأنعام لما كانت لبيان الخلق ، وقال فيها : ((**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ**)) : 2. وقال في بيان القرون: ((**كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ**)) :{ 6} . وأشير فيها إلى ذكر المرسلين ، وتعداد كثير منهم ،

---

[1] - تناسق الدرر في تناسب السور 85
[2] - البرهان في تناسب سور القرآن 98
[3] - نظم الدرر 3 / 3

وكانت الأمور الثلاثة على وجه الإجمال لا التفصيل ، ذكرت هذه السورة عقبها ؛ لأنها مشتملة على شرح الأمور الثلاثة وتفصيلها . فبسط فيها قصة خلق آدم أبلغ بسط .. وذلك تفصيل إجمال قوله : **((خَلَقَكُم مِّن طِينٍ))** :{ 2 } . ثم فصلت قصص المرسلين وأممهم ، وكيفية إهلاكهم » [1].

1 – أجمل في سورة الأنعام خلق الإنسان : **((هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ))** :{ 2 } . بسط في سورة الأعراف خلق آدم : **((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ . قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ))** :{ 11 – 12 } .

2 – أجمل في سورة الأنعام الاستخلاف : **((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ))**{165} . وفصل في سورة الأعراف : **((أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ))** :{ 69 } . وقوله تعالى : **((وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ))** :{ 74 } .

3 – أجمل في سورة الأنعام ذكر الرحمة : **((قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ))** :{ 12} . وبسط في الأعراف : **((وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ))** :{156} .

موضوعات سورة الأنفال وسورة الأعراف

بين سورتي الأنفال والأعراف اتحاد في الموضوع ، إن سورة الأنفال في بيان حال الرّسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) مع قومه لأن سورة الأعراف قد بيّنت أحوال أشهر الرّسل مع أقوامهم . ومضمون سورة الأعراف قصّ أحوال الأنبياء مع أقوامهم .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما قص سبحانه على نبيه (عليه السلام) في سورة الأعراف أخبار الأمم ، وقطع المؤمنين من مجموع ذلك بأنه لا يكون الهدى إلا بسابقة السعادة

[1] - تناسق الدرر في تناسب السور 87

لافتتاح السورة من ذكر الأشقياء بقصة إبليس وختمها بقصة بلعم ، وكلاهما كفر على علم ، ولم ينفعه ما قد كان حصل عليه » [1].

ويقول البقاعي : « مناسبتها للأعراف أنه لما ذكر تعالى قصص الأنبياء (عليهم السلام) مع أممهم في تلك ، ناسب أن يذكر قصة هذا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) مع قومه ، وتقدم أنه لما أطنب سبحانه في قصة موسى (عليه السلام) كان ذلك ربما أوهم تفضيله على الجميع ، فأتى بقصة المخاطب بهذا القرآن في سورتين كاملتين : الأنفال في أول أمره وأثنائه ، وبراءة في ختام أمره وانتهائه وفرق بين القصتين » [2].

موضوعات سورة التوبة وسورة الأنفال

ثمة شبه بين سورة براءة وسورة الأنفال قبلها ، فهي كالمتممة لها في وضع أصول العلاقات الدولية الخارجية والداخلية ، وأحكام السلم والحرب ، وأحوال المؤمنين الصادقين والكفار والمنافقين ، وأحكام المعاهدات والمواثيق ، إلا أن في الأنفال بيان العهود والوفاء بها وتقديسها ، وفي براءة نبذ العهود ، وذكر في السورتين صدّ المشركين عن المسجد الحرام ، والترغيب في إنفاق المال في سبيل الله ، وتفصيل الكلام في قتال المشركين وأهل الكتاب وبيان أوضاع المنافقين . وبالرغم من هذا الشبه الموضوعي في السورتين ، وأنهما نزلتا في القتال ، فإنّ كل سورة تستقل عن الأخرى ، وليست التوبة جزءا من الأنفال ، فالأنفال سورة برأسها ، والتوبة سورة برأسها ، فهما متناسبتان تناسبا يوحي باتصالهما [3]. ويرى السيوطي أوجه الاتصال بينهما من حيث الإجمال والتفصيل :

1- إن صدر سورة التوبة تفصيل لإجمال قوله في سورة الأنفال : **((وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء))** :{ 58 } .

2 - آيات الأمر بالقتال متصلة بقوله في سورة الأنفال : **((وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ))**: {60} . ولذا قال في سورة التوبة في قصة المنافقين : **((وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً))**:{ 46} .

3 - ثم بين السورتين تناسب من وجه آخر ، وهو: أنه سبحانه في الأنفال تولى قسمة الغنائم ، وجعل خمسها خمسة أخماس ، وفي براءة تولى قسمة الصدقات ، وجعلها لثمانية أصناف [4].

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 100
[2] - نظم الدرر 3 / 182
[3] - ينظر : البرهان في تناسب سور القرآن 105
[4] 0 ينظر : تناسق الدرر في تناسب السور 92 – 93

موضوعات سورة يونس وسورة التوبة

تضمنت سورة التوبة ذكر صفات الرسول (صلى الله عليه وآله سلّم) ، وتخصيصه بمزايا السبق والقرب والاختصاص والملاطفة في الخطاب ، ووصفه بالرأفة والرحمة . وما انطوت عليه من قهر أعداءه وتأييده ونصره عليهم ، وظهور دينه ، تممت سورة يونس ما كان مظنة لتعجب المرتاب وتوقف الشاك ، بتبديد الشكوك والأوهام نحو إنزال الوحي على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، للتبشير والإنذار [1].

1 – معظم آيات سورة التوبة في أحوال المنافقين وموقفهم من القرآن، ومعظم آيات سورة يونس في أحوال الكفار والمشركين وقولهم في القرآن .

2 - ذكر في سورة التوبة أوصاف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) التي توجب الإيمان به ، وذكر في سورة يونس الكتاب الذي أنزل ، والنبي الذي أرسل ، وأنّ شأن الضالين التكذيب بالكتب الإلهية .

3 - إن في سورة التوبة بيانا لما يقول المنافقون عند نزول سورة من القرآن ، وذلك في قوله تعالى : **((وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ))**:{ 86 } ، وقريب من هذا القول في آخر سورة التوبة : **((وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ))**:{ 124 } .

أما ما ورد في سورة يونس فبيان لما يقوله الكفار في القرآن : **((أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))**:{ 38 } ، ومثل ذلك قولهم الذي حكاه القرآن : **((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ))** :{ 15} .

4 - في سورة التوبة ذم المنافقين بعدم التوبة والتذكر إذا أصابهم البلاء : **((أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ))** :{ 126} .

وفي سورة يونس ذم لمن يصيبه البلاء فيرعوي ثم يعود : **((وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ))**:{ 12} ، وقوله تعالى : **((هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ**

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 105 – 106

الشَّاكِرِينَ . فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)) {22 – 23}

5 - وفي سورة التوبة براءة الرسول من المشركين مع الأمر بقتالهم ، وفي يونس براءته من عملهم دون أمر بقتال ، بل بالإعراض وتخلية السبيل وهذا نوع من المناسبة في قوله : **((وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ))** :{ 41 } .

ويرى السيوطي التشابه بين مطلع سورة الأعراف وسورة يونس من أوجه المناسبة بينهما ، وهذا ما أدى إلى الإجمال والتفصيل فيهما : « إن مطلعها شبيه بمطلع سورة الأعراف .. وأيضا فقد ذكرت قصة فرعون وقومه في الأعراف ، فاختصر ذكر عذابهم ، وبسط في هذه السورة أبلغ بسط فهي شارحة لما أجمل في سورة الأعراف منه » [1].

موضوعات سورة هود وسورة يونس

وقد نزلت بعد سورة يونس ، وهي متفقة معها في معناها وموضوعها وافتتاحها بـ(الر) واختتامها بوصف الإسلام والقرآن والنبي الذي جاء بالحق من الله ، والدعوة إلى الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتفصيلها ما أجمل في سورة يونس من أمور الاعتقاد من إثبات الوحي والتوحيد والبعث والمعاد والثواب والعقاب والحساب ، وإعجاز القرآن وإحكام آياته ، ومحاجّة المشركين في ذلك وتحديهم بالقرآن ، وذكر قصص بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام.

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما كانت سورة يونس (عليه السلام) قد تضمنت من آي التنبيه والتحريك للنظر ، ومن العضات والتخويف والتهديد والترهيب والترغيب ، وتقريع المشركين والجاحدين والقطع بهم ، والإعلام بالجريان على حكم السوابق ، ووجوب التفويض والتسليم .. فلما تقرر هذا كله أتبع المجموع بقوله : **((الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ))** {سورة هود : 1} » [2].

يقول السيوطي : « إن سورة يونس ذكر فيها قصة نوح مختصرة جدا ، مجملة ، فشرحت في هذه السورة ، وبسطت بما لم يبسطه في غيرها من السور » [3].

ويقول سيد قطب : « سورتي يونس وهود متواليتين في ترتيب المصحف وفي ترتيب النزول أيضا . والعجيب أن هناك شبها كبيرا بين هاتين السورتين وهاتين ، في الموضوع ، وفي طريقة عرض هذا الموضوع كذلك ! ... إن سورة يونس تحتوي على جانب من القصص

---

[1] - تناسق الدرر في تناسب السور 93
[2] - البرهان في تناسب سور القرآن 108
[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 94

مجمل . إشارة إلى قصة نوح ، وإشارة إلى الرسل من بعده ، وشيء من التفصيل في قصة موسى ، وإشارة مجملة إلى قصة يونس . ولكن القصص إنما يجيء في السورة شاهدا ، ومثالا لتصديق الحقائق الاعتقادية التي تستهدفها السورة . أما سورة هود فالقصص فيها جسم السورة . وهو وإن جاء شاهدا ومثالا لتصديق الحقائق الاعتقادية التي تستهدفها ، إلا أنه يبدو فيه أن استعراض حركة العقيدة الربانية في التاريخ البشري هو الهدف الواضح البارز » [1].

موضوعات سورة يوسف وسورة هود

نزلت هذه السورة بعد سورة هود ، وهي مناسبة لها ، لما في كلّ من قصص الأنبياء، وإثبات الوحي على النبي (صلى الله عليه وسلّم) . وقد تكررت قصة كل نبي في أكثر من سورة في القرآن ، بأسلوب مختلف ، ولمقاصد وأهداف متنوعة ، بقصد العظة والاعتبار ، إلا قصة يوسف عليه السّلام ، فلم تذكر في غير هذه السورة ، وإنما ذكرت جميع فصولها بنحو متتابع شامل ، للإشارة إلى ما في القرآن من إعجاز ، سواء في القصة الكاملة أو في فصل منها ، وسواء في حالة الإجمال أو حالة التفصيل والبيان . قال العلماء : ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن ، وكرّرها بمعنى واحد في وجوه مختلفة ، بألفاظ متباينة على درجات البلاغة ، وذكر قصة يوسف ولم يكررها ، فلم يقدر مخالف على معارضة ما تكرّر ، ولا على معارضة غير المتكرر ، والإعجاز لمن تأمل .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « هذه السورة من جملة ما قص عليه (عليه السلام) من أنباء الرسل وأخبار من تقدمه مما فيه التثبيت .. وإنما أفردت على حدتها ولم تنسق على قصص الرسل مع أممهم في سورة واحدة لمفارقة مضمونها تلك القصص » [2].

1 - إن يونس نزلت ثم هود ثم يوسف ، وهذا وجه من وجوه المناسبة في ترتيب هذه السور الثلاث [3].

2 - تم التأكيد في سورة هود على أن كتاب الله محكم ، وأنه من عند الله ، ووجوب الإيمان بالتوحيد الخالص ، وذكر دعوة مجموعة من الرسل كهود وصالح ونوح ولوط وشعيب وموسى وهارون ، وكلهم دعوا أقوامهم للتوحيد الخالص ، وذكر عاقبة كفر أقوامهم وتكذيبهم ، فناسب أن يتم بذكر قصة يوسف (عليه السلام) من خلال قصته الكاملة .

موضوعات سورة النمل وسورة الشعراء

---

[1] - في ظلال القرآن 4 / 1843 - 1844

[2] - البرهان في تناسب سور القرآن 111

[3] - ينظر : تناسق الدرر في تناسب السور 95

إن سورة النمل نزلت بعد سورة الشعراء ، وهي تمضي على نسقها في الأداء ، وهي كالتتمة لسورة الشعراء في بيان بقية قصص الأنبياء ، وزاد فيها قصة داود وسليمان (عليهما السلام) : **((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ))** :{ 15 } ، إلى قوله تعالى : **((قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))** :{ 44 } .

وإن فيها تفصيلا لما أجمل في سورة الشعراء من القصص النبوي [1].

1 – ورد في قصة موسى في سورة الشعراء : **((فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ))** : {20 } . وتفصيل ذلك في سورة النمل : **((إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَاراً سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ . فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ . إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ . وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ))** :{ 7 – 14} .

2 – ورد في قصة صالح في سورة الشعراء : **((فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ))** :{ 158 } . وفصل ذلك في سورة النمل : **((وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ . قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ . وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ . قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ))** : {45 – 53 } .

3 – ورد في قصة لوط في سورة الشعراء : **((أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ))** :{ 165 – 166} ، وفصل ذلك في سورة النمل : **((وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ . أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن**

---

[1] - ينظر : م . ن 107

دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ . فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ . وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ)) :{ 54 – 58 } .

موضوعات سورة القصص وسورة النمل

إن سورة النمل وسورة القصص مكيتان ، وترتيبهما في النزول كترتيبهما في المصحف ، والسورتان تكملان ما ورد من قصص الأنبياء في سورة الشعراء ، وتظهر مناسبة هذه السورة لسورتي النمل والشعراء في أنها تفصيل لما أوجز فيهما من قصة موسى (عليه السلام) .

وكذلك فصلت هذه السورة موقف القرآن من توبيخ المشركين على إنكارهم يوم القيامة وقد بين في سورة النمل : **((وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ))** :{ 92} ، وذكر في سورة القصص حرمة مكة وأن النبي سيفتحها : **((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ))** :{ 5 } .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما تضمن قوله سبحانه : **((إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ))** {سورة النمل :91} ، إلى آخر السورة من التخويف والتهديد ما انجر معه الإشعار بأنه (عليه السلام) سيملك مكة ، ويفتحها تعالى عليه ، ويذل عتاة قريش ومتمرديهم ، ويعز أتباع رسوله (عليه السلام) ومن استضعفته قريش من المؤمنين . أتبع سبحانه ذلك بما قصّه على نبيه من نظير ما أشار إليه من فتنة بني إسرائيل ، وابتداء امتحانهم بفرعون ، واستيلائه عليهم وفتكه بهم إلى أن أعزهم الله وأظهرهم على عدوهم » [1].

ويقول السيوطي : « ظهر لي بعد الفكرة : أنه سبحانه لما حكى في الشعراء قول فرعون لموسى : **((قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ . وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ))** :{ 18 – 19} ، إلى قول موسى : **((فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ))** :{ 21 }. وقال في (طس النمل) قول موسى لأهله : **((إِنِّي آنَسْتُ نَاراً))** :{ 7 } ، إلى آخره .. ولما كان على سبيل الإشارة والإجمال ، بسط في هذه السورة – القصص – ما أوجز في السورتين ، وفصل ما أجمله فيهما على حسب ترتيبهما » [2].

موضوعات سورة العنكبوت وسورة القصص

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 141

[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 108

افتتحت سورة القصص بذكر استعلاء فرعون وجبروته ، وتفريقه الناس شيعا ، واستضعافه بني إسرائيل بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم ، ونجاة موسى (عليه السلام) مع قومه **((إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ))** :{ 4} . وافتتحت سورة العنكبوت بذكر قصة المسلمين في مكة الذين فتنهم المشركون عن دينهم ، وعذبوهم على الإيمان بنحو أقل من تعذيب فرعون بني إسرائيل ، حثا لهم على قوة التحمل والصبر ، وتسلية لهم بما وقع لمن قبلهم : **((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ))** :{ 2 – 3} [1]. ومن وجوه الاتصال بين السورتين:

1 – إن بين السورتين تشابها في الإشارة إلى موضوع الهجرة ، ففي خاتمة سورة القصص الإشارة إلى هجرة النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) : **((إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))** :{ 85 }، وفي خاتمة سورة العنكبوت الإشارة إلى هجرة المؤمنين : **((يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ))** :{ 56 } .

2 – الارتباط بين السورتين في تحديد الغاية والغرض ، ففي سورة القصص بيان العاقبة المحمودة للمتقين المتواضعين : **((تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ))** :{ 83 } ، وفي هذه السورة تقرير العاقبة الحسنة للمؤمنين الذين يعملون الصالحات : **((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ))** :{ 58 } .

ويربط سعيد حوى بين سورة العنكبوت وما جاء بعدها من سور فيقول : « نجد في سورة العنكبوت كلاما عن الكافرين والمنافقين ، ونجد في سورة الروم كلاما عن الكافرين ، ونجد في سورتي لقمان والسجدة كلاما عن الكافرين » [2].

موضوعات سورة الروم وسورة العنكبوت

تتشابه سورة الروم وسورة العنكبوت في المطلع ، فإن كلا منهما افتتح بـ (الم) غير مقرون بذكر التنزيل والكتاب والقرآن ، على خلاف القاعدة الخاصة في المفتتح بالحروف

[1] - ينظر : البرهان في تناسب سور القرآن 144 ، وتناسق الدرر في تناسب السور 109
[2] - الأساس في التفسير 8 / 4306

المقطعة ، فإنها كلها قرنت بذلك إلا هاتين السورتين وسورة القلم [1]. ومن أوجه الاتصال بين السورتين :

1 – عنف الله تعالى أهل مكة في سورة العنكبوت : **((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ))** :{ 67 } ، أي أولم يكفهم هذا في الاعتبار ليتبينوا . وذكر طائفة هم أكثر منهم قوة في سورة الروم : **((غُلِبَتِ الرُّومُ . فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ))** :{ 2 – 3 } ، فذكر تعالى غلب غيرهم لهم وأنهم ستكون لهم كرة ثم يغلبون وما ذاك إلا بنصر الله .

2 – وصف الله تعالى الحياة الدنيا في سورة العنكبوت : **((وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))** :{ 64 } ، وأتبع ذلك بتقلب حالها وأنها لا تصفوا ولا تتم . وبين علمهم بها في سورة الروم : **((يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ))** :{ 7 } ، أي لو علموا باطنها لتحققوا أنها لهو ولعب . وما يعضد كلا الأمرين قوله تعالى : **((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))** :{ 9 } .

3 – إن التوحيد في سورة العنكبوت جاء مجملا : **((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))** :{ 20 } . وفي سورة الروم جاء مفصلا : **((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ . وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ . وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ . وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))** :{20 – 27} .

موضوعات سورة لقمان وسورة الروم

تتشابه سورة لقمان وسورة الروم في المطلع ، والمناسبة بينهما تتخلص بالتكامل والتقابل : فالتقابل في حديث سورة الروم عن صراع ملوك الروم والفرس . وفي سورة لقمان

---

[1] - تناسق الدرر في تناسب السور 109 – 110

عن حكمة الفرد المؤمن . والتكامل في تنوع الآيات ، وتفصيل المواقف والعظات في باقي السورتين [1]. وذكر في سورة الروم مدى اعتزاز المشركين بأموالهم ورفضهم إشراك غيرهم فيها ، وذكر في سورة لقمان قصة لقمان الحكيم العبد الصالح الذي أوصى ابنه بالتواضع وترك التكبر .

1 – وصف الله تعالى قدرته على بدء الخلق والبعث في سورتي الروم ولقمان ، فقال في سورة الروم : **((وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))** :{ 27 } . وقال في سورة لقمان : **((مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ))** :{ 28 } .

2 – وأثبت الله تعالى في كلتا السورتين إيمان المؤمنين بالبعث ، فقال في سورة العنكبوت : **((وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ))** :{ 56 } . وهذا عين إيقانهم بالآخرة المذكور في مطلع هذه السورة : **((الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ))** :{ 4 } .

3 – حكى الله تعالى في السورتين ما عليه حال المشركين من القلق والاضطراب ، إذ يضرعون إلى الله في وقت الشدة ، ويكفرون به وقت الرخاء ، فقال في سورة الروم : **((وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ))** :{ 33 } . وقال في سورة لقمان : **((وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ))** :{ 32 } .

موضوعات سورة السجدة وسورة لقمان

تتشابه سورة السجدة وسورة لقمان في المطلع ، ووجه اتصالهما هو أن سورة السجدة شرحت مفاتح الغيب الخمسة التي ذكرت في خاتمة سورة لقمان : **((إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))** :{ 43} [2]. فبعض آيات هذه السورة شرحا وتفصيلا للآية السابقة كما يأتي :

1 – قوله تعالى في سورة السجدة : **((ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ))** :{ 5 } ، توضيح لقوله تعالى في سورة لقمان : **((إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ))** .

---

[1] - ينظر : البرهان في تناسب سور القرآن 148 – 149

[2] - ينظر : تناسق الدرر في تناسب السور 111

2 – وقوله سبحانه في سورة السجدة : **((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ))** :{ 27 } ، تفصيل لقوله في سورة لقمان : **((وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ))** .

3 – وقوله في سورة السجدة : **((الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ))** : 7 ، شرح لقوله في سورة لقمان : **((وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ))** .

4 – وقوله في سورة السجدة : **((يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ))** :{ 5 } ، شرح لقوله في سورة لقمان : **((وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً))** .

5 - وقوله في سورة السجدة : **((وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ . قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ))** :{10 – 11 } ، إيضاح لقوله في سورة لقمان : **((وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ))** .

ويربط ابن الزبير الغرناطي بين السور الثلاث ، فيقول : « لما انطوت سورة الروم على ما قد أشير إليه من التنبيه بعجائب ما أودعه سبحانه في عالم السماوات والأرض ،وعلى ذكر الفطرة ، ثم أتبعت بسورة لقمان تعريفا بأن مجموع تلك الشواهد من آيات الكتاب وشواهده ودلائله ، وأنه هدى من شاء إلى سبيل الفطرة ... فلما كانت سورة لقمان بما بيّن من مضمنها محتوية على التنبيه والتحريك على ما ذكر ، ومعلمة بانفراده سبحانه بخلق الكل وملكهم ، أتبعها سبحانه بما يحكم بتسجيل صحة الكتاب وأنه من عنده ، وأن ما أنطوى عليه من الدلائل والبراهين يرفع كل ريب ويزيل كل شك » [1].

موضوعات سورة الأحزاب وسورة السجدة

افتتح سبحانه سورة الأحزاب بأمر نبيه ونهيه عن الصغو إلى الكافرين والمنافقين وإتباعه ما يوحى إليه : **((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً))** :{ 1 } ، وتنزيها لقدره عن محنة من سبق له الامتحان ممن قدم ذكره في سورة السجدة : **((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ))** :{ 23} ، ولما تحصل في سورتي لقمان والسجدة ممّا يعقب العالم من الخوف لغيبة العلم بالخواتم ، وما جرى في السورتين من الإشارة إلى السوابق ، كان ذلك مظنة لتيئيس نبي الله (صلى الله عليه وسلم) وصالحي عباده ، فلهذا أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس والبشارة ما يجري على المعهود من لطفه تعالى وسعة رحمته : **((وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً))** :{ 3 } [2].

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 151
[2] - م . ن 152 – 153

موضوعات سورة سبأ وسورة فاطر

ترتبط سورة سبأ بسورة فاطر بتشابه المطلع ، يقول فخر الدين الرازي : « السور المفتتحة بالحمد خمس سور : سورتان منها في النصف الأول ، وهما الأنعام ، والكهف ، وسورتان في الأخير ، وهما هذه السورة ، وسورة الملائكة – فاطر – ، والخامسة وهي فاتحة الكتاب تقرأ مع النصف الأول ومع النصف الأخير » [1].

وسورتي الأنعام والكهف غير مرتبتين على التوالي ، وسورتي سبأ وفاطر مرتبة على التوالي بتقديم سورة سبأ وتأخر سورة فاطر ؛ لأن سورة سبأ ترتبط مع سورة الأحزاب بسبب النزول هو الذي كون المناسبة بين السورتين .

وسبب النزول : أن أبا سفيان قال لكفار مكة لما سمعوا : **((لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً))** {سورة الأحزاب : 73 } إن محمدا يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت ، ويخوفنا بالبعث ، واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدا ، ولا نبعث ، فقال الله : قل يا محمد : **((بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ))** {سورة التغابن : 7} وباقي السورة تهديد لهم وتخويف . « ومن ذكر هذا السبب ظهرت المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها » [2].

موضوعات سورة غافر وسورة فاطر

سور الحواميم تبدأ هذه السور بحرفي (حم) فتسمى ذوات الحاميم أو آل الحاميم أو الحواميم ، وهي متوالية في المصحف : سورة غافر ، وسورة فصلت ، وسورة الشورى ، وسورة الزخرف ، وسورة الدخان ، وسورة الجاثية ، وسورة الأحقاف .

وقد تحدثت سورة الزمر في أهل الجنة : **((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ . وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))** :{ 73 – 75 } . وتبين سورة غافر ما أوصل المؤمنين إلى الجنة .

ويربط ابن الزبير الغرناطي بين أول سور الحواميم بسورة الزمر ، فيقول : « لما افتتح سورة الزمر بالأمر بالإخلاص وذكر سببه ، والحامل بإذن الله عليه وهو الكتاب ، وأعقب ذلك بالتعريض بذكر من بنيت على قصصهم سورة ص ، وتتابعت الآي في ذلك الغرض ...

---

[1] - التفسير الكبير 25 / 239

[2] - البحر المحيط 7 / 247

فلما أنطوت هذه الآي من آثار عزته وقهره على ما أشير إلى بعضه أعقب سبحانه بقوله : **((حم . تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ))** :{ 1 – 2 } » [1].

موضوعات سورة فصلت وسورة غافر

جاءت سورة فصلت بعد سورة غافر التي تدور حول الحجج التي أوردها القرآن الكريم على أحقية الرسالة ، وجدوى إرسال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ووجوب تطبيق الإسلام ، وفي سورة فصلت وصف للمنهج الذي يريده الله للإنسانية بعدما أفحمهم في وجوب إتباع الرسول . وفي سورة غافر بين الله جل وعلا الصراع العقلي والعلمي بين المؤمنين والمشركين ، وجاءت سورة فصلت طبيعة المنهج الذي يسير عليه بعض المؤمنين .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما تضمنت سورة غافر بيان حال المعاندين وجاحدي الآيات ، وأن ذلك ثمرة تكذيبهم وجدالهم ، وكان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها وختمها بذلك .. فقال تعالى : **((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ))** :{ 82 } ، إلى ختم السورة ، ولم يقع التنبيه – الذي دارت عليه آي هذه السورة – في سورة الزمر شيء ، ولا من تكرار التحذير من تكذيب الآيات ، فلما بنيت على هذا الغرض أعقبت بذكر الآية العظيمة التي تحديت بها العرب ، وقامت بها حجة الله سبحانه على الخلق ، وكأن قد قيل لهم : احذروا ما قدم لكم ، فقد جاءكم محمد (صلى الله عليه وسلم) بأوضح آية وأعظم برهان: **((تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))** :{ 2 – 3 } ، وتضمنت هذه السورة العظيمة من بيان عظيم الكتاب وجلالة قدره وكبير الرحمة به ما لا يوجد في غيرها من أقرانها » [2].

وأجمل في سورة غافر هلاك من عاند وكذب : **((أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ))** :{ 21 } . وفصل في سورة فصلت من تعرض للهلاك من الأمم السابقة : **((فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ . إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ . فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ . وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))** :{ 13 – 17 } .

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 165 – 166
[2] - البرهان في تناسب سور القرآن 167 – 169

موضوعات سورة الشورى وسورة فصلت

يرتبط مضمون سورة الشورى بمضمن سورة فصلت ، في أنهما تتحدثان في القرآن الكريم ففي فصلت قوله تعالى : **((حم . تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ))** : {1 – 3 } . وفي سورة الشورى قوله تعالى : **((حم . عسق . كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ))** : {1 – 3 } . وفي السورتين حديث عن دلائل الوحدانية ، ففي سورة فصلت : **((قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ . ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ . فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ))** :{ 9 – 12 }. وفي سورة الشورى : **((لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))** :{ 4 – 5 }. وفي السورتين حديث عن جزاء المؤمنين ومصير الكافرين .

موضوعات سورة الزخرف وسورة الشورى

يرتبط مضمون سورة الزخرف بمضمون سورة الشورى ، في حديث السورتين عن القرآن ، وفي الحديث عن جزاء المؤمنين ومصير الكافرين ، وفي الحديث عن دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما أخبر سبحانه بامتحان خَلف بني إسرائيل في شكهم في كتابهم .. ووصى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالتبري من سيء حالهم ، والتنزه عن سوء محالهم .. وتكرر الثناء على الكتاب العزيز .. أعقب ذلك بالقسم به وعضد الثناء عليه فقال : **((حم . وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ . إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ))** : {1 – 4} »[1] .

موضوعات سورة الدخان وسورة الشورى

ترتبط سورة الدخان بسورة السجدة في الحديث عن الكتاب ، يقول البقاعي : « لما تضمنت سورة (حم السجدة) وسورة الشورى من ذكر الكتاب العزيز ما قد أشير إليه ، مما لم تنطوي سورة غافر على شيء منه ، وحصل من مجموع ذلك الإعلام بتنزيله من عند الله

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 171 – 172

وتفصيله ، وكونه قرآنا عربيا .. وتعلق الكلام بعضه ببعض إلى آخر السورة . استفتح تعالى سورة الدخان بما يكمل ذلك الغرض ، وهو التعريف بوقت إنزاله غلى السماء الدنيا » [1].

موضوعات سورة الجاثية وسورة الدخان

ترتبط سورة الجاثية بما تقدمها من سور ، ويقول ابن الزبير الغرناطي : « لما تضمنت السور الثلاث المتقدمة إيضاح أمر الكتاب، وعظيم بيانه ، وأنه شاف كاف ، وهدى ونور ، وكان أمر من كفر به من العرب أعجب شيء لانقطاعهم وعجزهم وقيام الحجة به عليهم ، حتى رضوا بالقتل والخزي في العاجل ، وما فاهوا بادعاء معارضة ، ولا تشوفوا إلى الاستناد إلى عظيم تلك المعارضة . أتبع ذلك تعالى بتنبيه نبيه والمؤمنين على ما قد نصبه من الدلائل » [2].

موضوعات سورة الفتح وسورة محمد

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من وجوه :

1 – إن سورة محمد أمر فيها بقتال العدو ووعد بالنصر : **((فَإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ . سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ . وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ))** :{ 4 – 7 } . وبين عاقبة النصر في سورة الفتح : **((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً . وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً . هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً))** :{1 – 4 } .

2 – لما قال في سورة محمد : **((فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ))** :{35} ، وكان هذا إجمالا . تضمنت سور الفتح تفسير هذا الإجمال وبسطه .

موضوعات سورة النبأ وسورة المرسلات

تشابه سورة النبأ سورة المرسلات في الكلام عن البعث وإثباته بالدليل ، وبيان قدرة الله عليه ، وتوبيخ الكفار المكذبين به ، ففي سورة المرسلات : **((أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ . ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ . كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ. وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاء مَّهِينٍ . فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ . إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ . فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً . أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً . وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتاً . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ**

---

[1] - م . ن 173

[2] - م . ن 174

لِّلْمُكَذِّبِينَ)) :{ 16 – 27 } . وفي سورة النبأ : **((أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً . وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً. وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً. وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً . وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً . وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجاً . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً))** :{ 6 – 16 } . واشتراك السورتين في وصف الجنة والنار ، ونعيم المتقين وعذاب الكافرين ، ووصف يوم القيامة وأهواله . وقد فصّلت سورة نبأ ما أجمل في سورة المرسلات، فقال تعالى في سورة المرسلات : **((لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ . لِيَوْمِ الْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ))** : {12 – 14} .

وقال سبحانه في سورة النبأ : **((إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً . يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً . وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَاباً . وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً. إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً . لِلْطَّاغِينَ مَآباً . لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً . لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلَا شَرَاباً. إِلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً . جَزَاء وِفَاقاً))** :{ 17 – 26 } .

يقول ابن الزبير الغرناطي : ((وأما قوله تعالى : **((كَلَّا سَيَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ))** :{ 4 – 5 } ، فمناسب للوعيد المتكرر في قوله : **((وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ))** ، وكأن قد قيل : سيعلمون عاقبة تكذيبهم » [1].

موضوعات سورة النازعات وسورة سبأ

تتعلق سورة النازعات بسورة النبأ ذكر فيهما الحديث عن القيامة وأحوالها ، وعن مآل المتقين ، ومرجع المجرمين . ومطلع السورتين في الحديث عن البعث والقيامة ، الأولى تؤكد وجود البعث وما فيه من أهوال وحساب وجزاء ، والثانية افتتحت بالقسم على وقوع القيامة لتحقيق ما في آخر عم . وسورة النبأ اختتمت بالإنذار بالعذاب القريب يوم القيامة **((ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً . إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً))** :{ 39 – 40 }. وسورة النازعات ختمت بالكلام عما في أولها من إثبات الحشر والبعث ، وتأكد حدوث القيامة : **((يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا . إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا . إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا . كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا))** :{ 42 – 46 } ، فكان ذلك كالدليل والبرهان على مجيء القيامة وأهوالها .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما أوضحت سورة النبأ حال الكافرين في قوله : **((يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً))** : {40} ، عند نظره ما قدمت يداه ومعاينته من العذاب عظيم ما يراه ، وبعد ذكر تفصيل أحوال وأهوال . أتبع ذلك بذكر ما قد كانت حاله عليه في دنياه من استبعاد عودته

---

[1] - البرهان في تناسب سور القرآن 219

قي أخراه ، وذكر هون ذلك عليه سبحانه .. ثم ذكر تعالى من قصة فرعون وطغيانه ما يناسب الحال في قصد الاتعاظ والاعتبار » [1].

ويقول أبو حيان : « لما ذكر في آخر ما قبلها الإنذار بالعذاب يوم القيامة اقسم في هذه على البعث يوم القيامة ، ولما كانت الموصوفات بها محذوفات وأقيمت صفاتها مقامها ، وكان لهذه الصفات تعلقات مختلفة اختلفوا في المراد بها » [2].

موضوعات سورة عبس وسورة النازعات

تتعلق سورة عبس بسورة النازعات ، فيما ذكر في سورة النازعات ، من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منذر من يخشى الساعة ، أما في سورة عبس فذكر من ينفعه الإنذار، وهم الذين كان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يناجيهم في أمر الإسلام ويدعوهم إليه ، وفي النازعات جاءت قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون ، وفي سورة عبس جاءت قصة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . كما أن بينهما تشابها في موضوع الحديث عن يوم القيامة وأهوالها ، وإثبات البعث بمخلوقات اللّه في الإنسان والكون ، فسورة النازعات وصفت القيامة بقوله تعالى : ((**فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى**)) :{ 34 } ، وفي سورة عبس وصفت بقوله سبحانه : ((**فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ**)) :{ 33 } ، وهما من أسماء يوم القيامة .

وفي سورة النازعات أثبت اللّه البعث بخلق السماء والأرض والجبال ((**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا . وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا . وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا. أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا . وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا . مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**)){ 27 – 30} ، وفي سورة عبس أثبته بخلق الإنسان والنبات والطعام : ((**فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ . أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً . فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً. وَعِنَباً وَقَضْباً . وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً . وَحَدَائِقَ غُلْباً . وَفَاكِهَةً وَأَبّاً . مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ**)) :{ 24 – 32 } .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما قال سبحانه : ((**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى**)) : 26 ، وقال : ((**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا**)) : 45 ، افتتحت هذه السورة – عبس – الأخرى بمثال يكشف عن المقصود من حال أهل التذكر والخشية وجميل الاعتناء الرباني بهم » [3].

ويقول أبو حيان : « ومناسبتها لما قبلها : انه لما ذكر : ((**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا**)) : 45 ، ذكر في هذه من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه الإنذار ، وهم الذين كان رسول الله (صلى

---

[1] - م . ن 220
[2] - البحر المحيط 8 / 411
[3] - البرهان في تناسب سور القرآن 221

الله عليه وسلم) يناجيهم في أمر الإسلام ، عتبة بن ربيعة ، وأبو جهل ، وأبيّ وأمية ويدعوهم إليه » [1].

ويقول البقاعي : « مقصودها – سورة عبس – شرح **((إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا))** بأن المراد الأعظم تزكية القابل للخشية بالتخويف بالقيامة التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان ، وبكل من الابتداء والإعادة لطعامه والتعجب ممن أعرض مع قيام الدليل والإشارة إلى أن الاستغناء والترف أمارة الإعراض وعدم القابلية والتهيؤ للكفر والفجور ، وإلى أن المصائب أمارة للطهارة والإقبال واستكانة القلوب وسمو النفوس لشريف الأعمال» [2].

موضوعات سورة المطففين وسورة الانفطار

في سورة الانفطار وسورة المطففين توضيح أحوال يوم القيامة . وقد ذكر الله تعالى في الانفطار : **((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ))** :{ 10 – 11} ، وذكر في سورة المطففين ما يكتبه الحافظون : **((كِتَابٌ مَّرْقُومٌ))** :{ 20 } ، يجعل في عليين ، أو في سجين . وذكر الله تعالى تصنيف الناس إلى فريقين : أبرار وفجار في كل من السورتين ، وذكر مآل كل فريق ، إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما قال سبحانه في سورة الانفطار : **((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ))** ، وكان مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال، وأنه لا يفوت عمل .. أتبع الآية المتقدمة بجزاء من عمل عملا يتوهم فيه قرب المرتكب ، وهو من أكبر الجرائم ، وذلك التطفيف في المكيال والميزان » [3].

ويقول أبو حيان : « لما ذكر تعالى السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظم شأن يومه، ذكر ما أعد لبعض العصاة ، وذكّرهم بأخس ما يقع من المعصية ، وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئا في تثمير المال وتنميته » [4].

ويقول الآلوسي : « اشتمال هذه السورة من شرح حال المكذبين المذكورين هناك على زيادة تفصيل » [5].

موضوعات سورة الإنشقاق وسورة الانفطار

إن السور الأربعة : الانشقاق وما قبلها وهي سور المطففين والانفطار والتكوير كلها في صفة حال يوم القيامة ، ذكرت على ترتيب ما يقع فيه ، فغالب ما وقع في التكوير ، وجميع ما وقع في الانفطار يقع في صدر يوم القيامة ، وأغلب ما ذكر في المطففين في أحوال الأشقياء

---

[1] - البحر المحيط 8 / 418
[2] - نظم الدرر 8 / 323
[3] - البرهان في تناسب سور القرآن 224
[4] - البحر المحيط 8 / 431
[5] - روح المعاني 30 / 67

الفجار والمتقين الأبرار في الآخرة [1]. وعنيت سورة الانشقاق بالجمع بين ما يحدث من مقدمات ومشاهد الآخرة الرهيبة وبين ما يعقب ذلك من الحساب اليسير لأهل اليمين والحساب العسير لأهل الشمال . وفي السورة المتقدمة ذكر مقر كتب الحفظة ، وفي هذه ذكر كيفية عرضها يوم القيامة .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما تقدم في الانفطار التعريف بالحفظة وإحصائهم على العباد في كتبهم ، وعاد الكلام إلى ذكر ما يكتب على البر والفاجر واستقر ذلك ، إلى قوله تعالى : **((إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ))** :{ 18} ، وقوله : **((إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ))** :{ 7 } . اتبع ذلك هنا – في سورة الانشقاق – بذكر هذه الكتب في القيامة عند العرض ، وأن أخذها بالأيمان عنوان السعادة ، وأخذها وراء الظهر عنوان الشقاء ، إذ تقدم في السورتين قبل ذكر الكتب واستقرارها بحسب اختلاف مضمناتها منها في عليين ومنها في سجين إلى يوم العرض فيؤتى كل كتابه » [2].

ويقول السيوطي : « لما قال في الانفطار **((وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ . كِرَاماً كَاتِبِينَ))** : { 10 – 11} ، وذلك في الدنيا . ذكر في هذه السورة حال ما يكتبه الحافظان ، وهو : كتاب مرقوم جعل في عليين ، أو في سجين ، وذلك أيضا في الدنيا ، لكنه عقب بالكتابة ، إما في يومه ، أو بعد الموت في البرزخ » [3].

وأوجز الآلوسي وجه ترتيب هذه السور: « في سورة الانفطار التعريف بالحفظة الكاتبين ، وفي سورة المطففين مقر كتبهم ، وفي سورة الانشقاق عرض الكتب يوم القيامة» [4].

موضوعات سورة البروج وسورة الانشقاق

مناسبة هذه السورة في مضمونها لما قبلها ، هو اشتمال السورتين على وعد المؤمنين، ووعيد الكافرين ، والتنويه بعظمة القرآن. وتضمنت سورة الإنشقاق أن الله عليم بما يجمع المشركون في صدورهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلّم) والمؤمنين معه من أنواع الأذى المادي ، كالضرب والقتل والتعذيب في حر الشمس ، والأذى المعنوي ، من حقد وحسد، وعداوة ، ومكر ، وخوف على فوت المنافع ، وذكر في سورة البروج أن هذا شأن من تقدمهم من الأمم الكافرة الفاجرة . وفي هذا عظة للمشركين وتثبيت للمؤمنين .

يقول فخر الدين الرازي : « المقصود من هذه السورة تسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه عن إيذاء الكفار وكيفية تلك التسلية هي انه تعالى بين أن سائر الأمم السالفة

---

[1] - ينظر : تناسق الدرر في تناسب السور 134
[2] - البرهان في تناسب سور القرآن 224
[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 134 – 135
[4] - روح المعاني 30 / 78

كانوا كذلك مثل أصحاب الأخدود ومثل فرعون ومثل ثمود . وختم ذلك بأن بين أن كل الكفار كانوا في التكذيب ، ثم عقب هذا الوجه بوجه آخر وهو قوله : **((وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ))** : 20 ، ذكر وجها ثالثا وهو أن هذا شيء مثبت في اللوح المحفوظ ممتنع التغيير وهو قوله : **((بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ))** :{ 21 } ، فهذا ترتيب السورة » [1].

ويرى ابن الزبير الغرناطي أن سورة البروج فيها التفات وعدول عن الخطاب الوارد في سورة الانشقاق : « وردت هذه السورة في معرض الالتفات والعدول إلى إخبار نبي الله (صلى الله عليه وسلم) بما تضمنته هذه السورة من قصة أصحاب الأخدود وقد تقدم هذا الضرب في سورة المجادلة وسورة سبأ ، وبينا وقوعه في أنفس السور وبينها وهو أقرب فيما بين السورتين وأوضح » [2].

ويفصل أبو حيان في قول الرازي وفي بيان التسلية : « لما ذكر أنه تعالى أعلم بما يجمعون للرسول (صلى الله عليه وسلم) وللمؤمنين من المكر والخداع وإذاية من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والصلب والحرق بالشمس وإحماء الصخر ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه . ذكر أن هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الأمم يعذبون بالنار ، وأن أولئك الذين اعرضوا على النار كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم أو يحرموا ،وأن أولئك الذين عذبوا عباد الله ملعونون فكذلك الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون ، فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذب » [3].

ويقول البقاعي : « مقصودها الدلالة على القدرة على مقصود الانشقاق الذي هو صريح آخرها من تنعيم الولي وتعذيب الشقي بمن عذبه في الدنيا ممن لا يمكن في العادة أن يكون عذابه ذلك إلا من الله وحده تسلية لقلوب المؤمنين ، وتثبيتا لهم على أذى الكافرين»[4].

موضوعات سورة الطارق وسورة البروج

إن مضمون السورتين متحد ، فسورة البروج مضمونها الفتن ، وتسلية المؤمنين بأن ما أصابهم قد أصاب غيرهم ما هو أكب منه . وسورة الطارق مضمونها إبراز المظاهر الواضحة للقدرة الإلهية ، وهو الانتصار للمظلومين ولو بعد حين . والتشابه في الكلام عن البعث والمعاد وعن صفة القرآن للردّ على المشركين المكذّبين به وبالبعث .

---

[1] - التفسير الكبير 31 / 114
[2] - البرهان في تناسب سور القرآن 225
[3] - البحر المحيط 8 / 442 – 443
[4] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 8 / 376

ففي سورة البروج : **((إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ))** :{ 13 } ، وفي هذه السورة : **((إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ))** : { 8 } ، وفي السورة البروج : **((بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ))** { 21 – 22 } ، وفي هذه السورة : **((إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ))** : 13 .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما قال تعالى في سورة البروج : **((وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))** :{ 9 } ، **((وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ))** :{ 20 } ، وكان في ذلك تعريف العباد بأنه سبحانه لا يغيب عنه شيء ولا يفوته هارب ، أردف ذلك بتفصيل يزيد في إيضاح ذلك التعريف الجملي ، من شهادته سبحانه على كل شيء ، وإحاطته به : **((إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ))** :{ 4} ، فأعلم سبحانه بخصوص كل نفس بمن يحفظ أنفاسها .. ليعلم العبد أنه ليس بمهمل ولا مضيع)) [1].

ويقول السيوطي : « هما متآخيتان فقرنتا ، وقدمت الأولى لطولها ، وذكرا بعد الإنشقاق للمؤخاة في الافتتاح بذكر السماء » [2].

موضوعات سورة الأعلى وسورة الطارق

تظهر صلة هذه السورة بما قبلها في أن سورة الطارق ذكرت خلق الإنسان في قوله تعالى : **((خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ))** :{ 6 } ، وبدء خلق النبات في قوله : **((وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ. وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ))** :{ 11 – 12 } . وسورة الأعلى تحدثت فيما هو أعم وأشمل من خلق الإنسان وغيره : **((الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى))** :{ 2 } ، وخلق النبات في قوله : **((وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى. فَجَعَلَهُ غُثَاء أَحْوَى))** :{ 4 – 5 } . والمتأمل لأخر سورة الطارق وأول سورة الأعلى يشعر كأن السورتين قطعة واحدة .

يقول ابن الزبير الغرناطي : « لما قال سبحانه مخبرا عن عمه الكفار في ظلام حيرتهم **((إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً))** {سورة الطارق : 15} ، وكان وقوع هذا من العبيد المحاط بأعمالهم ودقائق أنفاسهم وأحوالهم من أقبح مرتكب وأبعده عن المعرفة بشيء عظيم أمر الخلق جل جلاله وتعالى علاءه وشأنه ، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه (عليه السلام) بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم وافترائهم » [3].

ويقول السيوطي : « قصة النبات في هذه السورة أبسط ، كما إن قصة الإنسان هناك أبسط . نعم ما في هذه السورة أعم من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات » [4].

موضوعات سورة الغاشية وسورة الأعلى

---

[1] - البرهان في تناسب يور القرآن 225
[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 135
[3] - البرهان في تناسب سور القرآن 226
[4] - تناسق الدرر في تناسب السور 136

سورة الغاشية تفصيل وتبسيط لما جاء في سورة الأعلى من أوصاف المؤمن والكافر والجنة والنار إجمالا ، فلما قال تعالى في سورة الأعلى : **((سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى . وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى . الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى . ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى . قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى . وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى . بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى))** : {10- 17 } .

فصل ذلك في سورة الغاشية بقوله : **((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ . تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً . تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ . لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ . لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ))** { 2- 7 } ، ثم ذكر صفات وأحوال المؤمنين **((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ . لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ . لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً . فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ . فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ . وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ . وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ))** :{ 8- 16} . ولما قال تعالى في الأعلى : **((وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى))** أبان صفة الجنة في الآيات السابقة أكثر من صفة النار ، تحقيقا لمعنى الخيرية .

يقول البقاعي : « مقصودها شرح ما في آخر (سبح) من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن العبث بإثبات الدار الآخرة التي الغاشية مبدؤها ، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى ، والدلالة على القدرة عليها » [1].

يقول السيوطي : « لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله : **((سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى . وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى . الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى))** إلى قوله : **((وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى))** إلى المؤمن والكافر ، والنار والجنة إجمالا ، فصل ذلك في هذه السورة . فبسط صفة النار والجنة مستندا إلى أهل كل منهما ، على نمط ما هنالك ، ولذا قال هنا : **((عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ))** في مقابل : **((الْأَشْقَى))** هناك . وقال هنا : **((تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً))** إلى : **((لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ))** في مقابل : **((يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى))** هناك »[2].

موضوع سورة الفجر وسورة الغاشية

تضمنت سورة الغاشية قسمة الناس إلى فريقين : أشقياء وسعداء ، أصحاب الوجوه الخاشعة ، وأصحاب الوجوه الناعمة . واشتملت سورة الفجر على ذكر طوائف من الطغاة : عاد وثمود وفرعون الذين هم من الفريق الأول ، وطوائف من المؤمنين المهتدين الشاكرين نعم الله ، الذين هم في عداد الفريق الثاني ، فكان الوعد والوعيد حاصلا في السورتين.

يقول أبو حيان : « لما ذكر فيما قبلها : **((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ))** :{ 2 } ، و**((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ))** :{ 8 } ، أتبعها بذكر الطوائف المتكبرين المكذبين المتجبرين الذين وجوههم

---

[1] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 8 / 404
[2] - تناسق الدرر في تناسب السور 136

خاشعة ، وأشار إلى الصنف الآخر الذين وجوههم ناعمة بقوله : **((يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ))** : 27 ، وأيضا لما قال : **((إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ))** : 23 ، وقال هنا : **((إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ))**:{14} ، تهديدا لمن كفر وتولى » [1].

ويقول البقاعي : « مقصودها الاستدلال على آخر الغاشية الإياب والحساب ، وأدل ما فيها على هذا المقصود الفجر بانفجار الصبح عن النهار الماضي بالأمس من غير فرق في شيء من الذات وانبعاث النيام من الموت الأصغر وهو النوم بالانتشار في ضياء النهار لطلب المعايش للمجازاة في الحساب بالثواب والعقاب » [2].

موضوع سورة البلد وسورة الفجر

بين سورتي البلد والفجر تكامل فقد ذم الله تعالى في سورة الفجر من أحب المال ، وأكل التراث، ولم يحض على طعام المسكين . وذكر في سورة البلد الخصال التي تطلب من صاحب المال من فك الرقبة (إعتاق العبيد) والإطعام في يوم المسغبة (المجاعة) . وما ختم به الله تعالى سورة الفجر من بيان حال النفس المطمئنة في الآخرة . وذكر في سورة البلد طريق الاطمئنان وحذّر من ضده وهو الكفر بآيات الله ومخالفة أوامر الرحمن. ورد في سورة الفجر : **((كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ . وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ))** :{ 17 – 18 } . وفي سورة البلد : **((فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُّ رَقَبَةٍ . أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ . يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ))** :{ 11 – 16} . وختمت سورة الفجر بالكلام على الكافرين : **((وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى . يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي . فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ . وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ))** :{ 23 – 26 }. وختمت سورة البلد بكلام عن الكافرين أيضا : **((وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ . عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ))** :{ 19 – 20 } .

يقول أبو حيان : « لما ذكر تعالى ابتلاءه للإنسان بحال التنعيم ، وحالة التقدير ، وذكر من صفاته الذميمة ما ذكر وما آل إليه حاله وحال المؤمن ، اتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيء وما آل إليه في الآخرة » [3].

ويقول البقاعي : « لما ختم كلمات الفجر بالجنة التي هي أفضل الأماكن التي يسكنها الخلق ، لاسيما ، المضافة إلى اسمه الأخص المؤذن بأنها أفضل الجنان ، بعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الأمارة التي وقعت في كبد الندم الذي يتمنى لأجله العدم ، بعد ما تقدم

---

[1] - البحر المحيط 8 / 462
[2] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 8 / 413
[3] - البحر المحيط 8 / 469

من أنها لا تزال في كبد ابتلاء المعيشة في السراء والضراء . افتتح هذه – سورة البلد – بالأمارة مقسما في أمرها بأعظم البلاد وأشرف أولي الأنفس المطمئنة » [1].

موضوع سورة الشمس وسورة البلد

أبان الله تعالى في آخر آيات سورة البلد مصير أو مآل الكفار في الآخرة وهو النار ، وذكر تعالى في أواخر هذه السورة عقاب بعض الكفار في الدنيا ، وهو الهلاك ، فاختتمت السابقة بشيء من أحوال الكفار في الآخرة ، واختتمت هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا. فقال في سورة البلد :**((وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ .عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ))**:{ 19 – 20 } وهي من أحوال الآخرة . وقال في سورة الشمس : **((فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا . وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا))** :{ 14 – 15} ، وهي من أحوال الدنيا .

يقول أبو حيان : « لما تقدم القسم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها ، أقسم هنا – في سورة الشمس – بشيء من العالم العلوي ، والعالم السفلي ، وبما هو آلة التفكر في ذلك ، وهو النفس ، وكان آخر ما قبلها مختتما بشيء من أحوال الكفار في الآخرة . فاختتم هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا ، وفي ذلك بما آلهم في الآخرة إلى النار ، وفي الدنيا إلى الهلاك المستأصل» [2].

ويقول البقاعي : « لما أثبت في سورة البلد أن الإنسان في كبد ، وختمها بأن من حاد عن سبيله كان في أنكد النكد ، وهو النار المؤصدة ، أقسم أول هذه على أن الفاعل لذلك أولا وآخرا هو الله سبحانه .. فقال مقسما بما يدل على تمام علمه وشمول قدرته في الآفاق علويها وسفليها ، والأنفس سعيدها وشقيها ، وبدأ بالعالم العلوي .. مع أن أول المقسم به مذكّر بما ختم به آخر تلك من النار » .

ويقول السيوطي : (« سورة الشمس ظاهرة الاتصال بسورة البلد فإنه سبحانه لما ختمها بذكر أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أراد الفريقين على سبيل الفذلكة ، فقوله في الشمس : **((قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا))** :{ 9 } ، هم أصحاب الميمنة في سورة البلد ، وقوله : **((وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا))** : {10} ، في الشمس هم أصحاب المشأمة في سورة البلد ، فكانت هذه السورة فذلكة تفصيل تلك السورة » [3].

موضوع سورة الليل وسورة الشمس

ابتدئ في سور الليل ذكر الليل ثم ذكر النهار ، وهو عكس ما في سورة الشمس ؛ لأن هذه السورة نزلت قبل سورة الشمس ، ولما ذكر في سورة الشمس : **((قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ**

---

[1] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 8 / 425
[2] - البحر المحيط 8 / 473
[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 137 – 138

خَابَ مَن دَسَّاهَا)) :{ 9 – 10 } ، ذكر في سورة الليل من الأوصاف ما يحصل به الفلاح ، وما تحصل به الخيبة بقوله تعالى : **((فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى . وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى))** :{ 5 – 10 } ، فهي كالتفصيل لما قبلها.

يقول أبو حيان : « لما ذكر فيما قبلها : **((قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا))** ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الخيبة ، ثم حذر النار وذكر من يصلاها ومن يتجنبها»[1].
أي أنها جاءت للحض على تجنب أوصاف الخيبة ، والتحذير من أوصاف من يصلى النار .

ويقول البقاعي : « لما بين في الشمس حال من زكى نفسه وحال من دساها ، وأوضح في آخرها من مخالفة ثمود لرسولهم ما أهلكهم ، فعلم أن الناس مختلفون في السعي في تحصيل نجد الخير ونجد الشر ، فمنهم تغلب عليه ظلمة اللبس ، ومنهم يغلب عليه نهار الهدى فتباينوا في مقاصدهم ، وفي مصادرهم ومواردهم ، بعد أن أثبت أنه هو الذي تصرف في النفوس بالفجر والتقوى ، أقسم أول هذه – الليل – بما يدل على عجائب صنعه في ضره ونفعه على ذلك ، تنبيها على تمام قدرته في أنه الفاعل بالاختيار » [2].

ويقول السيوطي في اتصال سورة الليل بما سبقها وما تلاها : « إنها تفصيل إجمال سورة الشمس فقوله : **((فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى))** :{ 5 } ، وما بعدها تفصيل : **((قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا))** :{ 9 } ، وقوله : **((وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى))** :{ 8 } ، تفصيل قوله : **((وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا))**:{ 10} . ونزيد في سورة الضحى : أنها متصلة بسورة الليل من وجهين : فإن فيها : **((وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى))**:{ 13 } . وفي الضحى : **((وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى))** { 4}. وفي الليل : **((وَلَسَوْفَ يَرْضَى))** : {21 }، وفي الضحى : **((وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى))**{5} »[3].

موضوع سورة الكوثر وما تقدمها وما تلاها

الصلة وثيقة بين سورة الكوثر وما تقدمها وما تلاها ، وقد جاءت سورة الماعون لتبين موقف الكافرين من الخير عامة ، وموقف المنافقين من الصلاة والخير ، وتأتي سورة الكوثر لتفرد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالخطاب في الصلاة والنحر [4]. فكل ما جاء في سورة الماعون جاء ما يقابله في سورة الكوثر .

---

[1] - البحر المحيط 8 / 477
[2] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 8 / 445
[3] - تناسق الدرر في تناسب السور 138
[4] - الأساس في التفسير 11 / 6711

يقول فخر الدين الرازي : « إن هذه السورة – الكوثر – كالمقابلة للسورة المتقدمة ؛ وذلك لأن في السورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافقين بأمور أربعة : أولها : البخل وهو المراد من قوله : **((يَدُعُّ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ))** :{ 2 – 3 } .

الثاني : ترك الصلاة وهو المراد من قوله : **((الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ))**{ 5 }.

والثالث : المراءاة في الصلاة هو المراد من قوله : **((الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ))** { 6 }.

والرابع : المنع من الزكاة ، وهو المراد من قوله : **((وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ))** { 6 }.

فذكر في هذه السورة – الكوثر – في مقابل تلك الصفات الأربع صفات أربعة ، فذكر مقابل البخل قوله : **((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ))** :{ 1 } أي إنا أعطيناك الكثير ، فأعط أنت الكثير ولا تبخل ، وذكر في مقابلة : **((الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ))** ، قوله : **((فَصَلِّ))** :{ 2} ، أي دم على الصلاة ، وذكر في مقابلة : **((الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ))** قوله : **((لِرَبِّكَ))** :{ 2 } ، أي ائت بالصلاة لرضا ربك ، لا لمراءاة الناس ، وذكر مقابل : **((وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ))** ، قوله : **((وَانْحَرْ))** :{ 2 } ، وأراد به التصدق بلحم الأضاحي ، فاعتبر هذه المناسبة العجيبة » [1]. وذكر أبو حيان هذه المناسبة بشكل مختصر [2].

ويبين فخر الدين الرازي ارتباط موضوعات سورة الكوثر بما تقدمها من السور وإن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور ، وكالأصل لما بعدها من السور ، ويقول : « أما أنها كالتتمة لما قبلها من السور ؛ فلأن الله تعالى جعل سورة (والضحى) في مدح محمد (صلى الله عليه وسلم ، وتفصيل أحواله ... ثم ذكر في سورة (أم نشرح) أنه شرفه بثلاثة أشياء (...) ثم إنه تعالى شرفه في سورة التين بثلاثة أنواع من التشريف (...) ثم شرفه في سورة القدر بليلة القدر التي هي على ثلاثة أنواع من الفضيلة ... وشرفه في سورة (لم يكن) بأن شرف أمته بثلاث تشريفات (...) وشرفه بسورة (إذا زلزلت) بثلاث تشريفات ... ثم شرفه في سورة العاديات بأن أقسم بخيل الغزاة من أمته فوصف تلك الخيل بصفات ثلاث ... ثم شرف أمته في سورة القارعة بأمور ثلاثة ... ثم شرفه في سورة (ألهاكم) بأن بين أن المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاث أوجه (...) ثم شرف أمته في سورة (والعصر) بأمور ثلاثة (...) ثم شرفه في سورة الهمزة بان ذكر أن من همز ولمز فله ثلاثة أنواع من العذاب (...) ثم شرفه في سورة الفيل بان رد كيد أعدائه في نحرهم من ثلاثة أوجه (...) ثم شرفه في سورة قريش بأنه راعى مصلحة أسلافه من ثلاثة أوجه (...) وشرفه في سورة الماعون ، بأن وصف المكذبين بدينه بثلاث أنواع من الصفات المذمومة (...)

---

[1] - التفسير الكبير 32 / 117

[2] - البحر المحيط 8 / 520

ثم إنه سبحانه وتعالى لما شرفه في هذه السورة من هذه الوجوه العظيمة قال بعدها : **((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ))** أي إنا أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة في السور المتقدمة التي كل واحدة أعظم من ملك الدنيا » [1].

وبين علاقة سورة الكوثر بما بعدها من السور بقوله : « أما أنها كالأصل لما بعدها ، فهو أنه تعالى يأمره بعد هذه السورة بان يكفر جميع أهل الدنيا بقوله : **((يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ))** :{ 1- 2} .

يقول الرازي : « قدم هذه السورة – الكوثر – على سورة **(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)** حتى يمكنه الاشتغال بذلك التكليف الشاق والإقدام على تكفير جميع العالم ، وإظهار البراءة عن معبودهم فلما امتثلت أمري ، فانظر كيف أنجزت لك الوعد ، وأعطيتك كثرة الأتباع والأشياع وأن أهل الدنيا يدخلون في دين الله أفواجا ، ثم إنه لما تم أمر الدعوة وإظهار الشريعة ، شرع في بيان ما يتعلق بأحوال القلب والباطن ؛ وذلك لأن الطالب إما أن يكون طلبه مقصورا على الدنيا أو يكون طالبا للآخرة . أما طالب الدنيا فليس له الخسار والذل والهوان ، ثم يكون مصيره النار وهو المراد من سورة (تَبَّتْ) .

وأما طالب الآخرة فأعظم أحواله أن تصير نفسه كالمرآة التي تنقش فيها صور الموجودات . وقد ثبت في العلوم العقلية أن طريق الخلق في معرفة الصانع على وجهين : منهم من عرف الصانع ، ثم توسل بمعرفته إلى معرفة مخلوقاته ، وهذا هو الطريق الأشرف الأعلى ، ومنهم من عكس وهو طريق الجمهور . ثم إنه سبحانه ختم كتابه الكريم بتلك الطريق التي هي أشرف الطريقين ، فبدأ بذكر صفات الله وشرح جلاله ، وهو سورة **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)** ثم أتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في سورة **(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)** ثم ختم الأمر بذكر مراتب النفس الإنسانية ، وعند ذلك ختم الكتاب ... فسبحان من أرشد العقول إلى معرفة هذه الأسرار الشريفة المودعة في كتابه الكريم » [2].

ويقول البقاعي : « لما كانت سورة الدين – الماعون – بإفصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق ، كانت بإفهامها داعية إلى معالي الشيم ، فجاءت الكوثر لذلك . وكانت الدين قد ختمت بأبخل البخلاء ، وأدنى الخلائق : المنع تنفيرا من البخل ، ومما جره من التكذيب . فابتدئت الكوثر بأجود الجود : العطاء لأشرف الخلائق ترغيبا فيه وندبا إليه » [3].

---

[1] - التفسير الكبير 32 / 119

[2] - التفسير الكبير 32 / 120 – 121

[3] - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور 8 / 547

نتائج البحث

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أحمده سبحانه على توفيقه وعونه ، فقد أنعم عليّ بأن أدرس (أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني) ، وكان من نتائج هذه الدراسة :

1 – في التمهيد وجد الباحث أن نشأة علم المناسبة بسيطة كأية نشأة لعلم من العلوم المرتبطة بالقرآن . وكانت أشهر رواية هي حادثة أن أخطأ أعرابي في ختام آية ، هذا ما وجدناه . ثم تطور هذا العلم على يد المفسرين ، فقد كانت هناك التمحات مع التفسير للإشارة إلى علم المناسبة . وقد بين الباحث أن هذه الآراء إذا جمعت وتحيزت من آراء التفسير في كتب المفسرين لكانت شيئا كثيرا يستوي إلى جنب عمل البقاعي والسيوطي بكتابيهما الذين لم يظفر هذا العلم لهما بمثيل .

2 – وقد وجد الباحث أن للمناسبة أثرا في توجيه المعنى في الآية الواحدة من خلال توجيه العدول عن الأصل في الفاصلة سواء عُدل بالتقديم والتأخير ، أو بالحذف والزيادة أو في الجنس ، أو في العدد اللغوي ، أو في بنية الجملة .

3 – وأشار الباحث إلى انقسام العلماء في بيان العدول إلى فريقين منهم من قال بأن أصل العدول جاء لرعاية الفاصلة . ومنهم من قال أن أصل العدول جاء لرعاية المعنى . ولا ضير من الجمع بين الرأيين لخدمة النص القرآني .

4 – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا كبيرا في بيان المعنى فيما يسمى بـ(مشكلات الفواصل) في القرآن ، وبيان التعلق بين مقطع الآية وفاصلتها . فقد يظن المتلقي غير المتمعن للنص القرآني عند استماعه لقراءة القرآن أنّ الآية ستختم بكذا لأنه الموافق لها ،

وإذا بها تختم بما هو مخالف للمتوقع ، لمناسبة بلاغية تضفي مسحة جمالية في الآية بحيث يكسر النص توقعات المتلقي .

5 – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا في بيان المعنى في الآيات التي تتحد في السياق وتختلف في الفاصلة ، على مستوى السورة الواحدة ، أو السور المختلفة ، وهذا من التنوع في البلاغة وتجديد نشاط المتلقي للنص القرآني .

6 – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا في توجيه المعنى بين الآيات التي تتشابه في السياق وتختلف في بعض ألفاظها ؛ لأن اختلاف هذه الألفاظ ورد لمناسبة متعلقة بالسياق القبلي للآية ، أي أنه يمهد المتعلقات لما سيأتي بعد ، وفي بعض الأحيان بالسياق البعدي لها .

8 – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا لاشك في أهميته وثباته في بيان المعنى بين الآيات التي تتشابه في السياق وتختلف في التركيب من حيث التقديم والتأخير ، أو الذكر والحذف ، وهذا الاختلاف أيضا يتعلق بالسياق القبلي والبعدي .

9 – وقد وجد الباحث أن للمناسبة دورا مهما في توجيه المعنى بين سورة وأخرى ؛ لأن اغلب آراء العلماء في أن ترتيب الآيات في السور بتوقيف من الله ، ولكنهم لا يتفقون بهذه الأغلبية على ترتيب السور . لذا يمكن عن طريق المناسبة بيان أن القرآن بين الدفتين هو قرآن اللوح المحفوظ .

10 – في ترتيب السور وتتاليها إعجاز بياني ، فما تتم السورة إلا وتمهد للسورة اللاحقة لها ، عن طريق الترابط اللفظي أو الترابط المضموني .

11 – وقد وجد الباحث بناء على ما سبق في النتيجة السابقة ، وعلاوة على ما ذكره المفسرون ، وعلماء المناسبة أن في ترتيب السور وتتاليها وهي تناسب بعضها بعضا أن تتاليها بابا يضاف إلى أبواب الإعجاز البياني غير المتناهي ، وشاهد هذا التناسب (من خلال الترتيب الحالي) في الترابط اللفظي أو الترابط المضموني أو بكليهما معا .

أولا : المصادر القديمة

- القرآن الكريم
- الإتقان في علوم القرآن : أبو الفضل جلال الدين السيوطي ، تحقيق : مركز الدراسات القرآنية ، مجمع الملك فهد .
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز : عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط 1 ، 1408 هـ - 1987 م .
- إعجاز القرآن : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف بمصر .
- البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1413 هـ - 1993 م .
- بديع القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري : تحقيق حفني محمد شرف ، نهضة مصر ، 1957 م .
- البرهان في توجيه متشابه القرآن : محمد بن حمزة الكرماني ، تحقيق : عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1406 هـ - 1986 م .
- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، 1427 هـ - 2006 م .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، تحقيق : محمد على النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت – لبنان .
- بيان إعجاز القرآن : الخطابي ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : د . محمد زغلول سلام ، ومحمد خلف الله أحمد ، دار المعارف بمصر، ط .

- البيـان فـي عـد آي القرآن : أبـو عمـرو الـداني ، تحقيـق : د : غـانم قـدوري الحمـد منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق ، الكويت ، ط1 ، 1414 هـ - 1994 م .
- التبيان في البيان : الإمام الطيبي ، تحقيق ودراسة : عبد الستار مبروك زموط ، جامعة القاهرة ، 1397 هـ - 1977 م .
- التحبير في علم التفسير : جلال الدين السيوطي ، تحقيق د . فتحي عبد القادر فريد ، دار العلوم ، السعودية – الرياض ، ط 1 ، 1402 هـ - 1982 م .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن : ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق : د . حفني محمد شرف ، 1963 م .
- تفسير أبي محمد بن بحر الأصفهاني : جمع وإعداد وتحقيق : د . خضر محمد نبها ، تقديم : د . رضوان السيد ، موسوعة تفاسير المعتزلة ، د . ت .
- التفسير الكبير : فخر الدين محمد الرازي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1401 هـ - 1981 م .
- تفسير غريب القرآن : أبو محمد بن قتيبة ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، 1978 م – 1398 هـ .
- تناسق الدرر في تناسب السور : جلال الدين السيوطي : تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1406 هـ - 1986 م .
- درة التنزيل وغرة التأويل : أبو عبد الله محمد الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي ، تحقيق : د . محمد مصطفى آيدن ، جامعة أم القرى ، ط1 ، 1422 هـ - 2001 م .
- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط 5 ، 2004 م .
- سر الفصاحة : أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1402 هـ - 1982 م .
- سير أعلام النبلاء : أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 11 ، 1996 م – 1417 هـ .
- الصناعتين الكتابة والشعر : أبو هلال الحسن بن سهل العسكري ، مصحح هذا الكتاب ومفسر غريب ألفاظه : السيد محمد أمين الخانجي ، ط 1 ، 1319 هـ .

- طبقات المفسرين : عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية ، ط 1 ، 1997 م – 1417 هـ .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ونقده : أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط 5 ، 1401 هـ - 1981 م.
- غرائب التفسير وعجائب التأويل : محمود بن حمزة الكرماني ، تحقيق : د . شمران سركال يونس العجلي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، ومؤسسة علوم القرآن ، بيروت .
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن : أبو يحيى زكريا الأنصاري ، تحقيق: محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1403 هـ - 1983 م .
- الفهرست : ابن النديم ، دار المسير ، لبنان ، ط 3 ، 1988 م .
- قطف الأزهار في كشف الأسرار : جلال الدين السيوطي ، تحقيق : د . أحمد محمد الحمادي ، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، إدارة الشؤون الإسلامية دولة قطر ، ط 1 ، 1414 هـ - 1994 م .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود الزمخشري ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ط 2 ، 2001 م .
- كشف المعاني في المتشابه من المثاني : بدر الدين بن جماعة ، تحقيق : د. عبد الجواد خلف ، منشورات جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي – باكستان ، ط1، 1410 هـ - 1990 م .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير ، تحقيق : د . أحمد الحوفي ، ود . بدوي طبانة ، دار نهضة مصر ، القاهرة
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد الله إبراهيم الأنصاري ، السيد عبد العال السيد ، وممد الشافعي ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، دولة قطر ، ط2 ، 1428 هـ - 2007 م .
- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع : عبد الرحمن السيوطي ، ضمن كتاب علم المناسبات في السور والآيات : تحقيق : د . محمد بن عمر بازمول ، المكتبة المكية ، مكة المكرمة ، ط 1 2002 هـ - 1423 هـ .

- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور : برهان الدين البقاعي ، تحقيق : د . عبد السميع محمد أحمد ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط1 ، 1408 هـ - 1987 م.
- معاني القرآن : أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، تحقيق د . هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، ط1 1991 م – 1411 هـ .
- معاني القرآن وإعرابه أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء ، عالم الكتب ، ط3 ، 1403 هـ - 1983 م .
- معترك الأقران في إعجاز القرآن : أبو الفضل جلال الدين السيوطي ، تحقيق: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1408 هـ - 1988 م .
- مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن علي السكاكي ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، جامعة بغداد ، ط 1 ، 1402 هـ - 1982 م .
- المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، د . ت .
- مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، د . ت .
- المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، لجنة إحياء التراث ، مصر – القاهرة ، 1415 هـ - 1994 م .
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : العلامة أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت 708 هـ) ، تحقيق : سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1403 هـ - 1983 م .
- المنصف شرح لكتاب التصريف : أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق : إبراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين ، إدارة إحياء التراث ، ط 1 ، 1373 هـ - 1954 م .
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم : أبو بكر بن العربي ، تحقيق : د . عبد الكبير العلوي ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1988 م .
- نظم الدر في تناسب الآيات والسور : أبو الحسن برهان الدين البقاعي ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط 3 ، 1427 هـ - 2006 م .
- الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ، 2000 م – 1420 هـ .

المراجع الحديثة

- أسئلة بيانية في القرآن الكريم : د . فاضل صالح السامرائي ، مكتبة الصحابة، الإمارات الشارقة ، 2008 م .
- الأساس في التفسير : سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط 1 ، 1405 هـ - 1985 م .
- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل نافع بن الازرق : د . عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، مصر - القاهرة ، 1391 هـ - 1971 م .
- الأقوال الحسان في حسن نظم القرآن : عبد المتعال الصعيدي ، المطبعة العمومية بطنطا ، د . ت .
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : د . فاضل صالح السامرائي ، شركة العاتك لصناعة الكتب ، ط2 ، 1427 هـ - 2006 م .
- بناء الجملة العربية : د . محمد حماسة عبد اللطيف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، 2003 م .
- البيان في روائع القرآن : د . تمام حسان ، عالم الكتب ، ط2 ، 1420 هـ - 2000 م .
- التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، تونس .
- التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط 16 ، 1423 هـ - 2002 م .
- التعبير القرآني : د . فاضل صالح السامرائي ، دار عمار ، ط 5 ، 1428 هـ - 2007 م .
- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان : عبد الحميد الفراهي ، الدائرة الحميدية ، مدرسة الإصلاح ، ط 1 ، 2008 م .
- التفسير والمفسرون : محمد حين الذهبي ، مكتبة وهبة ، 2000 م .
- جواهر البيان في تناسب سور القرآن : أبو الفضل عبد الله محمد الصديق الغماري ، مكتبة القاهرة ، د . ت .
- دلائل النظام : عبد الحميد الفراهي الهندي ، المطبعة الحميدية ، ط1 ، 1388 هـ .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبو الفضل شهاب الدين محمد الآلوسي ، إدارة الطباعة المنيرية ، ودار إحياء التراث ، بيروت – لبنان.
- صفاء الكلمة : د عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ للنشر ، د . ت .
- علم الأصوات : د . كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة 2000 م .
- في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار الشروق ،ط 34، 1425 هـ - 2004م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1992 م – 1413 هـ .
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط 2 ، 2006 .
- مباحث في التفسير الموضوعي : د . مصطفى مسلم ، دار القلم ، دمشق ، ط 3 ، 1421 هـ - 2000 م .
- معجم المفسرين : عادل نويهض ، قدم له المفتي حسن خالد ، مؤسسة نويهض الثقافية ، لبنان ، ط 3 ، 1988 م .
- من أسرار البيان القرآني : د . فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر المملكة الأردنية الهاشمية – عمان ، ط1 ، 2009 م – 1430 هـ .
- من قضايا اللغة : د . مصطفى النحاس مطبوعات جامعة الكويت ، ط1 ، 1415 هـ - 1995 م .
- الميزان في تفسير القرآن : السيد محمد حسين الطباطبائي ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1417 – 1997 م .
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : د : أحمد عفيفي ، مكتبة زهراء الشرق ،ط 1 ، 2001 م .

ثالثا : البحوث والدوريات

- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية : د . عبد الحكيم الأنيس ، مجلة الأحمدي عدد (11) جمادي الأولى 1423 هـ - يوليو – تموز 2002 م .
- من مظاهر الدقة في الاستعمال القرآني : أ . د علي كاظم أسد ، بحث غير منشور .

University of Kufa
College of Arts
Arabic Department

The Impact of Textual Apprparatiness in Addressing the Meaning in Holly Koran's Text

.

A Dissertation submitted to the council of college of arts/ Kufa University

By
Muhammad Amir Muhammad

Supervised by
Prof. Dr . Ali Khadim Assid

2011م

The Impact of Textual Apprparatiness in Addressing the Meaning in .Koran's Text

The present study deals with the textual appropriateness science, depending on of the essential scientific material for this study, selecting the analytical and collecting descriptive method in analyzing these texts and trying to investigate the implied meaning for the text.

The study consists of :
Introduction: the researcher presents the reasons for choosing his topic, its significance and the plan for studying the textual appropriateness science.

Preface: The researcher presents the theoretical background for textual appropriatenes science and its development, where the beginning of this science is related with the the other fields which deals with kora'nic text as major point for syntax .
This point offers the fact that the mistakes in order or structure leads to understand the .Meaning in Kora'nic text, and the relationship of comma with syllable.

The question is develop to include the difference in context with its difference in lexical or in Fronting or delaying or expiation or conciseness .

Chapter one consists of the impact of textual appropriateness within one verse. The Researcher deals with comma in Kora'nic text and its role for keeping the coherence of :
Kora'nic verse, he shows commas' relationship within its context, he refers to the main Questions which deal with comma, why the verse doesn't end with this, and doesn't end with another? He presents the scientists' way for dealing with this matter .

Chapter two consists of the impact of textual appropriateness among verses. The researcher Deals with the difference and similarity among the presents Kora'nic texts in verses and the Inclusive for lexical where the verse is to related with its following and its proceeding an all the process which are related with structure in fronting and delaying and its relation with the general context for verse even this is related with the .shortness or length .

Chapter three consists of the impact of textual appropriateness among chapter in Holly Kora'n , Is implied the textual cohesion among chapters for chapter 's relationship with its following And its proceeding. So it appears the value of the verse and intentions of the following Chapter with the purpose and intention of the proceeding chapter.